دار الشؤون الثقافية العامة

محي الدين زه نكه نه

عشرة نصوص مسرحية



مكتبة ماجد الحيدر/فيسبوك: كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر //فيسبوك: كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/فيسبوك: كتب.كتب.كتب

عشرة نصوص مسرحية

مكتبة ماجد الحيدر/فيسبوك: كتب.كتب.كتب

دار الشؤون الثقافية العامة
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات الى
رئيس مجلس الادارة: د. جمال حسن العتابي

العنوان:
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص . ب . ٤٠٢٢ ـ فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ ـ هاتف ٤٤٢٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar @uruklink.net

مكتبة ماجد الحيدر/فيسبوك: كتب.كتب.كتب

عشـــرة

نـصوص مسرحيـة

تأليف: محيي الدين زه نكه نه

الطبعة الأولى – بغداد– ٢٠٠٤

مكتبة ماجد الحيدر //فيسبوك: كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/فيسبوك: كتب.كتب.كتب

مـــوت فـنـان (*)

(*) نشرت في مجلة ((الاقلام)) العدد: ١- ٢- ٣- كانون الثاني، شباط، اذار- ١٩٩٤

مكتبة ماجد الحيدر //فيسبوك: كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/فيسبوك: كتب.كتب.كتب

الشخصيات:

- محمد: رسام، دون الأربعين
- المدير: مدير الفندق
- موسى: متعهد معارض الفنانين
- النادل: من عمال الفندق
- الفتاة: ذات جمال خاص، دون الثلاثين

مكتبة ماجد الحيدر //فيسبوك: كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/فيسبوك: كتب.كتب.كتب

[فندق من طراز قديم خال من الرواد تقريبا. يتسم بالرغم من نظافته الظاهرة بالكآبة. يدخل محمد وهو رجل في حدود الخامسة والثلاثين بادي الإنهاك والتعب عليه مظاهر من قدم من سفر مرهق. يحمل حقيبة ملابس صغيرة].

محمد: (مصعوقا) أي فندق هذا؟ لو لم يكن مضيفي تاجرا ترى أين كان يسكنني؟ هيه!! من هنا؟ أما من أحد هنا؟ (يصفق. لا أحد. يقترب من مكتب الإدارة. يرتمي على مقعد يتثاءب) ما كان ينبغي ان.. ان.. (يتثاءب، يغمض عينيه، يسترخي، يدخل مدير الفندق، يرمقه بامتعاض).

المدير: (يتخذ مكانه خلف المكتب) سكران؟ سكران في الظهيرة؟ اعوذ بالله: (يخرج دفاتره يحدث ضوضاء متعمدا. محمد يتململ ينهض..)

محمد: (يتقدم منه، نصف نائم) أأ أنا.. أنا.. محمد.. محمد الجبل...

المدير: (ببرود وبلا حماس) تشرفنا... هل من خدمة؟

محمد: (مستاء من بروده) يفترض ان تكون ثمة غرفة محجوزة باسمي (لنفسه) وارجو من كل قلبي ان لا تكون... كي لا ارى وجهك المكتئب مرة اخرى.

المدير: (يبحث بين سجلاته) من قلت؟ (محمد لا يجيب) أ.. أ.. هنا (ينهض لاستقباله) قل محمد الرسام. قل محمد الفنان الذي ننتظره بلهفة

وشوق. ياأهلا.. ياأهلا.. لقد تأخرت ياأستاذ.. حتى كدنـــا نيـــأس مـــن وصولك.

محمد: (يتثاءب) الطائرة.. الكمارك.. الاجراءات أ أ أت..   (يسد فاه)

المدير: تفضل وارتح في الصالة.. ريثما اعلم السيد موسى بوصولك (يخابر)

محمد: لا. لاتفعل ارجوك (يمنعه) لا تعلم أحد بوصولـــي (يبحلـق فيــه المديـر بدهشة) مؤقتا، اعضاء جسمي هدها التعب. ستتساقط على بعضـــها اذا لم اخذ قدرا كافيا من النوم. كل ما أطلبه من حضرتك مفتاح غرفتي.

المدير: كيف؟ ان السيد موسى في غاية القلق ولا بد ان..

محمد: (بصرامة) المفتاح رجاء (بين ذهول واستغراب يناوله المديـــر مفتاحـــا.. يتأمله يصرخ ملسوعا) لا. هذا الرقم لا. اعطني ايــــة غرفــة اخــرى (يرمي المفتاح على المكتــب. تــزداد دهشـــة المديـــر. يـــهز رأســـه باستخفاف)..

المدير: (لنفسه) شرقي.. شرقي آخر يؤمن بخرافة الارقام (يبحـــث عـــن مفتـــاح اخر)

محمد: (بغضب شديد) اجل شرقي. وشرقي حتى النخاع (يستدير مغادرا الفندق)

المدير: (قافزا من فوق المكتب) استاذ ارجوك. استاذ (يلحق به ويمسك حقيبتـــه) لم اقل ما يغضبك تعال.. تعال.. ارجوك. خذ اية غرفة تشاء.. كل غرف الفندق فارغة.. تقريبا..وغير الفارغة افرغها لك في الحال ((يســـحبه متوسلا.. يقوده بنفسه إلى غرفته. يفتح له الباب) تفضـــل ياســـيدي.. تفضل. اقامة سعيدة بإذن الله (يعود إلى مكتبه) يـــاه! مرجـــل..مرجـــل يغلي. أي فنان هذا! (ينشغل بأعماله المكتبية.. يظلم المســـرح لفـــترة

مكتبة ماجد الحيدر//فيسبوك: كتب.كتب.كتب

مناسبة.. ثم يضاء.. القائمون على الخدمة في حركة لترتيب الموائد والمقاعد الخ.. ثمة غادون ورائحون.. قلائل.. يدخل موسى)

موسى: (متوجها الى المدير) متى وصل؟ اين هو؟ في اية غرفة؟

المدير: هناك (موسى يتوجه إلى الغرفة) انصحك الا تقترب منه..

موسى: (يتوقف) لماذا؟

المدير: اخشى ان يفترسك.. انه مخلوق مفترس. فنانك الغريب هذا...

موسى: (يعود اليه) من؟ محمد؟ محمد الجبل؟

المدير: بالضبط محمد.. محمد الجبل..

موسى: انت واهم.. انه انسان، رقيق، في منتهى الدماثة والخلق

المدير: هه... انت لا تعرفه.. اذن!

موسى: (يدنو منه) وهل تعرفه.. انت؟

المدير: انا؟ لا.. لم اره.. الا اليوم.

موسى: كيف تحكم عليه.. بهذه السرعة؟

المدير: ان لي حدسا لا يخطيء. هل تعرفه انت منذ زمن طويل؟

موسى: ليس طويلا جدا.. تعرفت عليه في العام الماضي، في بيروت حيث أقام معرضا مشتركا، مع مجموعة من فنانين مغمورين، في فندق من الدرجة الثالثة.. الدعاية صفر.. الاعلام صفر.. انه فنان جيد. افضلهم جميعا.. ولكن لا يحسن الحديث عن نفسه ولا الاعلان عن فنه!

المدير: وتوليت انت هذه المهمة..

موسى: تلك مهمتي.. ولي تاريخ يشهد بالنجاح والتوفيق..

المدير: اصطياد الفنانين المغمورين...

موسى: ليس كل المغمورين.. وأنما اولئك الذين لهم مستقبل. ومحمد له مستقبل مرموق. شاب ذكي واع.. ماهر في فنه لولا بعض الاشكالات..

المدير: اشكالات (باهتمام خاص) ماذا تقصد؟

موسى: لا استطيع ان احدد بالضبط.. فهو مكتوم وقليل الكلام. ويبدو لي انه احد الذين نبذوا.. وطنهم.

المدير: هراء.. لا احد ينبذ الوطن.. إذا لم يستحل الوطن قبرا او ماهو اضيق من القبر. ومع هذا لا ينبذه. وأنما يظل يحمله صليباً. مدقوقا في عظمه، وجرحاً فاغرا فاه، في قلبه. لا يشفي ولا يندمل الا بتراب الوطن نفسه، وهوائه ورائحة ناسه وخبزه.

موسى: انت تعمم تجربتك الخاصة على الكل كما لو كانت قانونا كونيا

المدير: انه قانون كل انسان اصيل، يخترقه الوطن عبر العشق وتحقيق الذات ولا يرتبط به بحبال المنفعة والمصالح الشخصية. هل انت واثق ان السيد محمد.. من.. من.

موسى: (يضحك) السيد؟ قبل هنيهة كان كائناً مفترسا..

المدير: لا.. لا.. كان حاد المزاج.. عصبياً، مثاراً ومستفزا.. لـلا سبب. فحسبت انه.. لا.. لا.. هو.. هو.. طفل.. طفل.. مفطوم، على الرغم منه.. هكذا يكون الاولاد المرغمون على الفطام.

موسى: سبحان مغير الاحوال! ما علينا. قل اين وضع اللوحات؟

المدير: اللوحات؟ اية لوحات. كان فارغ اليدين الا من حقيبة ملابسه.

موسى: يالهي المعرض يفتتح في الخامسة وحتى الان لم نفعل شيئاً.
اللهم عونك (يتجه نحو غرفة محمد. يطرق الباب طرقاً متواصلاً).
محمد.. افتح يا محمد.

محمد: لا تحطم الباب. انا قادم (يفتح ما يزال بملابسه نفسها) من؟ موسى؟

موسى: اجل موسى. موسى الذي ستنقلب الدنيا فوق رأسه. ما هذا التأخير؟ ابن اللوحات.. ياسي محمد؟

محمد: (يتثاءب) صا.. در.. وها.. في.. المطا.. ر.

موسى: كيف؟ مستحيل؟ لم يبق على الافتتاح سوى ثلاث ساعات.

محمد: لعلهم حسبوني مهرب لوحات. او تاجر مخدرات.. المهم أعطوني هذه الورقة!

موسى: (يخطفها) هيا.. هيا.. معي.. ارجوك.. اسرع.. اسرع.. والا انهار كل شيء.

محمد: الا تراني باي حال انا؟ (يتثاءب) لا اقوى على الوقوف على قدمي أذهب انت، واذ تعود تجدني جاهزاً.

موسى: ارجو ذلك. بل لابد. لابد. يا محمد ولا تنس ان تكتب كلمة لدليل المعرض. ضروري. ضروري جدا (يخرج مسرعاً محمد يغلق الباب.. تعلو شقشقة المياه من غرفته.. يتوافد البعض. يدلفون إلى الصالة. المدير ما يزال منغمرا في عمله).

محمد: (خارجاً نظيفاً. انيقاً. يرتدي بدلة اخرى. يحمل مجموعة اوراق. يتوجه الى المدير) يجب ان اعتذر منه. لقد كنت فظاً معه. (يتوقف. اذ يراه. منهمكاً. يدخل الصالة. ينادي النادل) قهوة.. رجاء (يشعل سيجارة يشرع بالكتابة يشطب ماكتب. يكتب مجددا. يشطب ثانية، يمزق الورقة. ثم يمزق اخرى واخرى) لا. لا. لا. استطيع كتابة عبارة واحدة. انا رسام. والرسام يفكر ويكتب بالخطوط والظلال لا بالكلمات والحروف.

المدير (يدخل حاملا... القهوة) القهوة..ياأستاذ محمد..

محمد: (في غاية الارتباك) غير معقول. انت بنفسك! مستحيل.. اه.. ارجوك عفوك ياسيدي.. كنت قادماً لاعتذر منك. ولكني وجدتك مشغولا.. وأنا... انا اعتذر... و.. و.. خجل مما بدر مني.. ياسيدي.

المدير: انت ضيفنا.. ياعزيزي.. تزور بلدنا لأول مرة. الواجب يقتضي ان نخدمك، وكان ينبغي ان اقدر ما انت عليه من تعب وارهلق و..

محمد: لتجلس معي..ارجوك. شرّفني...

المدير: انت الشّرف ياأخ.. انا اليوم وحدي. وسنلتقي.. حتماً.. وتطول لقاءاتنا.. بإذن الله... وسأسعد بك يا سيدي (يودعه)

محمد: ياله من رجل! (يرفع له يده محيياً. يحتسي قهوته. يحاول الكتابة ثانية. يمزق أوراقا أخرى) لا.. لا سبيل. لماذا لا اترك المساحة المخصصة لي فارغة؟ وادع عين المشاهد تكتب عليها ما ترى. او بالاحرى ادع لوحاتي من خلال عين المشاهد تكتب ما ترى؟ (بحماس) فكرة رائعة!! (ينادي النادل) لو سمحت قهوة اخرى رجاء (يكتب) ثمة رسامون يرسمون ويكتبون واخرون يرسمون فقط، تعصى عليهم الكتابة. وانا بلا تواضع ولا غرور انتمي لهذه الفئة، لذا أتنازل لك. ايها المشاهد الصديق، عن البقعة الممنوحة لي.. لتخط فوقها ما تمليه عليك رؤيتك (يسترخي.. يدخن.. يرقب الداخلين والخارجين. وفجاءة واثر دخول فتاة ممشوقة، جذابة، يتوتر، ويصرخ) يارب السماوات والشعرى!! لا. لا. مستحيل. لا يمكن ان تكون هذه المخلوقة امرأة (يدخل النادل بقهوة واذ يراه مذهولا بها. يقف خلفه، صامتاً..يراقبه بفضول) وان كانت كذلك. فلا بد ان تكون لصة او مغتصبة او ساحرة... او.. او كل اولئك

معا. مصبوبة في هيئة امرأة خارقة الجمال واستأثرت بأجمل مـــا فـــي نساء الكون جميعاً.

النادل: القهوة.. يا سيدي (محمد غير حافل به) قهوتك يا استاذ (محمـــد يتعقـــب الفتاة بنظراته.. النادل بضحكة مكتومة) القـــهوة ياســيدي (صارخـــا) القهوة يا..

محمد: (يجفل) ضعها ياأخي ولا تثقب اذني بزعيقك. الا تراني مشغولا.

النادل: (بسذاجة) اين اضعها ياسيدي؟

محمد: يا له من سؤال (بمرح) ضعها فوق راسي يا تاج رأسي. ضعها في عينـــي يا أعز من عيني. أين توضع القهوة في رايك؟ اليس فوق المنضـدة؟ ام لك اجتهاد آخر في هذه المعضله التي تعاني منها؟

النادل: (يضحك بطلاقة) الاوراق ياسيدي. اوراقك تغطي المنضدة كلها.

محمد: اوراقي؟ إلى جهنم كل اوراقي (يدعكها ويلقيها في سلة المـــهملات) والان أيتسع هذا الفضاء الشاسع لفنجان صغير (النادل يضع القهوة وهو مـــا يزال يضحك) اين؟ أين ستحط رحالها هذه الناقـــة الحســناء؟ (تجلـــس الفتاة خلفه. يتحول هو إلى الكرسي الاخر بحيث يكون قبالتها، يـــؤدي اشارات فجة صبيانية.هي لا تحفل به. تصفق.. يقبل نحوهـــا النـــادل) ستطلب زجاجة بيرة، وسأشرب انا معها او وحدي في نخبها، ولأجلها، عشر زجاجات...

الفتاة: عصير... ليمون (ينحني النادل) بارد.. بارد جداً (ينصرف النادل)

محمد: معقول؟ عصير؟ واخيبة املي فيك ياناقتي!! سأرسمها سأرسم هذه الانثـــى الخارقة. موناليزا.. انها تشبه موناليزا. وأذ تخرج من مخيلتي ســتكون اجمل من موناليزا دافنشي. هي.. اللوحة التي الـــهث وراءهـــا ابحـــث

عنها عبر مئات اللوحات التي رسمتها.. اه.. لو نظرة.. نظرة.. واحدة طفلة..لقاء نظراتي المليون التي اصبها فوقها..فوق كل جزء فيها.. مثل شلالات بي خال، الشاسعة، المدرارة.. ذات الفضاءات التي لاتحدّ (النادل يأتيها بقدح العصير.. هي تلتقط سيجارة من علبة سجائرها.. وقبلما تشعلها، يقفز نحوها محمد.. وبين إصبعيه عود ثقاب مشتعل.. ينطلق كمن يهذي) سيدتي.. آنستي..او.. او.. اميرتي. لست صائد فتيات. ولا طالب لذات عابرات. ولكن جمالك اخترقني.. بهرني. اخترقني. زلزل كياني. فاسمحي لي ان اجلس قبالتك، كبوذي متعبد، أتأملك حسب.. اصلي صلاتي الخاصة. في محراب جمالك.. لعلي استعيد بعض توازني الذي اختل. ولك علي الف يمين ان انصرف إلى حال سبيلي وقتما تشاءين وأول ما تأمرين. وها أنا امامك، طائعاً مستسلماً لقضائك، مثل محكوم بالاعدام ينتظر العفو والعودة إلى الحياة او.. او الاعد..ام..

الفتاة (ترنو اليه بدهشة. ثم تبتسم.. كالمغلوبة على امرها) لا باس.. اجلس..

محمد: (غير مصدق)..ماذا.. ماذا قلت؟

الفتاة: الم تسمعني؟

محمد: سمعتك.. وسمعتك معي كل ذرة في كياني.. ولكني رجل طماع اريد ان اسمعك للمرة الالف. للمرة المليون.. ويسمعك معي كل الكون..

الفتاة: (تضحك) حسناً.. لابأس.. لابأس..

محمد: يارحمة السماء الواسعة! (يرتمي على المقعد فتختض المائدة. ويهتز القدح، يمسكه بسرعة) اه.. يبدو اني لست وحدي الذي اختل توازنه.. وانما الكرة الارضية برمتها. قد باتت تعاني من اختلال في التوازن.

الفتاة: (تخرج مجموعة مناديل ورقية تمسح المائدة) حصل خير.. حصل خير..

محمد: كل الخير.. كل الخير (يخطف المناديل التي تهم الفتاة بالقائها في سلة المهملات يطويها بعناية يضعها في جيب الصدر) فوق القلب هذه المناديل تحمل عطرك... مكانها فوق القلب... بل في القلب.. ولو استطت ان اشق قلبي وازرعها فيه.. لفعلت..

الفتاة: (تزداد دهشتها.. ترنو اليه بصمت. كأنها تشك في قواه العقلية هو الاخر يسكت.. يتأملها بصمت.. تدخن..تنفث دخانها.. يطول صمتهما بعض الشيء) اما لديك شيء تقوله؟ (محمد في ذهوله) هيه.. اتحدث اليك..

محمد: (كمن يستيقظ من حلم) ها؟ عفوك.. ماذا قلت؟

الفتاة: اقول.. أما عندك شيء تقوله؟..

محمد: ها؟.. لا.. في الحقيقة.. لا.. لاشيء و..و.. وانت؟

الفتاة: انا؟ انا ماذا؟

محمد: لا.. لاشيء.. عو..عو.. عودي كما كنت... استديري نحو مسقط الضوء.. هكذا.. هكذا.. ارفعي ذقنك قليلاً إلى الاعلى..(يتلمس ذقنها)

الفتاة: (تدفع يده بقوة) ما هذا يا أستاذ. ماذا تحسبك فاعلاً.. لم تمض دقيقة على لقائنا. ولم نتفاهم على أي شيء.. وتمد الي يدك.. فتلمسني.. وتحركني كما تشاء... هل أنا دمية؟

محمد: (يرتبك كثيراً) انا.. انا... بل.. بل.. انت.. انت... موناليزا

الفتاة: ليزا؟ ومن تكون ليزا هذه... عشيقتك؟

محمد: بل... بل... معبودتي... اقصد... اقصد... انت هي... هل معك مرآة...

الفتاة: مرآة؟ هل تلعب السحر؟

محمد: اريك معبودتي بكل ما فيها من جاذبية وسحر...

الفتاة: (تعطيه مرآة صغيرة) خذ... ارني معبودتك... ولنر نهاية اللعبة.

محمد: (يضع المرآة في مواجهتها) انظري... تأملي هذه معبودتي... موناليزا.

الفتاة: هل تستهزيء بي... هذه انا... عفيفة بنت...

محمد: انت... صحيح. ولكنك انت... لست عفيفة.

الفتاة: (بغضب) ماذا تقصد يا استاذ... انا...

محمد: انت... انت موناليزا... ذلك كل ما اقصد... لا تسييء فهمي ارجوك...

الفتاة: هل تعرفني اكثر مما اعرف نفسي.

محمد: بالتأكيد... بكل تأكيد...

الفتاة: مخبول قطعاً... انت رجل مخبول...

محمد: ربما... ولكن...

الفتاة: من تكون على اية حال... من انت؟

محمد: (مسحوراً) انا... انا دافنشي... ليوناردو دافنشي... الذي خلق موناليزا... وأنا...

الفتاة: خواجه؟ (تطلق ضحكة) لا يبدو عليك... انك (تطرد سحابة الدخان)

محمد: (يمسك بيدها) بل دعيها... ارجوك... دعي سحائب الدخان حول وجهك... انها تجعلك تبدين مثل القديسات... التي تحيط بوجوهن هالات النور...

الفتاة: القديسات؟ (تطلق ضحكة اخرى) من هن القديسات؟

محمد: انت واحدة منهم (يغمض عينيه) وانا اراك احلاهن واطهرهن (يتأملها بصمت)

الفتاة: (تبحلق فيه) ماذا هل تنام؟ نمت... لماذا لا تتكلم...؟

محمد: حين ارسم... لا اتكلم.

الفتاة: ترسم؟ ماذا ترسم؟ترسم من؟

محمد: ارسمك انت.

الفتاة: ترسمني؟ أين اصباغك؟ اين اوراقك... هل رسم احـــد مـن غــير ادوات الرسم؟ ثم.. ثم.. هل ترسمني وانت مغمض العينيـــن. ام.. ام تســخر مني حسب (يدخل موسى كالزوبعة. يتوجه نحو محمد)

موسى: رفضوا تسليمي اللوحات. لم تنفع كل الشفاعات، يصرون على حضــورك شخصياً.. هيا معي.. هيا (يشرب قدح الماء بسرعة) هيا... هيـــا... لا وقت لدينا...

محمد: ليس الان. ليس الان...

موسى: بعد الان..يفوت الاوان.. واقرأ على معرضك السلام.

محمد: إلى جهنم... معرضي وسائر لوحاتي... عدا واحدة لما تكتمل

موسى: والقاعة التي حجزتها؟ والأموال التي صرفتها والدعوات التي...

محمد: اخي لا تشغلني ارجوك... الا تراني ارسم...

موسى: ترسم؟ ماذا ترسم؟

محمد: (بفخر) موناليزا القرن العشرين. اللوحة التي احلم بها منذ عشقت أنــاملي الفرشاة تأملها. تأمل البراءة والنقاء! (يشير إلى الفتـــاة التـــي تغــض بصرها)

موسى: (بنبرة ساخرة) البراءة والنقاء! تالله ما أنت إلا مجنون!! أو.. أو.. لابـــد أن أكون أنا المجنون... إذ ارتبطت معك بمشاريع والتزامات... هيـــا قم معي... قبلما يضيع كل شيء....

محمد: مستحيل.. ببساطة... مستحيل... لو مادت بي الأرض.. أو أطبقت علـــي السماء. لما تحركت قبلما انهي لوحتي... آخر لوحاتي وأعظمها.

موسى: ليكن. أمهلك نصف ساعة. إذا لم تأت معي أحملك كافة الخسائر المادية وغير المادية.. يا محمد يا جبل...

محمد: موافق.. اطلب لنا قهوتين وأنت خارج...

الفتاة: محمد؟ جبل؟ الم تقل ان اسمك فنشي او منشي.. او شيء من هذا القبيل... يا لك من ماكر.. لقد جعلتني اعتقد انك خواجه.. (يدخل رجل انيق يلقي على الفتاة نظرات خاصة.. يجلس على مقربة منهما)

محمد: (كمن يحدث نفسه) شيئان في الانسان ينفرانني.. وفي المرآة بوجه خاص يرعبانني. اتعرفين ماهما؟ (الفتاة تختلس النظر إلى الرجل الانيق. لا تجيب) الا يهمك ان تعرفي؟ (لا تجيب) ومع هذا سأقول لك... انهما ياسيدتي الدمامة والبلادة. وانت قد اجتزت الاولى بتفوق كبير... اما الثانية... فابتهل إلى الله ان... ان... (يغمض عينيه) حدثيني عن نفسك.

الفتاة: ها؟ ... ماذا تريد ان تعرف؟

محمد: طالبة؟

الفتاة: لا.

محمد: موظفة اذن؟

الفتاة: ايضا.. لا.

محمد: كيف تعيشين... من يصرف عليك..

الفتاة: اعمل...

محمد: بأجر يومي؟

الفتاة: (تضحك) يومي.. ليلي.. في الساعة.. حسب الطلب...

محمد: كيف؟ لا افهم...

الفتاة: حقا؟

محمد: حقا.

الفتاة: طفل.. ام غبي؟

محمد: (بلا انفعال) لا ادري ربما الاثنين معــاً. مدمنـــة علـــى مشــاهدة الافــلام المصرية.؟

الفتاة: حد العشق.. كيف عرفت ؟(يدخل النادل... يضع القهوتين، تبعد قهوتـــها) انا لا اشرب القهوة..

محمد: هات لها قدح عصير...

الفتاة: ميرسي (تضرب على بطنها) لقد امتلأت.

محمد: بيرة؟ ما رايك بزجاجة بيرة؟

الفتاة: (تنتفض) منكر؟ اتدعوني إلى منكر؟ اعوذ بالله!

محمد: (بدهشة) منكر؟ هل دعوتك إلى الكذب. إلى الغش.. إلى القتل... إلى..

الفتاة: إلى ماهو العن (للنادل). شكراً. لا اريد شيئاً، (ثم) هل نظل هنا؟

محمد: اسف، لا اريد اثارة غضبك، ولكن ذهني مشــغول بعــض الشــيء. هــلا توضحين.

الفتاة: اكثر مما أفعل..؟

محمد: إذا تسمحين...

الفتاة: حسناً... سأفعل... سأوضح.. هل اعجبك.. ام لا؟

محمد: (بحماس) تعجبينني... بالتأكيد... تعجبينني... إلى ابعد حد... وأنا...

الفتاة: هل افهم من قولك هذا... انك تريدني..

محمد: نعم..؟ ماذا تعنين؟

الفتاة: مرة أخرى؟ أرجوك لا تهدر من وقتي اكثر مما أهدرت

محمد: انا اسف.. اسف جدا... اذا كنت قد اهدرت وقتك دون ان اقصد...

الفتاة: لا بأس.. لا بأس.. كل شيء يمكن تعويضه... والوقت اكثر الاشياء التي بالامكان تعويضها اذ كنت تريد.هل تريد... هل تريد..؟

محمد: أ أ... أريد.. أريد ماذا ؟

الفتاة: يا ربي اعني.. (تهمس) اذا كنت تريدني هيا بنا إلى داري.. وهناك نتفاهم على كل شيء..والا فدعني.. اكسب عيشي من...

محمد: (شبه منهار) يا الهي... تعنين انك؟ (يغطي وجهه، يعجز عن الكلام، يؤدي اشارات خرساء) لا... اجرؤ.. ان... ان... اصدّق!

الفتاة: (ببساطة) صدّق. وذلك الرجل هناك.. بانتظاري...

محمد: لا.. لا.. مستحيل.. انت.. لا.. اه.. لا..

الفتاة: اهدا يا سيد.. اهدأ... ارجوك... ولا تلفت الي الانظار...

محمد: ولكن كيف؟ كيف..؟ انا.. انا

الفتاة: استر علي يا أخي.. اخي.. يستر عليك الرّب.

محمد: (يطلق ضحكة هستيرية) مخبول. غبي. مجنون.. وكل تلك النعوت المازحة في الظاهر.. والمبطنة باقذع الشتائم واسوأ النوايا. الان الان عرفت سرها.. ومن أي مستنقع كانت تنبع..

الفتاة: (بحدة) ارجوك، لا اسمح لك بإهانتي (تنهض).

محمد: (يجرها من يدها.. بقوة) هكذا تقومين؟ بلا ثمن.

الفتاة: (بنبرة توسل) ارجوك.. دعني.. لا تفضحني..

محمد: خذي (يفرغ جيبه مما فيه من نقود.. على المنضدة بطريقة مهينة) خذي ثمن وقتك الغالي الذي اهدرته..

الفتاة: (تلم النقود بصمت... تدسها في حقيبتها. تنهض).. شكرا (تتوجـــه نحـــو الرجل الذي ينهض لاستقبالها.. مرحبا بها... تجلس إلى جانبه)

محمد: (في انهيار مفاجيء.. يتلوى.. يهذي) لا.. يمكن مستحيل.. طفلة.. بـــل.. بل.. ملاك.. و.. و.. اه.. لابد ان ثمة خطأ شـــنيعا فـــي الكـــون. فـــي الوجود. في المقدسات.. لوحتي.. لوحتي التـــي لـــم تكتمـــل.. كيـــف سأرسمها؟ بل كيف سأرسم اطلاقا؟ كيف سأعيش؟ ماذا ارســـم بعـــد.. بعد.. (يمنع نفسه من التقيؤ) عو.. عو.. عو.. (يســـد فـــاه بالمنـــاديل الورقية)، اه.. لا.. (تضعف مقاومته... يتقيأ بشدة.. يرمـــي المنـــاديل مقززا... ينهض متحاملاً على نفسه.. متوجها نحو الحمـــام.. الرجـــل والفتاة يخرجان معاً. يسير محمد بضع خطوات.. يسقط علـــى وجهـــه وهو يتقيأ بضراوة. يسرع اليه مدير الفندق وموسى وبعض العاملين)

موسى: (بهلع شديد) الطبيب.. اطلبوا له الطبيب.. بسرعة.. انه يتقيأ احشـــاءه.. اسرعوا.. اسرعوا..

المدير: ماذا جرى له، كان في احسن حال.. (يهجم على التلفون.. يخابر)

محمد: (بمشقة بالغة... وصوت متقطع لا يكـــاد يســـمع) ا... أ... اول... طـــا... ئر...ةأأأ.. احجزوا... لي... عـــ.. عـــ...على... اول... ط...

النادل: (باكيا) مات؟ اه مات.. اه ياالهي.. (يبكي).

موسى: انه يتنفس.. ما يزال يتنفس... لنسرع به إلى المستشفى هيـــا.. هيـــا.. ساعدوني.. اسرعوا.. يا أخوان.. (يحملونه خارج الفندق)

النادل: اخ.. ياربي.. اخ.. (يبكي بمرارة)

المدير: (يسرع خلفهم مولولاً) اه ربي... رحمتك... ربي عونك!

القــطط

كوميديا قائمة من فصلين

الشخصيات:

- شفيق: تلميذ دون الثامنة عشرة.
- شفيقة: خالته وزوجة عمه.
- سلمان: جدّه على أعتاب السبعين.
- الرجل ١ : مساعد طبيب من معارف الجد.
- الرجل ٢ : ممّرض من معارف الجد.
- المعلم: في حدود الاربعين.
- المفتش: في الخمسين.
- المجاميع: مجاميع من التلاميذ والتلميذات في اعمار متباينة.

اشارات:

- نشرت في مجلة ((الاديب المعاصر)) العدد ٣/ ٤- ١٩٩٢
- شاركت في ((مهرجان المسرح العراقي))
- قدمتها فرقة مسرح ١٤ تموز اخرجها الفنان حسين جوير

الفصل الأول:

[صالة داخلية في بيت من البيوت الشرقية المألوفة. يرتقع سلّم من أحـــد الجانبين. يغيب في الطابق العلوي. يقع تحته. الحمام. المطبخ. المغاسل الخ...

في الجانب الآخر. نافذة واسعة. مفتوحة الستائر. يواجه الجمهور بابـــان أحدهما لغرفة نوم. والآخر بضلفتين، يفضي إلى الخارج.

الوقت، قبيل الظهيرة، أشعة الشمس تملأ البيت.

الأثاث متواضع، ينم عن حال متوسطة، أو دونها. ثلاجة كهربائية. مـــائدة بقوائم متداعية. حولها بضعة كراس ليست افضل منها. جهاز هاتف. فوق محمـل خشبي.. حاجات أخرى، هنا.. وهناك..

سكون عام يشمل كل شيء ثم نسمع صوت من استيقظ لتوّه. صادرة مـــن غرفة النوم. بعد ثوان يحرج شفيق. مرتديا قميصا مقلما نصف ردن، وســـروالا قصيراً من القماش نفسه، أشعث الشعر، معتكر المزاج. تتســم تصرفاتـــه بـنزق الأطفال وعنادهم. بينما توحي هيئته العامة بأنه اكبر من ممارسة هذا النمط مـــن السلوك...]

شفيق: (يفرك عينيه. نصف نائم، يردد بشكل آلي) بحثت القطة عـــــ... عـــــ... عن.. اللحم (يتوقف) وبعد؟ وبعد؟ (يحـــاول أن يتذكـــر، يـــرن جـــرس الهاتف، يهجم عليه) هذا الرنين السخيف هو السبب في هـــذا التشـــتت الذي أصاب ذاكرتي. (يقطع أحد سلكيه، بعناية) والان اخرس. اخـــرس

إلى الأبد رن. رن. رن. أهذا بيت راحة. أم دائرة اســتعلامات؟ (يرفـع السماعة إلى اذنه) صمت مطبق... (يتأمل السلك) دقة متناهيــة. ومـن موضع غير مرئي، يعجز الشيطان عن اكتشافه (يرجع إلــى الثلاجـة) بحثت القطة عن اللحم (يتوقف) هيا.. يا شفيق. هيا تذكــر. تذكـر يـا شاطر. ماذا دهاك؟ (يضرب على رأسه) آها تذكرت. لم تعثر القطة علـى اللحم. (يتوقف عاجزاً) ثم؟ ماذا حدث؟ ماذا فعلت القطة الجائعة البائسة؟ آه... دائماً أنسى ذلك (يسرع إلى الغرفة، يخرج بورقة. يقرأ) هجمـت القطة على الفأر (يكررها، مغمض العينيــن، غاديــاً رائحــا. يصطـدم بالثلاجة) اخ (يفرك جبينه متوجعا. تسقط منه الورقة) الف مرة قلت لها لا تضعي عراقيل في طريقي. ولكنها امــرأة مصنوعــة مـن الحجـر. لاتسمع كلاماً ولا تنفذ امراً. (صارخا) تعالي يا شفيقة. تعالي انظــري. ماذا فعلت بابن اختك الوحيد (لاصوت. يصعد بانفعال، يتعـثر. يسـقط.. ينهض، يطوي درجات السلم يغيب.. هنيهة قصيرة في الطابق العلــوي. يعود خائبا) يا ترى أين ولّت؟ (يفتح الثلاجة) والثلاجــة فارغــة. آه... ماذا اكل؟ ماذا اشرب؟ آه....

كيف أدخل الامتحان ببطن خاو وريق ناشف؟ (يتوجه إلى الحمام) بحثـت القطة عن اللحم (يتوقف. فجأة) آه الورقة (يعود يخطفها. يعلو صوته من داخـل الحمام) بحثت القطة عن اللحم. لم تعثر القطة على اللحم. هجمـت القطـة علـى الفأر.. أويلاخ على الفأر... أويلاخ على الفأر!! (يكررها بضـع مـرات. يخـرج متوجها نحو الثلاجة. يفرغ محتوياتها على المائدة وهــو لا يكـف عـن ترديـد محفوظته. واذ لا يعثر على ما يبحث عنه يركل الثلاجة بغضب ويعود إلى غرفته. تاركاً الاشياء على المائدة. في طريقه إلى الغرفة يتوقف فجأة يتطلع نحو النـافذة،

كأنه يراها للمرة الأولى) والنافذة.. ما تزال كما هـي. وستائرها مفتوحة! آه (يغلق الستائر. بعصبية يدلف إلى الغرفة. يعلو صوته مردداً محفوظته مصحوبة هذه المرة بأصوات لطم على الخد وضرب على الصدر.. كثاكل في مناحة).

بحثت القطة عن اللحم.
لم تعثر القطة على اللحم.
هجمت القطة على الفأر.
أويلاخ على الفأر
أويلاخ على الفأر.

[يفتح الباب الخارجي، تدخل شفيقة. تعيد المفتاح إلى حقيبتها. تسحب إلى المطبخ سلة كبيرة مليئة بالطماطم. تسير على رؤوس أصابعها حريصة... أن لا تؤثر على شفيق. تتجه نحو النافذة وإذ تهم بفتح الستائر، ترتد كمن تتجنب اقتراف ذنب. تعيد محتويات الثلاجة إلى مكانها بامتعاض مكبوت تذهب إلى شفيق. تهم بطرق الباب. تتردد.. تتوقف ريثما ينقطع الصوت. يطول انتظارها. تتغلب على ترددها. تطرق الباب برقة..]

شفيقة: شفيق.. ولدي... افتح الباب (بصوت اعلى) شفيق.. شفيق (لا جواب. شفيق مستمر في القراءة) الا تسمعني.. (تهم بفتح الباب. تجده مغلقا من الداخل، طرق اقوى وبصوت اعلى) افتح الباب يا شفيق..
شفيق: (من الداخل) هجمت القطة على الفأر. ماذا تريدين يا شفيقة؟ اويلاخ على الفأر.. اويلاخ على الفار.. تكلمي يا شفيقة.
شفيقة: (لنفسها) شفيقة؟. بلا خالة ولا.. (تطرق الباب بشيء من الحدة).

شفيق: بحثت عن القطة عن الفأر. كفي عن ازعاجي من الصباح الباكر..

شفيقة: أي صباح؟ لقد انتصف النهار.

شفيق: لينتصف الليل ايضا اذ شاء. انا ادرس. انا اقرأ. لم تعثر القطة على اللحم...

شفيقة: المسألة مهمة.. ياو لدي

شفيق: اغربي عني... لا وقت لدي.. هجمت القطة على الفأر...

شفيقة: بضع ثوان.. بضع ثوان حسب.

شفيق: اويلاخ على الفأر، امشي.. امشي.. أنا زعلان.

شفيقة: ممن يا ولدي؟ مني؟ من خالتك الحنون شفيقة.؟

شفيق: انت لست شفيقة.. انت صخرة.

شفيقة: انا.

شفيق: انت قطعة من حجر الصوان.

شفيقة: ولد... ولدي!!

شفيق: انت بلا شفقة ولا احساس ولا حنان.

شفيقة: شفيق.. حذار. انت تتمادى كثيراً

شفيق: بل.. بل.. انت عدوة.. بلا عهد ولا امان.

شفيقة: تدبر كلماتك يا هذا. ولا تطلقها جزافاً على هذا النحو الظالم. انا.. لا استحق كل هذه المسبات والشتائم.

شفيق: بل تستحقين. تستحقين اضعاف اضعافها. ولكني مازلت يافعاً.. و.. وقاموسي اللغوي طفل رضيع. لم يكتمل نموه بعد ولا يسعفني باكثر في الوقت الحاضر، بيد اني اذ اكبر ويصبح الطفل الرضيع رجلاً ذا اسنان وانياب يفترسك... او.. او...

شفيقة: ويحي.. يا ويحي.

شفيق: او او يغرقك في بحر من الكلمات. بحر كثيف ثخين مثل.. مثل النفط الاسود.. او.. او مثل القار.. اجل.. اجل.. القار المغلي.. احسن..

شفيقة: ولكن لماذا؟ ماذا فعلت..؟ الا تقول لي ماذا فعلت..

شفيق: انت تخططين لدفني حيا

شفيقة: أتق الله يا ولدي.. أأنا اخطط لـ.. لـ..

شفيق: وبذكاء وعلى درجة عالية من الخبث. او بخبث على درجة عالية من الذكاء

شفيقة: لا. لا شك انك قد جننت.. جننك هذا الدرس المقيت الذي تردده منذ.. حللت عندنا..

شفيق: ولكي تبرئي ساحتك وتغسلي يديك من آثار جريمتك. تتركين الجوع ينوب عنك. يسكن معدتي. يأكل احشائي وأموت قبل الامتحان.. ولهذا السبب خرجت ولم تجهزي لي افطاري

شفيقة: وي.. وي.. كل شيء جاهز.. أعددته قبلما أخرج عصير الطماطم في الإناء الأصفر والعصافير نصف النيئة. نصف المسلوقة في الاناء الاخضر و..

شفيق: بحثت في كل مكان ولم اعثر عليه. هاتيه.. هيا أسرعي. بحثت القطة عن اللحم.. هيا.. هيا.. تحركي.. أنا أراك من شق الباب.

شفيقة: شفيق هناك ما ينبغي أن تعرفه ونتفاهم بصدده..

شفيق: بطني فارغ. وحين يكون بطني فارغا. لا أستطيع التفاهم مع أحد لا استطيع التفاهم حتى مع نفسي.. لم تعثر القطة على اللحم... هجمت..

شفيقة: الامر يتعلق بجدك.. يا..

شفيق: مات؟ وافرحتاه. ولكن اسمعي (يفتح الباب يطل برأسه) ثمة شرط. لا اريد في البيت ضجيجا ولا عويلا. ومجلس الفاتحة، ان كان لابد منه، يقام في الجامع، او على قارعة الطريق. فانا مقبل على الامتحان.

شفيقة: الامتحان؟ اليوم؟ اليوم هو الجمعة وليس من المعتاد ان..

شفيق: وما شأني انا بالمعتاد. من قال لك اني اسير وفق المعتاد. ان مهمتي.. ان الغي المعتاد. والقي به في مزبلة التاريخ..

شفيقة: افعل به ما نشاء. والق به.. حيثما تريد.. فقط دعنا نتفاهم حول..

شفيق: لا تفاهم. الفاتحة في الخارج. أو تلغى والبيت لا يخل بهدوئه من أحـــد.. وها أنا اصدر أمري بذلك (يعلق على الباب ورقة. يكتـب عليـها بخـط رديء واخطاء واضحة)- السيد شفيق يخوط امتحـان مـهم (الأخطـاء مقصودة) الظوطاء ممنوع.. الظجيج ممنوع- هذا- أمري. ومن يخـالف أمري انهي أمره (كذا)

شفيقة: (تضرب كفا بكف) طفل غرير ركبه شيطان العناد (يهم بالدخول.. تمسـك به) شفيق ليس الأمر كما تتصور. اسمعني يا ولدي ارجوك.

شفيق: اسمعك؟ اسمع من؟ اسمعك انت ام اسمع صراخ بطني ونبـاح جوعـي؟ أسمعك أنت ام اسمع نداء واجبي وتقريع معلمـي الـذي دسـت علـى اوامره.

شفيقة: انا؟.. انا دست على..

شفيق: ودست علي ايضا. انظري.. انظري النافذة شاهدة على ما أقـول. آه. يـا الهي.. ماذا اقول له إذ يأتي ويراها على حالها.

أسرعي. اسرعي.. هاتي قطعة خشب.. صفيحة حديد.. اي شـيء.. أي شيء.

شفيقة: بسعة النافذة؟ من أين ياشفيق.. من أين؟

شفيق: من باطن الارض. من علياء السماء. ام تريدينه يسقطني في الامتحان ويقضي على مستقبلي. (يقلب المائدة ويشرع بقلع قوائمها، هائجا)

شفيقة: (تحاول منعه) آه.. انها المائدة الوحيدة في البيت.. المائد.. ة.. الو.. حيد.. ة..

شفيق: (يدفعها يواصل فلع المسامير باسنانه. المسامير طويلة ويعاني صعوبة بالغة. يتوجع يصرخ) آخ.. أسناني.ز أخ (يسيل الدم على شفتيه) هاتي المقلاع. الا ترين اسناني تتكسر... الا ترين شفاهي تتمزق.. اخ... اخ...

شفيقة: جنون.. ما تفعله بنفسك وبي جنون مطبق. صبرا... صبرا (تأتي له من المطبخ بالمقلاع والمطرقة. بسرعة) خذ.. خذ... آه... ما كل هذه الدماء دعني امسح شفتيك.. دعني اعقم جروحك..

شفيق: (يلطع شفتيه) احملي معي.. ساعديني.. ناوليني المطرقة (يدق لوح الخشب على النافذة. يسدها تماما. يتاكد من قوته وسلامته) هكذا. لا عين فضولي ولا انفاس متطفل ولا حتى شعاع متسلل. الجو المثالي للدرس والمذاكرة وتحقيق افضل النتائج. في الامتحان. والان بقيت الستارة. اين الستارة.. هاتي الستارة..

شفيقة: وهل تركت، في النافذة، منفذا للنور؟ لقد اقمت في البيت ليلا اشد سوادا من الليل. فما حاجتك إلى الستارة.؟

شفيق: الستارة تعلق هنا (يقفز إلى عمق المسرح) وتمتد إلى هنا (يرتد إلى مقدمة المسرح) ستارة طويلة عريضة تعزلنا عن البيت تماما. هيا.. هيا تحركي.. ولا تنسي الوسائد والافرشة والسجاجيد ومستلزمات الشاي.

وكل ما يليق بمقام معلمي الجليل. ويلين قبله علي... (شفيقة لا تتحرك) مالك واجمه؟ ماذا بك؟ حزينة؟ حزينة على العجوز الذي رحل مع سعاله وشتائمه..

شفيقة: جدك... يا شفيق.. لم يرحل.

شفيق: (مصعوقا) ها.. ماالذي تقولين..

شفيقة: ذلك ما اريد اخبارك به. منذ عدت من عنده وانت لا تترك لي فرصة.

شفيق: ولكن.. كيف؟ كيف...

شفيقة: لقد رأف المولى الكريم بحاله و..

شفيق: وماذا؟ ما المطلوب مني ان افعل بهذه المناسبة السارة جدا. مناسبة خروج جدي المبجل من الكفن...

شفيقة: عليك ان تركن إلى الهدوء. وتقلع عن كل ما يسيء اليه او يقلق راحته اذ يعود إلى البيت.

شفيق: البيت؟ هنا؟ معي تحت سقف واحد؟ مستحيل. ما تطلبينه مني هو المستحيل بعينه قولي انك تمزحين. قولي انك لا تعنين ما تقولين. قولي انك تكذبين.

شفيقة: اكذب؟ أنا في مقام أمك وتقول لي بكل وقاحة أني اكذب...

شفيق: لعنة الله على أمي وعليك وعلي وعلى الدنيا كلها. أذهبوا به إلى مكان آخر، أي مكان غير هذا البيت.

شفيقة: هذا البيت بيته هو. وليس للإنسان غير بيته يأويه ويحن عليه.

شفيق: (يلطم وجهه) مرة أخرى أخيب الأمل المعقود على. اسقط في الامتحان واخرج منه مسود الوجه كالغراب (بحدة) اتركوه حيث هو راقد...

شفيقة: لقد مضت عليه ثلاثة اشهر وهو...

شفيق: وماذا يعني؟ أنت ممرضة سابقة، استخدمي نفوذك اطلبي منهم ان يعطوه بضعة أشبار من الأرض يلفظ فوقها أنفاسه..

شفيقة: لا تكن متوحشا إلى هذا الحد. انه جدك يا هذا.. جدك.

شفيق: حتى ولو كان أبي. فانا لا أطيقه. لا اطيق وجوده. لا اطيق سعاله.

شفيقة: (بنبرة غريبة) لا. لا.. اني اكتشف فيك امرا غريبا.. لا افهمه ولا اطمئن اليه (كمن تحدث نفسها) لا.. لا يمكن ان يوجد في الكون كله مخلوق تسكنه الكراهية إلى هذا الحد المريع...

شفيق: ها انت ذي ترين...

شفيقة: لا يمكن.. لا اصدق. دائما للكراهية حدود تتوقف عندها وتتراجع.. آه. استغفر ربك يا ولدي. وطهر روحك. فقد بت أخاف عليك. ان كراهية من هذا النوع. تدمر صاحبها قبل غيره.

شفيق: (بنزق) أنا هكذا.. ربي خلقني هكذا..

شفيقة: حاشاه.. الرب ارحم من أن يحشو أحدا بهذا القدر الشنيع من الكراهية. وأنت. أنت نفسك. لم تكن هكذا. فماذا جرى لك؟ ما الذي غيرك وجعل قلبك اسود إلى هذا الحد الفظيع.. إزاء أمك أولا.. ثم.. إزاء أبيك.. ألان إزاء جدك.. حتى جدك.. هذا الملاك الطيب المسالم الذي لم يسيء إلى مخلوق.. بات يكتوي بنار كراهيتك.

شفيق: لانه يكرهني. كلهم يكرهونني. وانا من يكرهني قدر شعرد، اكرهه ملء السماء والأرض..

شفيقة: لا احد يكرهك. صدقني أنها أوهامك التي تمتلئ بها نفسك. تصور لك الامر على هذا النحو المقلوب. والا هل سمعت بأم تكرد فلذة كبدها او أب لا يفنى في حب ابنه الوحيد البكر.

شفيق: لا تزال كلمات أبي، التي كانت تنزل على رأسي مطارق، صبـاح مسـاء. ترن في أذني. يرتج لها كياني. ياولد يا شاذ.. يا ولد يـا وغـد.. انـت اكلت رأس أمك. واذ نبذني ورحل دون ان ادري إلى اين.. راح جـدي هذه المرة، يكرر النغمة نفسها... هذا الولد يأكل رأسي.. هذا الولد...

شفيقة: ولدي. ولدي. لا تدع روحك الغضة الطفلة.. تمتليء بما يقال في لحظـات انفعال اقوى من طاقة الانسان على التحمل... لا تدعه يترسب في نفسك حتى يستحيل حقدا متورما. يسوقك إلى ما تندم عليه طيلة حياتك.

شفيق: إلى جهنم... كلهم إلى جهنم.. انا لا احب ايا منهم..

شفيقة: اياك يا ولدي.. اياك. ان تسيء إلى أي منهم.. اذا اردت ان احبك.

شفيق: انت الأخرى تكرهينني.. انت الأخرى.. لا تحبينني...

شفيقة: انا؟ انا لو كان لي ولد من لحمي ودمي لما احببته اكثر منك. ولكنك ولـد غر لا تعرف ما هو الحب.. ولا تدرك معناه.

شفيق: اذا كنت تحبينني حقا.. لا تعيدي العجوز إلى البيت.. لا تنحري في سـبيله مستقبلي... انا لا اطيقه.. لا اطيقه... يا خالتي...

شفيقة: انتقل إلى غرفتي في الطابق العلوي. انها معزولة.. و..

شفيق: مجنونة؟ قطعا انت مجنونة...

شفيقة: مجنونة؟ انا مجنونة:

شفيق: لابد ان تكوني كذلك. والا لما جرؤت ان تطلبي مني ترك غرفتي لغيري.

شفيقة: الغرفة غرفته، مثلما البيت كله بيته. بناه بيده حجرا حجرا. قبلما يكـون لك وجود. وان مكوثك فيها فترة رقاده، في المستشفى، لا يعنـي انـها صارت... غرفتك.

شفيق: لقد اعددتها اعدادا خاصا بي ولي. امضيت شهرين في تجهيزها بـــاحدث متطلبات الدرس والتهيؤ للامتحان.

شفيقة: في بحر دقائق احملها وانقلها لك... بنفسي.

شفيق: احمليه وانقليه هو. بنفسك او بالاستعانة بالابالسة. اما انـــا فلـــن أتـــرك الغرفة.

شفيقة: مرة واحدة. كن معقولا مع نفسك. أنى لرجل مريض. مقعد.. ان.. يصعـد وينزل هذا السلم.

شفيق: ليصعد ولا ينزل. يدفن هناك. او ينزل في تابوت، محمولا على الاكتـــاف. وانت! اما انت اخ.. لو لم يكن موعد امتحاني.. اليـــوم. (يندفـــع إلـــى الغرفة)

شفيقة: (تتعلق به) شفيق ولدي..

شفيق: (يدفعها) كفاك.. كفاك قتلا لوقتي. المعلم في طريقه إلى. لا تحمليني علـــى كراهيتك.. انت تعرفين جيدا. كيف اعامل من اكره (يتوقف قبلما يدخـــل) واسمعي جيدا. اذا ما حاول احد انتهاك حرمة غرفتـــي اقتلــه. بندقيـــة الصيد في الداخل.. محشوة ولا اقول اكثر (يدخل. يعلو صوته. مـــرددا)) بحثت القطة عن اللحم.. لم تعثر القطة على اللحم..

شفيقة: (تتهالك على نفسها في حالة شديدة من الاعياء والعجز وقلـــة الحيلـــة) والعمل؟ ما العمل يا الهي؟ ماذا افعل الان؟ انه ولد متـــهور. لا يتـــورع عن ارتكاب أي شيء.؟ اه. والجد.. الانسان الوحيد الذي بقى لـــي فـــي هذه الدنيا القاسية.. اين اذهب به..؟ اين؟.. اين؟

شفيق: (يقطع قراءته. يطل برأسه) اما آن لك ان تقدمي لي طعـــامي.. اتنويـــن قتلي من الجوع؟

شفيقة: (تنهض. تتوجه نحو المطبخ. تتوقف عند السلم. تتأمل الفسحة الكائنة تحته.. تتريث عندها. تقيسها بعينيها) هنا؟ هل يمكن؟ (عاجزة عن اتخاذ قرار) اه.. ربي عونك. (تدلف إلى المطبخ. يعود شفيق إلى ترديد درسه. تخرج شفيقة بالطعام. تتوقف ثانية عند المكان) لا حيلة لي. وليغفر لي الله...

شفيق: (يفتح الباب. يخطف عصفورة. يلتهما)
انصرفي إلى تهيئة مكان الدرس.

شفيقة: (تدخل الغرفة. يحاول منعها. تدفعه)
آخذ السرير.. سرير جدك.

شفيق: خذيه. كلما وقع عليه نظري، تخيلته راقدا فوقه. تعالي خذيه. انا.. لا المسه (ينسحب)

شفيقة: (تفتح الباب إلى آخره. الغرفة معتمة لا ينيرها سوى ضوء اصفر شاحب. تسحب السرير وهو عار. بعتلات صغيرة. يسرع شفيق باغلاق الباب.. ويعلو صوته مجددا بين المضغ والقراءة. شفيقة تدفع السرير تحت السلم تكنس الارض. ترشها ببعض السوائل المطهرة. تأتي بالافرشة من الطابق العلوي. ترتبها. تطمئن إلى عملها. ترنو اليه بحزن وأسى الشخص العاجز عن تحقق ما هو افضل) بصورة مؤقتة حسب.. اليوم فقط.. لن ادعه راقدا هنا.. اكثر من اليوم. سأسترد له غرفته مهما حدث..

شفيق: (يفتح الباب. يناولها صينية الطعام) والمكان. هل نسيت مكان الدرس؟

شفيقة: لا.. لا. الان (تأخذ اواني الطعام إلى المطبخ.. ثم تصعد إلى الطابق العلوي بينما ينصرف شفيق إلى ترديد محفوظته. بعد فترة وجيزة تنزل

شفيقة.. بالافرشة والسجاجيد والوسائد.. تفرشها، ترتبها تصعد وتـنزل بضع مرات حتى تتشكل هيئة ومستلزمات غرفة مصغـرة، غريبـة- لا تمت إلى زمن المسرحية بصلة- يترك تصورهـا وتجسـيدها للمخـرج ومصمم الديكور- تتأمل المكان، لنفسها) ترى مـا سـر الولـع بـهذه الاشياء الغريبة؟ (تهز كتفها غير حافلة صوت توقف سيارة. تسرع نحو الباب الخارجي تفتحه).

شفيق: (يطل برأسه) سيدي المعلم.؟

شفيقة: لا انها سيارة المستشفى (شفيق يختفي غالقا الباب باستياء).

[يدخل رجلان، بملابس المستشفى، يسندان الجد. الذي يتنفس بارتيـاح اول ما يدخل. ثم يظهر إنقباض شديد على وجهه مشوبا بالدهشة والامتعاض. اذ يدير نظراته في ارجاء البيت. تسرع شفيقة، تكشف الغطاء عن السرير].

الاول: البيت خانق جدا   اما من نافذة؟ فتحه..؟

شفيقة: (متهربة من سؤاله) على مهلكما.. على مهلكما.. هنا.

الرجلان: (معا في ان واحد) تحت السلم؟

(يتوقفان باستنكار شديد)

شفيقة: (باحساس كبير بالحرج وانعدام الحيلة)

لكي يكون قريبا من المغاسل و.. و(الرجلان لا يتحركان) ارجوكمـا.. لا تدعاه يتعب من الوقوف على قدميه.

الاول: سيدتي، ليس من حقي التدخل، ولكن هل ترين هذا المكـان لائقـا بمقـام الرجل.. (صوت شفيق يتوقف من داخل الغرفة)

الثاني: واي رجل. رجل بمعنى الكلمة. من اعظم بنائي البلـــد وامـــهرهم. أفنـــى عمره يبني البيوت للناس. وفي النهاية لا يجد لنفسه غير هذا المكـــان..
(شفيق يستمع من شق الباب).

شفيقة: بصورة مؤقتة حسب. غرفته شغلها حفيده وهو مقبل على امتحان خـــاص يتوقف عليه مصيره، كما يقول، والغرفة الاخرى في الطـــابق العلـــوي وليست ثمة مغاسل ولا حمام..

الاول: كان ينبغي اخلاء غرفته. واسكان الولد هناك.

شفيقة: حاولت. يشهد الله اني بذلت المستحيل (بصوت خافت) ولكن الولـــد فـــي عناد البغل وتهور الشيطان (ثم بشفقة).. انه يتيم. توفيت امه قبل بضـــع سنوات. وابوه سافر إلى الخارج. ولم يعد له احد يأويه ويعتنـــــي بـــه. ارجوكما.. ساعداني.. تعال يا عمي.. تعال يا أبي.. ولا تغضـــب علـــي ارجوك.. لا تحرمني من رضـــاك.. (الجـــد.. تنفتـــح اســـاريره بعـــض الشيء.. يمددونه برفق على السرير. شـــفيقة تســـحب الغطـــاء إلـــى منتصفه)

الثاني: (باستياء واضح) اما كان المستشفى اكرم لك؟ امـــن اجـــل هـــذا المكـــان اصررت كالطفل، على العودة إلى البيت.

الاول: يبقى البيت، مهما كانت ظروفه، بالنسبة للانسان. مثل ثـــدي الام للطفـــل الرضيع لا يأنس ولا يجد راحته ألا به وفيه.. (شفيقة تشـــهق مختنقـــة بالدموع) عفوا سيدتي.. لم اقصد إيذاءك.. فالعم ســـلمان بمثابـــة الأب الحقيقي لي، عملت معه، في معظم المباني التي أقامها، وكان نعـــم الأب الموجه. ويعز علي ان أراه.. ملقى.. هكذا.. تحت السلم.

شفيقة: (تكفكف دموعها) ومن لا يعز عليه، حتى أحجار البيت يعز عليها ان ترى سيدها.. ملقى هنا. الا ذلك الحجر الذي احتل غرفته آه.. فقئت عيناك يا شفيقة (تقبل نحوه) فقئت عيناك يا شفيقة. كيف حالـــه الان؟ احســن؟ اهو.. احسن؟

الثاني: كان الله في عونه. ان خمسين عاما من الكد والشقاء تهد الجبل. ومع هذا فقد تحسنت حاله بعض الشيء، بفضل رعايــة الدكتــور (يشــير إلــى صاحبه) وعنايته. نبضه انتظم إلى حد ما ولكنه مــا زال يعــاني مــن الأرق.

الأول: بسبب أوجاع مفاصله (يعطيها قنينة دواء صغيرة) وقت الحاجة الماســة، يمكن إعطاؤه بضع قطرات منه.. تسلمه إلى نوم مريح.. (شفيقة تخفـي القنينة تحت وسادته) ولتكن وجبات طعامــه خفيفــة. حســاء وبعــض السوائل، عصير البرتقال أن أمكن. وإذا استعصت عليه إفرازاته وهـــو أمر متوقع، في حاله، استعملي الحقنة. لا تدعـــي بطنــه ينتفــخ.. ولا حرارته ترتفع.

الثاني: وفي حالة حدوث اية مضاعفات. لا سمح الله. اتصلي بنا في المستشـــفى فاليوم نوبة فاليوم نوبة خفارتنا ونحن في الخدمة.. وقيد الطلب..

الأول: (يتحسس حرارة الجد) هو ألان نائم.. لقد سقيته بضــع قطــرات.. تجنبــا لصعوبات الطريق..لا بأس عليه دعيه حتى يصحو من تلقاء نفسه.

شفيقة: وفقكما الله، كليكما.. بارك الله فيكما (يخرجان) في أمان الله.. رافقتكمـــا السلامة.. اخوي الكريمين.. (تسد الباب خلفهما. تعود إلى الجد تســحب عليه الغطاء..) نوم العافية.. يا جدي الحبيب..

شفيق: (مندفعا من الغرفة) بماذا كان الرجلان يهذيان..؟

شفيقة: هش.. هش.. جدك نائم.

شفيق: نائم؟ هل سقيته الدواء..؟

شفيقة: أي دواء؟

شفيق: سمعت أحدهما يتحدث عن دواء منوم.. شيء سحري يغرقه في النوم.

شفيقة: وما شأنك انت؟ ليس هذا من شأنك...

شفيق: اسقيه منه، يا خالتي، وكلما صحا.. اسقيه المزيد منه.

شفيقة: شفيق لا تتدخل فيما لا يعنيك. رح إلى دروسك وامتحانك.

شفيق: ولكن يجب ان يظل نائما ومن غير الدواء يصحو. وأذ يصحو.. يسعل ويشتمني.

شفيقة: وهل عرف لسانه العفيف السب او الشتم يوما؟ لماذا تفتري على الرجل (كمن تخاطب نفسها) ليته يصحو.. وليسعل ويشتم أيضا ما شاء. على الأقل يشعرني بأنه حي. ولكن.. وا.. أسفاه.. لقد اثقل المرض لسانه..ولم يعد قادرا على تحريكه.. اه (ترفع يديها إلى السماء) ربي ارحمه.. اشفه يا ربي. اشفه.

شفيق: بل خذه ياربي خذه. إلى جوارك.. لا تستجب لدعائها واستجب لدعائي انا.. فانا الذي أحترق في نيران شتائمه وسعاله..

شفيقة: (تسحبه بعيدا عن الجد) تعال.. تعال. الق نظرة على المكان المتحفي الذي طلبته.. ها؟.. هل يعجبك؟

شفيق: والجدار؟ أين الجدار؟.

شفيقة: أي جدار؟.

شفيق: الجدار الفاصل.

شفيقة: لا اعرف عن أي شيء تتكلم. فانت

شفيق: الستارة. الستارة التي تعزلنا عن البيت. مثل الجدار الفاصل. هل نسيت؟

شفيقة: شفيق. ليس في البيت ستارة بهذا الطول.

شفيق: شفيقة. اهذا بالوقت المناسب للمزاح.؟

شفيقة: انا لا امزح ليس في البيت حتى قطعة قماش تصلح لأن تكون..

شفيق: اشتري من السوق. اشحذي من الجيران. مزقي ملابسك.. واصنعي منها الستارة المطلوبة.. هيا.. هيا.. لا تدعيني افقد اعصابي.

شفيقة: لا تصرخ.. لا تصرخ (تشير بقلق إلى الجد) سأذهب إلى السوق واشتري.. امري لله (تتجه نحو الباب. تتوقف. تلقي نظرة على الجد.. تخاطب نفسها..) لا.. لا ينبغي ان افارقه. فقد يصحو.. ويطلبني في امر ما..

شفيق: هيا؟ ماذا هناك؟ هل عدلت عن عزمك؟

شفيقة: (تشير إلى الطابق العلوي) سأنزع ستائر النوافذ هناك.. واخيطها لك..

شفيق: اسرعي فقط اسرعي. قبلما يصل سيدي المعلم (يدفعها نحو السلم) عسلك تنزعين جلدك وتخيطينه (يعود إلى الغرفة. يصدر من الجد صوت اشبه بالحشرجة. يتوقف بنزق) مثلما توقعت ها هو قد صحا واخذ يشتمني. يسعل ويشتمني. هو ووم (يخرج له لسانه. يدلف الغرفة. يعلو صوته بمحفوظته المعهودة. مصحوبا باللطم والضرب. يتوقف فجأة اذ يعلو صوت ماكنة الخياطة من الطابق العلوي. يخرج بسرعة وبعصبية شديدة) شفيقة.. شفيقة.. هل تهدمين الدار فوق رأسي.؟ (يركل السلم) ما كل هذا الضجيج؟ ما كل هذا الصخب لماذا لا تدعينني ادرس. لماذا لماذا..؟

شفيقة: حسنا.. حسنا (يخفت الصوت) ادخل الغرفة.. جدك نائم.. لا تصرخ.

شفيق: جدي.. جدي. لا يهمك من الدنيا كلها غير جدي (يعود إلى الغرفة) ليست جدي يموت.. يموت ان شاء الله (يوجه حركة قبيحة إلى الجد وهو يدلف الغرفة يعلو صوته من جديد) بحثت القطة عن اللحم. بحث القط عن اللحمة؟ ها؟ ماذا قلت؟ بحث القط عن اللحمة؟ (يتوقف) لم لا؟ انه تغيير. انه تجديد.. انه تطوير للدرس. اذا كانت القطة تبحث عن اللحم فمن حق القط ان يبحث عن اللحمة. الله؟ الله؟ وعلى اساس ذلك وفي ضوئه يمكن تغيير الدرس كله، تجديده وتطويره. على هذا النحو. بحثت القطة عن اللحم.. بحث القط عن اللحمة لم تعثر القطة على اللحم.. لم يعثر القط على اللحمة هجمت القطة على الفأر.. هجم القط على الفأرة. الله.. الله! رائع. رائع! (يخرج بفرح طائح) خالتي شفيقة.. خالتي شفيقة..

شفيقة: ماذا؟ هناك؟ لماذا لا تدع جدك يرتاح بعض الوقت؟

شفيق: تعالي هنئيني. تعالي قبليني.. (شفيقة تنزل وبيدها الستارة) لقد طورت الدرس يا خالتي.. لقد اضفت عليه اضافات مذهلة. من عندي.. وحدي..

شفيقة: (تحاول اسكاته) جيد.. جيد.. فقط لا تصرخ..

شفيق: لقد حولت القطة إلى القط.. واللحم إلى اللحمة. والفأر. يا خالة حتى الفأر.. حولته إلى فأرة. ما رأيك بهذا الابداع العظيم.؟

شفيقة: (تنظر اليه باشفاق) حسن.. حسن.. لو.. لو ترتاح يا ولدي..

شفيق: لا. لا. لن ارتاح.. ولن يستقر لي بال.. حتى اعرف رأي سيدي المعلم بهذه الاضافة الرائعة (يقترب منها) ترى كيف سيكون رد فعله.؟

شفيقة: (وهي منصرفة إلى تعليق الستارة) مشجعا.. كل معلم يشجع تلاميذه..

شفيق: (منتكسا) اخشى ان لا يكون كذلك.. فانا لم استأذنه.

شفيقة: (بدهشة) وهل انت بحاجة إلى اذن لكي..

شفيق: وإلى امر ايضا. لا بد ان يأمرني هو اولا..

شفيقة: عجيب!! ما اغرب ما اسمع..

شفيق: ثم هو جديد. لا اعرف مزاجه.. ولا ادري اهو من النوع الذي يشجع.. المبادرات الشخصية ام يكبتها ويمنعها..

شفيقة: ومعلمك السابق، ذلك الرجل القميء الذي كان تلميذا معك وصار معلما لك.. ماذا جرى له؟ لماذا استبدلوه..؟

شفيق: لقد صار مفتشا.. (بحزن شديد) كلهم يصعدون على اكتافي. وأنا وحدي باق حيث انا.. (يحبس دموعه ويفر إلى الغرفة)

شفيقة: لا تبك.. يا ولدي.. لا تبك. (تسرع خلفه مواسية)

شفيق: (يغلق الباب بحدة) اغربي عني.. لا اريد احدا يشفق علي.. لا اريد احدا يشفق علي.. لا اريد احدا يطلع على ضعفي (يستعيد حماسه بسرعة.. ويردد محفوظته بصوت عال. مصحوبا بالضرب واللطم.. على نحو اقوى واشد).

شفيقة: (تجمد دهشة لفترة وجيزة) ما اغرب اطواره! (ثم) ولد غريب الاطوار حقا.. (تعود إلى عملها. تعلق الستارة على جسر يسهل تحريكها. تكومها في عمق المسرح. تتجه نحو الجد. تقف على رأسه هنيهة..) نائم؟ اما زلت نائما؟ اما زلت نائما. (تجلس على حافة السرير) اما آن لك ان تنهض؟ تأكل شيئا.. تشرب شيئا (صمت)لو.. لو تفتح عينيك.. الا.. تسمعني.. عمي.. هل انت بخير.. طمئني يا عمي.. (يفتح الجد عينيه بتثاقل) اه.. واخيرا حمدا لله.. حمدا لله.. (تقبله) لقد أعددت لي

روحي التي كادت تقضي عليها مخاوفي وهواجسي. اما جعت؟ هل اعد لك شيئا تأكله.. (الجد بصعوبة بالغة يومئ إيجابا. بحنكة.. تشهق بفرح غامر) الآن.. الآن.. أسخن. لك الحساء انه جاهز.. لحظة يا جدي.. لحظة واحدة (تسرع باخراج قدر من الثلاجة. تدخل المطبخ.. تعود بعد هنيهة. بالحساء في اناء عميق) لا.. لا.. تقلق.. لا تكلف نفسك ادنى مشقة.. انا.. انا ابنتك أطعمك (تجلس على مقربة منه تطعمه بحماس ونشوة) كل.. كل. مشافى. ان شاء الله.. مشافى.. (تحضر منشفة. تمسح أطراف شفتيه) شبعت؟ كما تشاء يا أبي الحنون.. كما تشاء.. يا أبى الحنون.. كما تشاء.. (الجد يشير إشارة خاصة) عطشت ماء؟ أتريد ماء؟ من عيوني.. أسقيك ماء عيوني.. (تسقيه) لا. لا تشرب كثيرا.. لا تملأ معدتك بالماء.. سآتيك بالعصير.. عصير برتقال طازج.. لقد أوصى الطبيب لك بعصير البرتقال. ها.. (تعامله كما لو كان طفلا) البرتقال. حلو. لذيذ.. طيب (الجد يحاول ان يبتسم.. تبتسم له هي الأخرى. تهرع إلى المطبخ.. الجد يتبعها بنظراته. تخرج حائرة. تفتح الثلاجة.. تبحث فيها) يا الهي.. أين وضعت كيس البرتقال لقد اشتريته صباح اليوم. انا متاكدة. اه.. لقد تركته عند البقال. لم استطع حمله مع سلة الطماطم الكبيرة.. الان.. الان (الجد يحاول ان يقول لها.. ان لا حاجة) لا..لا.. المحل قريب.. بضع دقائق حسب.. أعود إليك طائرة. (تعدل له الوسادة. تسحب الغطاء إلى منتصفه..) ولكن لا تنم.. يا ابي.. أرجوك.. انتظرني ولا تنم.. لن أتأخر عليك (تقبله من جبينه. تسرع بالخروج. يرنو خلفها بعيون ملؤها الحنان).

شفيق: (يواصل قراءته وممارسة طقوسه) اويلاخ على الفأر اويلاخ على الفأرة
(يصرخ) لا الفأرة لا. يجب ان التزم بحدود الدرس ولا اخترقها قبلما أنال موافقته. (يهدأ) من جديد.. يا شفيق هيا.. من جديد. بحثت القطة عن اللحم.. بحث القطة عن اللحمة.. اه.. لا.. لا.. أي شيطان خبيث. يقحم هذا الكلام السخيف، السافل المنحط. على مفردات درسي المتسلسلة المتزنة المنسجمة مثل حبات العقد.. فيخل باتزانها وانسجامها..؟ أيكون كل ذلك بسبب ذلك التعب؟ لا..لا.. التعب لا يملك كل هذا الخبث ولا هذه القدرة الخارقة في التسلل إلى فقرات الدرس.. ثم. ثم شفيق لا يتعب.. شفيق لا يضعف.. شفيق لا يعترف بالتعب ولا يقر بالضعف. هيا.. هيا يا شفيق اعد الكرة..

الجد: (يسعل بضعف.. يقاوم سعاله باذلا أقصى درجات الجهد. يمد يده نحو كأس الماء. تعجز أنامله عن الإمساك بها. تسقط.. على الأرض)

شفيق: (يقطع قراءته يقفز خارجا، يصرخ) شفيقة.. شفيقة..

الجد: (يشير بصعوبة بالغة إلى أنها خرجت)

شفيق: خرجت؟ اذن فأنت الذي تحدث كل هذه الضوضاء

الجد: (إشارات خرساء. يبذل المزيد من الجهد لكبت سعاله)

شفيق: لقد اخذت تسعل. لا تكذب. لقد سمعتك تسعل وتشتمني. انا اعرف انك تكرهني ومنذ زمن طويل.. منذ ماتت امي. ضاعفت كراهيتك وبغضاؤك لي بعدما رحل ابي..

الجد: (يحدق فيه.. كاتما سعاله، الذي يحاصره والذي يفلت منه بالرغم من الجهد الكبير الذي يبذله)

شفيق: أرأيت؟ هل سمعت سعالك؟ ان سعالك هو الشيطان الخبيث.. الذي تطلقه.. ليفسد علي دروسي.. ويربك ذاكرتي..

الجد: (يشير اشارات خرساء إلى الكأس الساقطة.. المهشمة)

شفيق: ماء؟ هل تريد الماء؟ على العين والرأس؟ يا جدي العزيز... سأسقيك روح الحياة.. اكسير الحياة (يخطف قنينة الدواء من تحت الوسادة.. الجد يدفعه عنه بوهن شديد شفيق يحاول فتح فمه عنوة. الجد يقاوم) حصان. فكا حصان. خذ اشرب. هيا اشرب.. اشرب ونم نومك الابدي.. هيا اشرب.. اشرب ونم(يفرغ القنينة في حلقه) والان.. حاول ان تسعل.. اسعل واشتمني ما شئت. ان استطعت. قسما برب الكائنات اسحق القنينة نفسها.. واملا حلقك بالشظايا.. (يسحب عليه الغطاء)

(يعود إلى الغرفة تاركا الجد، يتلوى بعض الوقت، ويتعذب ثم يخمد في مكانه بلا حراك..عدا صدره الذي يعلو ويهبط... بضعف شديد. بينما يعلو صوت شفيق، ويغدو صراخا مشروخا. وعويلا مفتتا. مصحوبا كالعادة باللطم والضرب مثيرا المزيد من الضجر والملل بحكم الرتابة وانعدام التنوع والتلوين.. حتى بفقد الجمهور حياديته ازاءه. ويغادر الصالة مع هبوط الظلام، على المسرح، ببطء.

الفصل الثاني

[مشهد الفصل الاول نفسه. بعد بضع ساعات من وقوع احداثه. كل شـــيء على حاله. الجد ممد في مكانه، مغطى. الوقت قبيل الغروب. الظلام قــــد زحـف نوعا ما. مع ان الشمس في الخارج لم تغب تماما.. اذ ما تزال خطوط من أشعتها تتسلل عبر الشقوق. شفيق. قد خفت صوته، بعض الشـــيء، وان لــم ينقطــع.. واستحال لهاثا ممطوطا. جراء التعب والإنهاك. شفيقة تنزل من الطابق العلـــوي. وهي بهيئة من قضت قيلولة، غير مريحة. تتوجه نحو الجد بقلق اذ يختض بشكل غير طبيعي..]

شفيقة: يا الهي (تكشف عن وجهه. تصعق) ما هذا؟ ما كل هذا العرق الذي تسبح فيه (تمسح عرقه. تجس نبضه. تتسمع إلى دقات قلبه بســـاضطراب) لا. لا. أن أمرا غريبا يجري له. أيكون بسبب بضع ملاعق الحساء الـــذي.. لا.. لا. الحساء لا يوصله إلى هذه الحالة الغريبة.. آه.. والعمل (تغـــدو في حركة دائبة. تضع كمادات ماء بارد. تحركه. تدلكـــه. تـــهجم علـــى التلفون) آه.. لا الآن. أنا في أمس الحاجة إليك.. تخرس كقطعة صخـــر (تلقى السماعة يائسة) اللهم انجدني ربي أرشدني ماذا افعــــل (تطـــرق الباب على شفيق) شفيق تعال. تعال انظر ماذا حـــدث لجـدك (يخـــرج شفيق) حين تركته كان في احسن حال. واذ عدت ووجدته قـــد ســـحب

الغطاء على وجهه.. قلت لنفسي.. لقد نام.. لادعه يرتاح.. فرحت واستلقيت فوق سريري.. والان انظر.. انظر..

شفيق: انه في اتم الصحة والعافية. دعيه.. دعيه على حاله..

شفيقة: ادعه على حاله؟ ما الذي تقوله أأدعه يغرق في عرقه الذي يسيح من كل إنحاء جسمه أأدعه يحترق في حرارته التي غدت كحرارة تنور مشتعل؟. انه لم يعد يقوى حتى على التنفس.. ويلتاه.. ويلتاه.. أسرع يا شفيق. أسرع.. هات له طبيبا..

شفيق: (جامدا. ينظر أليها بدهشة) أراك في غاية القلق والخوف عليه. أتحبينه إلى هذا الحد..؟ كنت أحسبك تشفقين عليه وحسب.

شفيقة: (باكية) احبه.. احبه وحسب.؟ أنا افديه بروحي ومهجتي وكل ما املك.. انه أبو زوجي وفي مقام أبى وأمي كذلك.. وباني هذا البيت الأمين. الذي يقيني أهوال التشرد والفساد.. كيف لا احبه.. كيف لا افنى نفسي في سبيله.. شفيق أسرع.. أرجوك.. أسرع.. ان حالته تبدو خطيرة.

شفيقة: سأسرع.. سأسرع فعلا.. ولكن إلى غرفتي ودروسي.. واياك ان تقلقي راحتي

شفيق: (تعترض طريقه.تمسك به) لا يمكن يا شفيق.. لا يمكن.. أية راحة تلك التي تتحدث عنها.؟ لن تكون في البيت كله راحة.. إذا ما حدث له مكروه..

شفيق: أنا لن تتحقق راحتي ألا إذا حدث له مكروه.. فدعيني ولا تحميلني على خنقك وخنقه بيدي هاتين..

شفيقة: ويحك يا شفيق.. يا تعس.. انت لا تدرك معنى ما تقول. لا تدركه ولا تعيه.

شفيق: بل ادرك واعي جيدا.. واعني كل حرف قلته.. واذا لم يحقق لي القدر ما اطمح أليه.. فسأحققه بنفسي، ذات يوم (يدلف إلى الغرفة ويغلق الباب)

شفيقة: وحش. ان في داخل هذا الغلام وحشا.. وحشا حقيقيا (تنتفض) اه.. والجد.. لا بد من أحد يساعدني. ماذا بوسعي ان افعل وحدي؟ ولكن إلى من. أتوجه.. إلى من..؟ (تفتح الباب الخارجي. تهم بالخروج ولكنها تعود بسرعة) لن اطمئن على تركه ثانية واحدة على هذه الحال (تقبل نحوه تتحسس أنحاء مختلفة من جسمه) كأن جسمه يتخشب. آه وبطنه.... بطنه انتفخ. غدا مثل الطبل.. لماذا أيها العزيز..؟ ماذا جرى لك أيها الحبيب (تكشف بين ساقيه) يابس. ملابسه يابسة. المنام يابس.. لم تخرج منه قطرة واحدة. أيكون ذلك هو السبب.. فيما يعاني؟ (ساهمة) ربما ربما (تنتفض كمن اهتدت إلى الحقيقة) بل بالتأكيد. بكل تأكيد. (تهرع إلى المطبخ، تعود بالحقنة تجهزها) استدر يا عمي.. استدر..لقد عرفت السبب.. وسهل العلاج.. (تقلبه إلى الجانب) لا..لا تتشنج.. ارتخ.. ارتخ. روحي فداك.. ثوان.. ثوان حسب.. وسيكون كل شيء على ما يرام.. ثوان فقط.. ها قد انتهى.. انتهى كل شيء وستغدو على احسن حال.. مثلما كنت..بل واحسن مما كنت (تضع أناء بين ساقيه. تشرع بتدليك بطنه برقة ومهارة.. تواصل تدليكه لفترة) هيا يا عمي.. هيا يا أبي.. لا تستح... انا ابنتك.. هيا.. افرغ ما في جوفك.. هيا يا عزيزي.. هيا.. يا جدي (تمر فترة مناسبة يظلم خلالها المسرح ثم يضاء وهي لا تزال تواصل تدليك بطنه والتوسل اليه.. ثم يتهلل وجهها وتصرخ بفرح) اه.. لقد اخذ يشخب.. الجد يشخب.. لك الحمد يا ربي.. (الجد يمسد على شعرها بضعف وامتنان بالغ. شفيقة تلثم أنامله)

عيناك الحنونان. عادتا تومضان بالحياة.. تبثان في الامـــل والرجـــاء.. (تحتضنه. تقبله) ليس لي سواك.. يـــا جـــدي الحنـــون. لا.. تـــتركني وحدي.. انت كل من بقي لي في هذه الحياة الظالمة، في هـــذه الحيـــاة الظالمة، في هذه الدنيا القاسية. (تعانقه. ترفع الاناء من بيـــن ســـاقيه) والان سآتيك بالعصير.. عصير برتقال طازج اعددته لك (تســـقيه كـــأس عصير) اشرب بالشفاء العاجل. ان شاء الله (يشرب الجد) كنت اموت لو حدث لك شيء.. ولكن لا.. لا.. لن يحدث لك شيء.. ما دمـــت معـــك. وسأبقى معك.. أخدمك واحميك.. حتى نعود ذلك الرجل الذي كنت. ذلـــك البناء العظيم.. الاسطة الحاذق.. الذي كنت.. تبني للناس بيوت الســـعادة والامان (تمسح له شفتيه. الجد يشير إلى النافذة) ها.. النافذة؟ ســـأفتح الباب. الجو خانق فعلا.. سأفتح الباب على مصراعيه.. ليدخل الـــهواء.. نظيفا.. نقيا (تفتح الباب. الجد يتنفس بارتياح) حاول ان تنام يا جـــدي.. نوم العافية.. النوم يريحك (تسحب الغطاء على منتصفه. تقـــف قربـــه هنيهة) ما اسرع ما تنام كالطفل البريء كاكثر الاطفال براءة (تقبله مـــن جبينه. تنصرف إلى لم الحاجات بحذر وهدوء.. تدلف المطبخ.. تغســـل الاواني والصحون. موسيقى مناسبة، صوت شفيق قد خمد تماما..)

(بعد فترة وجيزة، يدخل رجل. يرتدي (بجامة) مقلمة. على رأسه قلنســـوة مـــن القماش نفسه يخفي عينيه تحت نظارات سوداء. يحمـــل بيـــده حقيبـــة كبيرة سوداء يدخل بسرعة. يتوقف فجأة انه تعبـــان، متوتـــر. منفعـــل لادنى سبب)

المعلم: أنا المعلم. حضرة المعلم الجديد (يتلفت حواليه وأذ لا يجد أحــدا. تـأخذه الدهشة) ما هذا؟ هل أخطأت في البيت؟ أيمكن ان يحدث أمر كهذا لــي؟ حتى لي انا معلم الاجيال. الذي ربى وعلم وما زال يربي ويعلم الاجيـال تلو الاجيال؟

شفيقة: (خارجة من المطبخ، تمسح يديها) آ.. آ.. المعلم حضرة المعلم.. الجديد؟

المعلم: حسن انك عرفتني... يا سيدة شفيقة.

شفيقة: (تلقي بالمنشفة على احد المقاعد. وتقف حاجزة بينه وبين سرير الجـد) و.. وتعرف. اسمي؟

المعلم: انا لا تخفى علي خافية.. اعرف كل شيء (ثم بحدة) ما الذي يجري هنا؟

شفيقة: (تدفع بظهرها السرير، تحت السلم) لا شيء لا شيء غير طبيعي..

المعلم: وهذا الذي تراه عيناي؟ ام حسبتني اعمى لانني اضع نظارات سوداء؟

شفيقة: و.. ما الذي تراه عيناك يا حضرة المعلم؟

المعلم: ما يدفعني إلى الشك في قواي العقلية ما يحملني على الاعتقاد بـاني انـا الاخر يمكن ان اسقط في الغلط، شأني شأن، الناس جميعا.

شفيقة: (بقلق متزايد تدفع السرير بظهرها ابعد) لماذا؟ ماذا هناك.

المعلم: الشمس. هذه الشمس الساطعة التي اشـعلتها فـي البيـت (يشـير إلـى المصباح) لماذا؟ الكي تعمي بها العيون؟ عيوني انا اولا..

شفيقة: معاذ الله.. لقد اشتد الظلام.. و..

المعلم: (يغلق مفتاح الضوء) والباب؟ ما هذا الباب الفاغر فاه كشدقي غول.

شفيقة: بسبب الهواء. الهواء المسجون هنا.. قد بات خانقا.. ثقيلا..

المعلم: أغلقيه يا امرأة. أغلقيه قبلما تنهار أعصابي وافقد توازني واتزاني تحركي.. تحركي.. ام بتوجب علي ان افعل كل شيء بنفسي (يسد البلب بقوة)

شفيقة: (يشتد الظلام. تتخبط) لا ارى شيئا.. لو.. عود ثقاب.. لو بصيص نور..

المعلم: معي علبة كبريت (يتوهج عود ثقاب. يفتح الحقيبة) في الحقيقة شموع. تعالي خذي واحدة (تقترب منه.....وفجأة يدفعها) لا. لا. لا بد أني قد فقدت عقلي وان النور الوهاج افقدني رشدي. إذ ادع مخلوقة غريبة.. تطلع على الحقيبة (يخرج شمعة يشعلها. شفيقة تأتي بفانوس مشتعل المعلم يطفئ الشمعة. ويظل ماسكا بها. حائرا لا يعرف أين يضعها..)

شفيقة: لم نعد بحاجة اليها. الاتعيدها إلى.. الحقيبة..

المعلم: (ملسوعا) الحقيبة؟ الحقيبة ثانية؟ الا تقولين لي ما سر تعلقك الغريب هذا بالحقيبة انها حقيبة عادية. لا تحوي غير لوازم الدرس ومستلزمات المعلم. هل اخبرك احد انها تحوي قنبلة نووية. او جثة متقطعة؟.. (يندفع نحوها بانفعال) من؟ ها؟ من الذي اخبرك؟ قولي.. تكلمي!

شفيقة: (تتراجع دافعة السرير إلى المزيد من العمق) لا. لا.. وي.. وي..

المعلم: وحتى في حالة حصوله فهو من قبيل الاخبار الكاذب. لا تصدقيه. ومع هذا فانا على اتم الاستعداد ان افتح لك بطني من الظهر إلى الظهر.. واريك كل احشائي الداخلية. ولكني لن ادعك تلقين نظرة واحدة إلى داخل الحقيبة.. (يرمي الشمعة، يغلق الحقيبة بقوة) خذي الشمعة لك. وانسي الحقيبة.

شفيقة: (تشير إلى راسها علامة اختلال عقله، لنفسها) مجنون.. قطعا هذا المعلم مجنون.

المعلم: بماذا تهمهمين؟ بماذا تهمسيتن. انا يجب ان اعرف كل شيء. كل شيء..

شفيقة: انت منهك حضرة المعلم.. تبدو منهكا.

المعلم: طبعا انا منهك.. منهك ومتعب ايضا. بل في غاية الانهاك والتعب. حتى الحديد ينهك ويتعب. واذا كان الحديد نفسه ينهك.. فلماذا لا انهك انا.. وانا.. انسان مخلوق من لحم ودم ولست مصنوعا من حديد.. آه.. آه.. (يتهالك على احد المقاعد) هاتي كأس حديد.. اعني.. اعني كأس عصير.. عصير الطماطم (تصب له كأسا، يفرغها في جوفه) اعيدي الكرة. (يشرب) قدحا ثالثا (يشرب) لذيذ. مصنوع بحذق ومهارة (تقدم له كأسا اخرى. يدفعها) تصرفي في حدود الامر الصادر اليك. (يلتفت هنا وهناك).

شفيقة: (تعلق. تحاول اشغاله) تفضل إلى مكان الدراسة الذي اعددته. وسآتيك بالعصافير.. عصافير نصف مسلوقة.. نصف نية.. مقلية.. نصف حية.. نصف ميتة.. نصف..

المعلم: (يقاطعها) ستأتين بها حين أمرك. التزمي بحدود الامر حسب. واعلمي ان الزائد كالناقص. بل الزائد في معنى من معاني العلم الحديث هو الناقص بعينه. (يعود إلى البحث بعينه. هنا وهناك. ويتسمم)

شفيقة: (تحول بينه وبين السرير) والناقص يا سيادة المعلم؟ الناقص؟

المعلم: (ساهيا، لا يزال يتشمم) ها؟ ما باله؟ ما بال الناقص.. يا سيدة؟

شفيقة: هل يمكن ان يصبح في معنى من معاني العلم الحديث. او العلم القديم، زائدا؟ اعني.. اعني.. مثل الزائد، بعينه. صنواً له. حاله كحاله تماما. لا يختلف ولا يتميز عنه بشيء. أي شيء؟

المعلم: ها؟ (تنتابه حيرة حقيقية، فجأة، كما لو كان ازاء معضلة فكرية في غاية التعقيد) لم لا؟ جائز. الامر يبدو جائزا. او.. لا.. لا. لا يجوز. لا يمكن (ثم) الحق اقول. ذلك سؤال لم اطرحه على نفسي قط.

شفيقة: (متصنعة الاهتمام الشديد) اطرحه. يا سيادة المعلم. اطرحه الان ارجوك..

المعلم: (كمن يهرب من شيء مخيف) لا. لا. لا اجرؤ البتة السؤال اكبر مني. اكبر بكثير.. لا بد أن اقر.. لا بد أن اعترف..

شفيقة: آه.. واخيبتاه! اسأل من إذن.؟ من الذي يجيبني؟. من يحل لي هذا اللغز المحير؟

المعلم: سيدي المفتش. لا تقلقي ولا تحزني. هو رجل عالم يعرف كل شيء يحيط به مجموعة كبيرة من المكاتب التوجيهية.. تضم كافة الاختصاصات وسائر العلوم والمعارف النظرية والتطبيقية (يكتب) سأرفع السؤال إلى مقامه العالي كتابة. وفي غضون شهور قليلة تكون الإجابة الشافية.. جاهزة (ثم فجأة يتوقف) ولكن قولي لي.. ما لك أنت وهذا السؤال الكبير، المقلقل للدماغ.. الذي لم يرد على ذهني.. حتى أنا.؟

شفيقة: أريد أن اعرف. أريد أن أتعلم.. أريد أن..

المعلم: بل تريدين أشغالي عن القضية الأساسية التي كنت بصدد طرحها ودفنها في سؤال معجز. لو اجتمعت الأمة كلها وقضت بقية حياتها في البحث عن جواب له.. لما عثرت عليه (يمزق الورقة التي كتب فيها السؤال).

شفيقة: القضية؟ أية قضية؟

المعلم: الرائحة التي غزتني بشراسة أول ما دخلت.. والتي أنساني اياها الضوء الساطع الذي..

شفيقة: (تقاطعه) ليست في البيت أية رائحة.. يا حضرة المعلم!!

المعلم: او تجرؤين على تكذيبي؟ هل يمكن لمثلي ان يكذب؟

شفيقة: لا.. لا.. ولكن.

المعلم: إذن.. فأنت التي تكذبين.

شفيقة: انا؟

المعلم: لم لا؟ وما العجب؟ كل إنسان يكذب ام تراك لا تنتمين إلى جنس الإنسان؟ انا وحدي الذي لا اكذب أبدا. وأنا قلت ثمة رائحة في البيت. وانت قلت لا رائحة في البيت هل حدث الأمر على هذا النحو ام لا.؟ قولي حدث.. (يسرع في الإجابة) لقد حدث. إذن. المقالان متوازيان، اعني مقالك ومقالي_ اقصد_ ما قلته انا وما قلته انت، ولا يلتقيان ابدا ولماذا لا يلتقيان لان بينهما تناقضا ابديا. وخلافا خالدا لا يمكن تجاوزهما ولا التصالح بينهما اطلاقا. هل هذا واضح؟ قولي واضح.

شفيقة: (بسرعة) واضح.. واضح..

المعلم: ولماذا هذا الاختلاف الشنيع. وذلك التناقض الفظيع بين المقالين؟ ها؟ لا تعرفين اليس كذلك. انا اخبرك لأن احدهما صادق مائة في المائة. والاخر كاذب مائة في المائة.. مفهوم. هل الموضوع حتى الان.. مفهوم

شفيقة: مفهوم.

المعلم: ومؤلف المقال الصادق، اعني صاحبه وقائله، وحده الصادق. صح؟

شفيقة: صح

المعلم: وصاحب المقال كاذب اعني قائله ومؤلفه وحده الكاذب. صح؟

شفيقة: صح

المعلم: ولماذا صح. يا سيدة شفيقة. لماذا صح (حائرة لا تعرف بماذا تجيب) هيا. هيا.

اجيبي بلا خوف. هيا.. هيا انا اساعدك. قولي لان صاحب المقال الصادق لا يمكن الا ان يكون صادقا. ولان صاحب المقال الكاذب لا يمكن.. الا ان يكون كاذبا. ولا يمكن لاي منهما ان يكون صادقا وكاذبا في الوقت نفسه. اليس كذلك.؟

شفيقة: وهي تكاد تختنق).. كذ.. كذلك.

المعلم: ومن منا صاحب المقال الصادق؟ هيا.. هيا.. اعترفي. الاعتراف بالخطأ فضيلة من ها؟ (اشارات خفيفة إلى نفسه) آ.. أنـ.. أنـ..

شفيقة: انت.. انت.

المعلم: وصاحبة المقال الكاذب انت. اذن كأستنتاج منطقي سليم. اكون. انا.. الصادق. وتكونين انت الكاذبة (يتهالك لاهثا) اه. ما اشق تعليم الجهلة والاميين. (يصب لنفسه قدحا من العصير. يفرغه في جوفه).

شفيقة: (كمن تزيح عن روحها كابوسا ثقيلا) كان الله في عون التلاميذ.

المعلم: وهكذا توصلنا إلى الحقيقة. الحقيقة الواضحة وضوح نظارتي هذه (يشير إلى نظارته السوداء) على عيني. الا وهي ان في البيت رائحة.

شفيقة: (مقلدة طريقته في الكلام) ما دمت قد قلت ذلك فلابد ان يكون ذلك كذلك. اما لماذا لا بد ان يكون ذلك كذلك. فلانه لا يمكن ان يكون ذلك كذلك وان يكون ذلك. في الوقت نفسه غير كذلك. وكأستنتاج منطقي بسيط يجب ان يكون ذلك كذلك. وان لم يكن ذلك كذلك فالواجب يقتضي ان تجعل ذلك يكون كذلك. (المعلم يبتسم متهلل الوجه) اليس كذلك..؟

المعلم: هائل.. مذهل: انت ترتقين سلم المعرفة الوعر الخشن. بسهولة وليونة. الله: الله: وتأسيسا على ما تقدم وتقديرا لقدرتك الخارقة في الاستجابة للمطلوب. سأتجاوز موضوعة الرائحة واعتبرها غير قائمة من اساسها

(يشرب) اظنني بحاجة إلى المزيد.. من هذا الشراب الساحر (شفيقة تظل واقفة) هاتي لي المزيد.. هاتي المزيد (يفتح الحقيبة. يستمع إلى مذياع صغير بانتباه شديد) تمام كل شيء تمام (يعيده إلى الحقيبة. يغلقها، نعطيه قدحا كبيرا) والسيد؟ أين السيد؟

شفيقة: آ.. آ.. السيد؟

المعلم: ما لي لا اراه؟ لماذا لم يخرج لاستقبالي! أين هو؟

شفيقة: شفيق؟ انت تسأل عن شفيق..؟ موجود.. في انتظارك.

المعلم: السيد شفيق يا هذه.. السيد شفيق. ماذا يفعل.؟

شفيقة: نائم اظنه قد نام.. لقد نال منه التعب والانهاك، ساناديه.

المعلم: هل حفظ درسه بصورة جيدة.

شفيقة: كالببغاء. لو كانت لهذه الجدران اذان والسنة.. لرددته معه. هل اناديه؟

المعلم: (يومىء ايجابا. يصدر من الجد صوت) ما هذا الصوت (يقفز نحوه) من هذا الرجل الغريب؟ ماذا يفعل هنا...

شفيقة: انه الاسطة سلمان وليس هو الغريب (تطرق الباب) انه جده.. جد شفيق

المعلم: جده؟ لماذا يحتفظ في البيت بجد منخور وهو الذي لم يطق ابويه (يكتب) لا. لا. انها قضية ليست في صالحه.. ليست في صالحه البتة

شفيق: سيدي المعلم انا جاهز. يقبل نحوه (على راسه قلنسوة وعلى كتفه جهاز تسجيل. متأبط مجموعة من الدفاتر والاقلام في حالة شديدة من الطاعة والوجل يسير محني الرأس يتعثر في مشيته يخطف يد المعلم يلثمهما بخشوع. يتراجع يقف على مبعدة منه دون ان يجرؤ على رفع عينيه نحوه)

المعلم: ما شاء الله.. ما شاء الله!! تماما كما وصفوك لي. ادب وطاعة واخلاق (شفيقة تبحلق تبحلق فيهما وقد صعقتها الدهشة) ما لك تبحلقين فينا على هذا النحو الغريب؟ هل ترين امرا منكرا (تحاول ان تتكلم. يسكتها) هيا هيا انقلعي انت وعجوزك المنخور لا اريد ان اشم رائحته ولا اسمع صوته.

شفيقة: (بغضب) انه هنا في بيته وعلى من يتضايق من وجوده ان..

شفيق: (يقفز نحوها) اسكتي ارجوك.. واسرعي بتنفيذ الامر ارجوك.

شفيقة: كيف؟ وانت تعرف انه ليس في البيت غرفة تصلح له عدا الغرفة التي تشغلها. هل توافق ان...

المعلم: يوافق؟ ومن هو حتى يوافق او لا يوافق؟

شفيقة: (بنبرة ذات مغزى) انه السيد.. الم تقل انه السيد.

المعلم: هو السيد والامر والناهي في غيابي انما في وجودي فهو زيرو صفر لا شيء وانا السيد الامر والناهي. اليس كذلك؟

شفيق: بلى. سيدي المعلم بلى هيا هيا نفذي امر سيدي المعلم (يدفعها باصرار اقرب إلى التوسل شفيقة تسرع بادخال الجد إلى الغرفة غير مصدقة).

المعلم: (صارخا) واغلقي الباب جيدا ولا تدعيني اسمع صوته او اشم رائحته لحينما اقرر له مصيره (يسحب الستارة الوسطية) هذه الامرأة تحيرني.. قبل حين بدت لي صالحة اذا ما تولاها احد بالرعاية والتوجيه والان تبدو لي غير صالحة البتة.

شفيق: (مرعوبا) غير صالحة؟ خالتي شفيقة غير صالحة؟

المعلم: مثل امك التي.. (يهم بالكتابة) التي..

شفيق: سيدي المعلم.. سيدي المعلم (يندفع نحوه. يقبل يديه. يتهالك عليه) باجلال جم وخضوع اتم.. اتقدم الى مقامك السامي بالتماس (يتوقف المعلم عن الكتابة) اتوسل اليك ان تصفح عنها وتغفر لها زلاتها ليس لي سواها تخدمني فلا تحرمني منها ارجوك.. ارجوك.

المعلم: اتحبها؟ (يوميء بعد تردد قصير ايجابا) اكثر من واجباتك؟

شفيق: (بسرعة) لا. لا.

المعلم: اكثر مما تحب معلمك؟

شفيق: (كمن يدفع عن نفسه تهمة) لا والف لا. بكل تاكيد لا

المعلم: حسن.. هذا حسن (ثم) مستجاب التماسك مستجاب.

شفيق: (ينهال عليه تقبلا ولثما) آه.. سيدي الكريم.. انا.. انا منذ اللحظة عبدك..

المعلم: (يبعده عنه برقة) والان لنبدأ الدرس، فثمة مجاميع اخرى في انتظاري يجب ان التقيهم. قبلما يحل الليل.

شفيق: (رد فعل عنيف) الدرس؟ سيدي أأ. اتعني ما تقول؟ تعنيه حقا..

المعلم: طبعا. طبعا. ولنجلس (يجلس يستمع إلى الراديو ثانية)

شفيق: (يكاد ينفجر) ونجلس؟ ووو.. نجلس ايضا سيدي المعلم؟ نجلس؟

المعلم: وهل ندرس وقوفا (يضحك) اعرف ان ثمة اناسا يموتون وقوفا. وقد شاهدت بعضا منهم بنفسي. ولكني لم اسمع ولم ار اناسا يدرسون وقوفا. هل كان المعلم السابق.. يدرسك وقوفا.

شفيق: لا جلوسا.

المعلم: اذن ماذا هناك؟ هل توجعك ساقاك ولا تستطيع طيّهما مثلي؟ اجلس ومددهما. لا بأس.. انا اسمح لك بذلك.

شفيق: سيدي ما من الم ولا وجع في الكون كله. يمكن ان يمنعني من تلقي الدرس وبالهيئة التي نقضيها طقوسه وتقاليده المقدسة.

المعلم: ما الامر اذن. قل تكلم ولا تجنني.

شفيق: سيدي. انا لا اجنن معلمي.. انا افديه بروحي.

المعلم: بل انت تجنني فعلا. اما لماذا فلا ادرى. ربما لاني عنفت وقرعت.. خالتك العزيزة التي تحبها.

شفيق: ما فعلته مع خالتي. سيدي المعلم هو عين الصواب. تصرف تربوي سليم ولا غبار عليه. ولو كنت مكانك لفعلت الشيء نفسه بل ولسرت ابعد منك ولم اكن لاغفر لها.. ابدا.

المعلم: (بدهشة) و.. وتزعم انك لا تجنني.. يا هذا..

شفيق: انا يا سيدي المعلم. احاول ان الفت نظرك إلى..

المعلم: تلفت نظري؟ (ينهض ويصفعه بقوة) هل نسيت من انا ومن انت يا وقح.

شفيق: (يترنح ولا يسقط) انت سيدي المعلم. وانا خادمك التلميذ. (يقف بذله)

المعلم: ومع هذا تطلق لسانك علي بكلمات اكبر من حجمك الكبير هذا (يخضه).

شفيق: انا استند إلى واجبي كتلميذ مخلص وليس إلى حجمي..

المعلم: وهي يقتضي واجبك هذا.. ان تهين سيدك؟

شفيق: استغفر الله. فقط اريد ان انبه سيدي إلى بديهة. لا يستقيم الدرس بدونها.

المعلم: بديهية؟ بديهية ولا اعرفها؟ هل يعقل.. تعرفها انت وانا لا اعرفها.. ما هي. قلها.. قلها..

شفيق: (مستهولا) الا.. الا تعرفها حقا؟ اتجهلها.. فعلا؟ لا. لا. انت تمزح..

المعلم: (يضبط اعصابه بصعوبة) اجل. لا اعرفها. اجل اجهلها.. وانا.. انا جاهل.. انا غبي.. قلها.. قلها بسرعة. ولا تتلذذ بتعذيبي.

شفيق: على العكس. يا سيدي. انا يصيبني السرطان. اذ اصاب معلمي الزكام.

المعلم: بل انت تضطهدني. انت تذبحني. انت تخنقني. انت.. (يهجم عليه، يقبض على خناقه) قلها. قلها قبلما اكتم انفاسك، وارسل روحك الى الجحيم. تذكر اني ما زلت المعلم ودمك مباح لي. تكلم.. تكلم. انا آمرك.

شفيق: (بصوت مخنوق) الرياضة.. سيدي.. الرياضة الرياضة.

المعلم: اه.. علي لعنات الارض والسماء (يضرب راسه. يحتضن شفيق يقبله) دعني اقبلك.. دعني احب راسك (يقدم له رأسه) والان ستنسى لي هذه الهفوة الصغيرة.

شفيق: (وهو يلهث) انها. انها ليست هفوة، يا سيدي ناهيك عن كونها صغيرة.

المعلم: آ.. آ.. صحيح انها غلطة شنيعة. غلطة بشعة. غلطة فظيعة. اعرف.

شفيق: لا. لا. سيدي المعلم لا.

المعلم: انه اثم كبير (شفيق يهز راسه نافيا) اذن فهو ذنب. ذنب كبير.

شفيق: لا. لا. ينبغي ان نكون دقيقين في اطلاق التسميات وكل ما ذكرته حتى الان بعيد.. بعيد جدا عن الاسم الحقيقي.

المعلم: (مرعوبا بصوت مرتجف) آ.. آ.. اعتبرها جـ.. جـ.. جريمة.

شفيق: بدأت تقترب من الاسم الحقيقي. ولكنك لم تبلغه بعد.

المعلم: وماذا بعد الجريمة. هل ثم فعلة اكبر من الجريمة؟

شفيق: هناك سيدي المعلم (صمت متوتر) الخيانة!

المعلم: الخيانة (يكاد ينهار) مرة واحدة؟

شفيق: (بثبات) سيدي المعلم بالضبط الخيانة..

شفيقة: (خارجة تاخذ اناء كبيرا وابريق ماء وقطعة صابون ومنشفة وتعود)

المعلم: (يرتعد) ويحي!! هل المسجل يعمل؟ اعني اعني يسجل؟

شفيق: بمنتهى الدقة والنظافة يا سيدي المعلم. هل اعيد الشريط لنتأكد؟

المعلم: آه وامصيبتاه!! (بسرعة) شفيق تخلص منه. تخلص من المسجل.

شفيق: من.. من المسجل؟ ما الموجب؟ (يحتضنه بحرص شديد)

المعلم: (متراجعا) لا. لا موجب يبدو ان لساني قد فلت مني. خرج عن طوعي

شفيق: المسجل يا سيدي المعلم، هو الشاهد الوحيد علينا حين نختلي للدرس، شاهد لا يدحض ولا يناقش. ولهذا ينبغي ان لا يفارقنا قط

المعلم: ولكنك لن تدع احدا يستمع الى الشريط؟

شفيق: بالتأكيد اذا لم يسألني احد فلن ابادر انه خاص وشخصي جدا

المعلم: واذا سألك احد؟

شفيق: ذلك يتوقف على من يكون ذلك الاحد. ان كان تلميذا مثلي فلست ملزما

المعلم: و.. واذا كان معلما مثلي؟

شفيق: ما دمت تحت امرتك فلا سلطان لاي معلم اخر علي. انا تابع لك

المعلم: صحيح كل ما تقوله صحيح (بحقد دفين وحسد خفي) الا يخطىء هذا الصبي ابدا؟ ام انا الذي رحت اتخبط ولا اعي ما اقول وكلما تكلمت فضحت نفسي وكشفت المزيد من عوراتي المستورة (له) ترى كيف يكون موقفك امام السيد الكبير؟

شفيق: معالي المفتش؟ ايجابيا بكل تاكيد. اخبره بكل ما جرى واسلمه الشريط ايضا.

المعلم: ولكن ذلك كفيل بقلب الدنيا راسا على عقب. واعادتي الى الصفر الذي كنت

شفيق: سيدي المعلم لم كل هذا الخوف والقلق؟ قد لا يسأل معاليه عن الشريط

المعلم: بل يسأل. انا اعرفه جيدا (ثم) شفيق اغفرها لي.. اغفرها.. ارجـوك لـــي هذه المرة حسب واعدك ان لا اعود اليها ما حييت (يقبل يديه)

شفيق: (مترفعا) معاليه هو الذي يغفر اذا شاء

المعلم: معاليه لا يعرف شيئا. نعطيه شريطا.. اخر. معي مجموعة من الاشـــرطة وكلها في صالحي (يفتح الحقيبة. يقـــدم لـــه مجموعـــة مـــن اشـــرطة الكاسيت) اختر منها ما تشاء

شفيق: (يمد يده بتردد يتوقف) لا. سيدي لن اخون ضميري

المعلم: ضميرك؟

شفيق: ضميري الذي صاغته تلك الجهود الكبيرة التي بذلها ســـادتي المعلمـــون الذين تناوبوا على تربيتي وتعليمي طيلة السنوات السابقة.

المعلم: ولكن ما تمارسه شيء فظ.. فعل قاس.. عمل متوحش.

شفيق: (يغمض عينيه. ويردد بشكل الي) في ممارســـتنا لافعالنـــا التـــي نراهـــا صحيحة ينبغي ان لا نحفل بالصفات التي تتصف بها ولا بمدي الضـــرر الذي تلحقه بالاخرين (له) ذلك هو القانون الذي زرعه في اعماقي كـــل من تولى تدريسي

المعلم: والنتيجة يا شفيق. يا ابني النتيجة؟ اما من سبيل؟ اما من وسيلة؟ (يـــهز رأسه موكدا) واذا قلت لك باني سوف امنحك موقعاً افضل مما..

شفيق: (يقاطعه) المباديء فوق المساومات سيدي المعلم. ذلك بعض ما تعلمتـــه منكم..

المعلم: (بحدة) ومن ذكر المساومة او المتاجرة بالمباديء وما شابه كل ما هنـــالك اني افكر ومنذ زمن بتوسيع نطاق عملك بحيث يشمل مراقبه الصف..

شفيق: كثيرا ما العب هذا الدور في غياب سادتي المعلمين. واحيانا حتى في حضورهم. اذ ينال منهم التعب او ينشغلون بتناول الطعام او الاستسلام الى النوم

المعلم: من حقي اسناد المهمة الى تلميذ اخر..

شفيق: ليس من حقك. سيدي المعلم. فانا وباعتراف الجميع اكافأ الجميع.

المعلم: الكفاءة مسالة تقديرية. حالة متغيرة.. ليست ثابتة ولا ابدية.

شفيق: تبقى ثم التقارير الايجابية التي..

المعلم: هي الاخرى ليست خالدة. ما اسهل الغاءها او تغييرها بجرة قلم. اضافة حرف هنا وشطب حرف هناك. يحب دروسه ويطيع معلميه مثلا. يصبح لا يحب ولا يطيع ولا يخالف ولا يعارض القوانين التربوية يصبح يخالف ويعارض وهكذا دواليك حتى يتغير تاريخك كله..

شفيق: اذ ذاك لا املك الا ان اكشف الحقيقة. الحقيقة كلها وعندي الدليل الذي لا يدحض ولا يناقش (يلوح بالشريط.. المعلم يتعذب) سيدي اننا نهدر الوقت والجهد جزافا لنشرع بالرياضة الروحانية فهي ستفضي بنا لا شعوريا الى الدرس الذي تذوب فيه ذواتنا وتتبخر همومنا الشخصية عبره..

المعلم: لا استطيع. لقد تعكر مزاجي بل اضطربت روحي وانهارت معنوياتي.

شفيق: ما الذي اسمع يا سيدي المعلم؟ مزاج؟ معنويات؟ انهيارات لا..لا انا اربأ بك ان تصدر منك كلمات من هذا النوع الغريب.

المعلم: قل عني ما تشاء. تخيلني بالصورة التي تريد. فان شيئا في داخلي قد تهشم. فارحمني يا سيدي اشفق على يا شفيق يا ولدي ولن انسى لك هذا الجميل وهذا الفضل ما حييت واجازيك باضعاف الاضعاف.

شفيق: سيدي ارجوك لا تزد الطين بلة. يجب ان تخرج من هذه الاوحـــال التـــي تتخبط فيها. وتتخلص من مشاعر الضعف التي تنخر في كيانك

المعلم: كيف يا شفيق؟ كيف..؟ آه.. ساعدني.. أعني.. علّمني.. علّمني..

شفيق: ثمة طريقة واحدة فقط (يتعلق كل كيان المعلم بشـفتيه. بلهفــة وترقــب) وهي.. الاقتحام الفوري للتجربة. والاحتراق الاني فــي نــار الرياضــة الروحانية. ثم الولوج إلى الدرس. وبعدها ستجد نفسك نظيفا. خاليا مــن الشوائب مثل الفولاذ. صافيا من الادران مثل الطلقــة. نفــاذا كالســهم. قاطعا كالشفرة (بحماس) هيا، سيدي المعلم، هيا. لا تضيع ثانية واحــدة والا ندمت العمر كله [يستعدان. يقف احدهما في مواجهة الاخر. لثــوان يطبق عليهما صمت تام. لا يتنفسان ولا يحركان ساكنا.. ثم اذ يحــرك احدهما حاجبيه او شفتيه او رأسه يفعل الاخــر مثلــه تمامــا ورويــدا رويدا.. تتغير حركاتهما وتتخذ افعالهما طابع.. العنف المتزايد. كل ضــد نفسه اولا. ثم ضد الاخر. ضربات.. صفعات. لكمات. ركلات. يترنحــان يتوازنان بصعوبة. يتهالكان لا يقويان على الكلام.]

المعلم: شفيق، اظنني شفيت من كل امراضي لو.. لـــو.. كــأ.. س.. عصــير.. (ينهض بصعوبة) و.. والعصا.. فير..لا.. لا.. تنس.. العصا..فير.

شفيق: أ.. ا.. مرك.. سيدي.. أمر.. ك. (يخرج مترنحا. يعود بالمطلوب. يــأكلان ويشربان، بنهم) لقد اجتزنا الخطوة الاولى بنجاح..

المعلم: واي نجاح.. وكل ذلك بفضلك..

شفيق: عفوا استاذي الجليل.. ما انا الا تلميذ صغير.. من تلامذتك..

شفيقة: (خارجة باناء الماء وشدة ملابس، تخاطب الجد) سآتيك بملابسك النظيفة. حالا. (تلقي بها في المطبخ. وتسرع على رؤوس اصابعها إلى الطابق العلوي.. بحذر)

المعلم: (يغص باللقمة التي في حلقه. ينتصب واقفا) ما هذا؟ اه.. ما هذا؟

شفيق: (في مثل حاله) ماذا. سيدي المعلم.. ماذا هناك؟

المعلم: لمحت شبحا يتلصص علينا و.. و.. مرق إلى الطابق الثاني. آثمة ثقوب؟ فتحات؟ في الطابق الثاني؟ اقصد اقصد.. في السقف (يتفحصه)

شفيق: (يتفحص مثله) لا أحد في البيت. عدا العجوز.. وخالتي. وهي لا تقترف فعلة شنعاء كهذه.. والباب الخارجي موصد وما من احد دخل.. او.. او

المعلم: أذن.. فهو العجوز!

شفيق: العجوز مقعد. مشلول. اصم. اخرس. في غيبوبة دائمة.

المعلم: وما ادراك ان مرضه بكل تشعباته ليس الا ستاراً لخداعنا؟

شفيق: (مستهولا) هل يمكن (ثم بخوف) تلك حقيقة.. غابت عني.

المعلم: اذن؟ ما رأيك (بسرعة) انا ارى ضرورة التخلص منه وباسرع وقت. قبل وصول معالي المفتش (لا يحير جوابا) ها؟.. لم لا.. تبدي رايك؟..

شفيق: وهل بقي لي رأي..؟ لقد طعنني جدي من الخلف .. سيدي. الرأي رأيك والامر امرك.

المعلم: (يفتح الحقيبة ويرسل اشارات خاصة. ويكتب) والان إلى الدرس (يغلق الحقيبة) هيا.. ردد معي.. او.. او.. اسمعني انت اولا الدرس. هيا.. هيا.. ماذا بك..

شفيق: (بانكسار) الـ.. بحثت.. القـ.. القـ (ثم) لا اقوى يا سيدي. لا استطيع.. اشعر ان معنوياتي قد انهارت.. وذاكرتي تفتت.. و.. و..

المعلم: لا الومك. فليس هينا على المرء ان يكتشف انه يأوى في داره خائنا. ومع هذا حاول (شفيق منهارا تماما. يعجز) انصحك بالرياضة الروحانية.. فانها تطهرك ولو مؤقتا لحين ما تنهي امتحانك.. وتمنحك القوة.. اه.. ها هو نزل ثانية (شفيقة تنزل حاملة ملابس نظيفة.. تدلف غرفة الجد) اه.. انها خالتك. خالتك يا شفيق انها متواطئة معه.. وخائنة مثله.. (ينظر من فتحة الستارة).

شفيق: خالتي؟ حتى خالتي. انا.. انا.. لا. اه. لا.. لا..

المعلم: بالامس امك واليوم جدك وخالتك.. حتى خالتك التي تحبها والتي لم يعد لك عداها احد.. اية اسرة موبوءة بداء التلصص و..

شفيق: سيدي انا بريء منهم جميعا. سيدي انا ابغضهم جميعا. العنهم جميعا.

المعلم: (يكتب ويرسل اشاراته) الارض الخبيثة لا تنبت غير النبتة الخبيثة..

شفيق: اه.. حتى انا ايمكن انه يبلغ بك الشك.. في حتى انا؟ اه. لا. لا.. الموت ارحم. ارحم لي.. (يلطم وجهه)

المعلم: لا تصرخ لا تولول. تعال وقع على شهادتك ضدهما وضد نفسك.

شفيق: حاضر سيدي المعلم (يوقع يقف بذله) شكرا. سيدي.. المعلم.

المعلم: شكرا؟ تقول شكرا؟ اتعلم ان هذه الورقة التي وقعتها تقضي على مستقبلك.

شفيق: اعلم. سيدي.. اعلم.. وانا استحق ذلك.

المعلم: (على الرغم منه) اه.. يا شفيق. يا رائع. انت تلميذ نادر المثال. ولكم يحز في نفسي ان افرط بك. ولكن الواجب واجب. ولا تلم غير نفسك.

شفيق: انه قدري. قدري الذي انبتني في عائلة من الوحل. (بصوت باك) الحكم لك.

المعلم: بل له. لمعاليه. انا اضع امامه الحقائق والادلة. وهو من يصــدر الحكــم.
(بحسرة) واليوم موعد زيارته وانا اعرف كم هو شــديد وصــارم. ولا يتساهل ولا يتسامح. اه. ان سيشهد اليوم خاتمة انبغ تلميــذ التقيتــه.. وخاتمتي ايضا.

شفيق: اما من طريقة.. اما من وسيلة؟ (المعلم يهز رأسه نفيــا) لابــد ان ثمــة طريقة. ثمة وسيلة.. او.. او لا بدّ من.. ايجاد طريقة.. خلــق وسـيلة (يفكر. ثم فجاة) سيدي المعلم! سيدي المعلم..

المعلم: لا يا شفيق. لا. لا تحاول التأثير علي. فانا الاخــر لســت اقــل صرامــة وتمسكا بالحق من معاليه (شفيق ينخذل) ولكن.. لا بــأس.. لا بــأس.. قل.. تكلم..

شفيق: برقت في ذهني فكرة. يمكن ان تنقذنا كلينا مما أوقعنا فيه أنفســنا.. او.. او.. أوقعنا فيه القدر (يتعلق بشفتيه. متلهفا) لقد وجدت، بعدما أمعنــت الفكر واشغلت العقل. ان التضحية بمعلم، عظيم القــدر غزيــر العلــم، مثلك.. خسارة كبرى، لا تعوض..

المعلم: كأني أشم رائحة مساومة.. و.

شفيق: (مستعيدا نبرات المعلم) من ذكر المساومة او المتاجرة.. بالمبادئ.. خــذ (يقدم له الشريط. المعلم يصعق. يهم بخطفه شفيق يماطله) يا تــرى.. هل ثمة ضرورة للاحتفاظ بالأوراق التي..

المعلم: لا. لا بالتأكيد (يعطيه الاوراق ويخطف الشريط يعطيه شريطا اخر) خــذ.. خذ هذا الشريط.. انه سليم لا غبار عليه. اه.. اه لا اكاد اصــدق ان الله قد رأف بحالنا وكتب لنا حياة جديدة (يتبادلان القبــل والتــهاني. مــن

الحقيبة تصدر اصوات غريبة) هش.. هش.. (يهرع اليها. يضطرب كثيرا) اه.. اه.. اوه.. لا..

شفيق: ماذا هناك سيدي المعلم؟

المعلم: التلاميذ يا شفيق.. مجاميع التلاميذ. تاخرت عليهم وهم غاضبون. هائجون (يلطم وجهه) اه.. اه.. ماذا افعل.. انا منهك.. لا اقوى على جر رجلي..

شفيق: امرهم ياتوا هنا.. انا احمل عنك العبء

المعلم: انت؟ انهم بالعشرات.. بالمئات..

شفيق: ليكنوا بالالاف. ارجوك سيدي ارجوك..

المعلم: ومعاليه؟ اتراه يرضى.. ان..

شفيق: بل يمتليء فخرا واعتزازا. بك.. انت اولا. فقد علمت واحسنت التعليم. وربيت واجدت التربية. وهيأت من تلامذتك الصغار. تلميذا لهذه المهمة الكبيرة.. هيا.. هيا.. يا سيدي..

المعلم: (في غاية الارتباك والحيرة).. يبدو.. كأنه الحل الوحيد. (مندفعا) لم لا..؟.. (يرسل اشاراته ويتكلم بلغة غريبة) انهم قادمون يا شفيق.. لا تخذلني. لا تخيب املي فيك.. هيا.. هيا.. استعد.

شفيق: (في حالة غريبة) اه.. اه (يتلوى)

المعلم: ماذا دهاك..؟ انت ترتعد.

شفيق: بل ارقص فرحا. فاضت بي النشوة واخشى ان تقضي على قبلما التقي بهم

المعلم: تماسك يا شفيق. تماسك وتوازن. انه يومك المنشود عدل هندامك (يعدل هندامه) هكذا.. هكذا.. جميل.. رائع.. هيا.. هيا.. ردد الدرس..

شفيق: (يساعده المعلم حتى يطغي عليه) بحثت القطة عن اللحم. لم تعثر القطة على اللحم. هجمت القطة على الفأر.. اويلاخ على الفأر.. (يكررانه مرات عديدة. مصحوبة بطقوس اللطم والضرب.. حتى يغلبهما الوجد.. وتصبح حركاتهما اشبه بحركات الدراويش في حلقات الذكر. اصوات من الخارج. ضاجة. صاخبة، تردد الدرس نفسه. تقترب) وصلوا. تلامذتي الصغار الاحبة وصلوا.. (يتراجع خائفا الى الوراء)

المعلم: انت تتراجع يا شفيق. تقدم. افتح لهم الباب. كن جديرا بالمهمة الملقاة على عاتقك.. برر الثقة التي منحتك اياها.. هيا.. (يدفعه الى الباب)

شفيق: (يفتح الباب، تتدافع وتتدفق الجموع. باعداد غفيرة، ذكور واناث. مرتدين سراويل قصيرة مخططة وقمصانا وقلنسوات من القماش نفسه. شفيق يصعق للاعداد الهائلة. يرتبك.. يتلعثم) انا.. انا شفيق.. شفيق معلمكم الجديد (لا أحد يحفل به. يتوجهون نحو المعلم، الذي يستقبلهم بالترحاب والابتسام وهم.. يقدمون له فروض الطاعة. دون ان يتوقفوا عن ترديد الدرس. يدفع الزخم البشري الذي لا ينقطع، شفيق الى الوراء)

صوت: (من الخارج. بعيد) معالي المفتش.. قادم

المعلم: آه.. معاليه قادم.. رددو يا تلاميذ.. رددوا.. بقوة. بحثت القطة عن اللحم.. (تزداد الاصوات صخبا وعنفا.. ترتج.. اركان البيت. تخرج شفيقة فزعة)

شفيقة: ما هذا؟ زلزال؟ هل حدث زلزال (تصعقها المفاجأة. ترتد الى الداخل) اه يا الهي. ما هذه المخلوقات الغريبة.

صوت: معاليه وصل. افسحوا الطريق. لا تلمسوه. ابتعدوا عن طريقه.

المفتش: (وهو رجل قميء مبتور الذراعين والساقين. فـــوق عربـــة معوقيـــن. يدفعها بعضهم. يخف المعلم لاستقباله. صوته اشبه بالزعيق) ما شـــاء الله..ما شاء الله! اكل هؤلاء.. تلامذتك. يا سيد رؤوف؟

المعلم: كلهم يا سيدي.. كلهم. وثمة اخرون عديدون.. مقبلون.. يا استاذ حنون

شفيق: (صوته من بين الجموع) انهم تلاميذي انا.. سيدي المفتش.. انهم..

شفيقة: (تدفع السرير. خارج الغرفة تشق طريقها بصعوبـــة بالغـــة. مـــن بيـــن الجموع التي ما تزال تتدفق على البيـــت. تمتلـــيء الصالـــة والغرفـــة. والمطبخ. والطابق الثاني.. يضيق بهم المكان.. يتساقط بعضـــهم علـــى بعض) دعوني اخرج.. اه.. (تدفع السرير بقوة.. تصطدم بهم. توقعـــهم ارضا.. تنجح في الخروج) نجونا.. هل انت بخير. يا عمي؟

المفتش: ما شاء الله.. ما شاء الله.. اللهم زد وبارك.. اللهم زد وبارك...

شفيقة: (صوتها من الخارج) هيا.. عمي.. هيا (تغلق الباب من الخارج)

المعلم: رددوا.. رددوا.. بكل قوتكم.. باعلى اصواتكم. بحثت القطة عن اللحم..

شفيق: اه.. دعوني ار معاليه.. اخبره بما جرى.. اه.. اه (يتلاشى صوته)

المفتش: (يتنفس بصعوبة) هواء.. هواء.. افتحوا الباب.. افتحوا..

احدهم: (يحاول فتح الباب يعجز) الباب مغلق من الخارج..

المعلم: انها هي. الخائنة.. خالته.. اكســـروا البـــاب.. الحقـــوا.. بـــهما.. هـــي والعجوز.. الباب.. الحقوا بهما.. هي والعجوز.. جـــده.. جـــد شـــفيق وخالته

شفيق: لا. انا لا. انا منهما بريء.. انه.. هو.. الذي..

المعلم: بل.. انت. انت من هيأت لنا هذا القبر الجماعي اقضوا عليـــه. لا تدعـــوه يتكلم.. لا تدعوه يتنفس (يهجمون على شفيق ينهالون عليه ضربا)

المفتش: هــ.. هــ.. هو.. ا.. ء هواء. انا اختنق. افعلوا.. شيئا. مــن اجلــي. انا.. انا.. اختنق.

المعلم: معاليه.. يختنق.. افعلوا شيئا (يحمله من فــوق العربــة. يضعــه فــوق الثلاجة..) سيدي أأنت بخير.. هل.. آ.

المفتش: (يختض من مكانه) آه.. آه.. انا.. انا.. اموت.. يا اولاد.. انا.. (يتحـرك حركة عنيفة. يسقط على الارض..) اه.. آ.. آ.. (ينقطع صوته تماما)

المعلم: (يصرخ) آه.. مات. معالي المفتش مات.. اكسروا الباب هدموا الحيطـان. قبلما نموت.. كلنا.. هنا.. آه..قبلما.. نمو..ت.

[يتدافعون نحو الباب. كل يبغي انقاذ نفسه. فيتكومون على الباب.. بعضهم يسحق بعضا.. بعضهم يتساقط على البعض.. يلهثون.. متقطعي الانفاس. تغـدو اصواتهم مثل مواء قطط.. توشك ان.. تموت. اصـوات متفرقـة مـن هنـا... وهناك.. ما تزال تردد بوهن وخور.. شديدين.. وبشكل متقطع..]

بحثت.. القطة.. عن اللحم..

لم تعثر القــ.. طة.. على.. اللحم..

هجمــ.. ت.. القــ.. طه.. عا.. على.. الــ

فأ.. ر، اويلاخ.. على.. الــ.. فــ.. أر.. أو.. يلا.. خ.. أ.. و.. يلا.. خ.. علــى.. الــ.. فأ..ر..

أويلاخ.. على.. الــ.. أ.. ر..

[يظلم المسرح.. والمواء يستمر.. لفترة.. ثم يخمد..]

سيأتي أحدهم(*)

(*) نشرت في مجلة ((الرواد))- العدد الاول- عام ٢٠٠٠- بغداد

الشخصيات

- آمنة: سيدة في العقد السادس
- سمر: جارتها، في مثل عمرها
- سمير: حفيد سمر. في الثانية عشرة
- فرج: حمال في منتصف العقد الخامس
- الام: سيدة- في العقد الخامس
- الابن: ابنها_ معلم في العشرين
- الشاب: دون الثلاثين

إشارة:

تشكلت الخطوط الأولى لهذه المسرحية في ذهني؟ وأنا اقرأ قصة ((منزل للبيع)) بيد أني لم أتوقف عند معطياتها ولم أتقيد بها. ولمن يهمه الأمر أشير إلى أن القصة منشورة في مجلة ((الثقافة الأجنبية)) العدد ٣/ ٥_ ١٩٩٥_ بغداد تأليف بوريس ايكيموف. ترجمة: ناطق خلوصي

[أوائل الشتاء، نهار مشمس. الوقت قبيل الظهيرة، منزلان ريفيان يتسمان بالنظافة، وقدر من الجمال، لاسيما الأول، الذي يحتل ثلث المسرح. تظهر منه غرفتان أماميتان بنوافذ عريضة، يمكن عبرها متابعة ما يجري في الداخل، يفصل بينهما باب المدخل بعمق مناسب، تنهض على جانبيه دكتان مفروشتان تصلحان للجلوس.

من البيت الثاني، يظهر جزء صغير فقط.

امام البيتين فسحة مشتركة من الارض؟، ينصفها سياج واطيء، تتوسطه فتحة للعبور، بضعة حبال معلقة في فضاء المسرح.

من البيت الاول تخرج (امنة) وهي سيدة في الستين، تسحب كيساً مليئا للخضر (كرفس، رشاد، بصل.. الخ) تنادي على جارتها في البيت الثاني..]

امنة: سمر.. سمر.. هلا ساعدتني يا اختي!

سمر: حالاً.. حالا.. يا آمنة (تخرج.. مقبلة نحوها. وهي سيدة في مثل عمرها).

امنة: (تتقابلان على حمل الكيس) اما زال سمير.. يكتب..؟

سمر: ما زال يكتب ويشطب. بعيد ويصقل. كانه مقبل على مسابقة عالمية..

امنة: يا عيني!!

سمر: حملك اليوم ثقيل يا امنة.

آمنة: لم احصد طيلة الايام الماضية. الامطار احالت الحقل إلى بركة. الازرق

ليس بعيدا. لقد ربطته قرب الساقية. قولي يـا الله.. (تحمـلان الكيـس. تغيبان هنيهة تعودان) سيتأخر الولد عن المدرسة (تنادي) سـمير.. الـم تنته يا ولدي؟

سمير: (صوته من الداخل) لحظة.. ياجدتي.. لحظة. ريثما يجف الحبر.

سمر: هو هكذا.. بطيء في كل شيء...

آمنة: بل هو، طال عمره، متأن في عمله ودقيق (ثم) دقـائق..اغـير ملابسـي (تدخل بيتها، سمر تمسح حبال الغسيل، يخرج سمير وهـو صبـي فـي الثانية عشرة من العمر يحمل مجموعة اوراق، يقفز من فوق السياج).

سمير: (يعرض الاورق امام جدته) انظري جدتي.. انظري.. اليس خطي جميلا؟

سمر: الله..!! جميل.. جميل جداً.

سمير: طبعاً.. و.. وفق قواعد الخط، بكل دقة واتقان. انا خطاط وفنان.. خطـاط وفنان.. كما يقول المعلم..

سمر: خطاط وفنان (ثم بحزن) ولكن لو اوليت دروسك بعض الاهتمام ايضا.

سمير: لست سيئاً في دروسي صحيح اني لست متفوقاً جدا. ولكني لست رديئـا.. جدا.. ايضا درجاتي فوق الستين.. وفي اللغة.. سبعون.

سمر: والرياضيات؟

سمير: لا احبها، ياجدتي. تسبب لي الصداع.. اموت منها..

سمر: غلط، يا ولدي، غلط، من لا يحب شيئاً لا يتعلمه..

سمير: (مغيرا الحديث) اين الجدة امنة؟ الا ترى.. ما كتبت لها..

سمر: سترى.. سترى، ستعجب به، فانت خطاط ماهر..

سمير: صحيح جدتي؟ صحيح؟.. هل انا كذلك؟

سمر: اليس ذلك ما تردده ليل نهار؟ (تضحك) ما ادراني انا..!

سمير: وجدتي امنة ايضا.. لا تعرف شيئا عن الخط وفنونه.. مع انها تشـــجعني دائماً.

سمر: هي.. تحبكَ..

سمير: وانا ايضا احبها.. احبها كثيرا (ثم) ولكني صرت.. لا احبـــها كثـيرا... جدا.

سمر: ولماذا يا ولدي؟ لماذا لم تعد تحبها؟

سمير: لانها تفارقنا.. وانا اريدها ان لا تفارقني..

سمر: في الحياة أشياء كثيرة تحدث.. ونحن لا نريدها- ينبغي ان نعود أنفســـنا على تحملها.

سمير: ولكن ما معنى ذهابها إلى المدينة؟ هل المدينة احسن منا؟

سمر: شرعت تضيق بالحياة هنا، ولا سيما بعد وفاة زوجها ورحيل ابنها..

سمير: غلط.. اكبر غلط- ما كان ينبغي أن يتركها ابنها.. ابنها... ابـــد.. أنـــا.. أنا.. لا أفارقك أبدا.. مهما كبرت.. حتى إذا صرت معلماً.. لـــن أتركـــك أبدا..

سمر: آه.. حبيبي (تحتضنه) أخشى ما أخشاه.. أن اضطر أنا إلـــى تركـــك ذات يوم.

سمير: لا.. لا تفعلي يا جدتي.. أرجوك.. (يلتصق بها).

سمر: (كمن تخاطب نفسها) من يدري ماذا يخفي القدر من مفاجآت. لقد أخـــذت السنوات تقوض بنائي.. وصحتي لم تعد.. على ما يرام..

سمير: ولكن أين تذهبين؟ هل لك أنت الأخرى ابن في المدينـــة. تـــتركيني مـــن اجله.

سمر: لا.. يا ولدي.. لا- ليس لي سواك.. لم يعد لي أحـــد ســـواك.. وســـوى

جدك.

سمير: لن ادعك تذهبين إلى أي مكان.. اتبعك أينما تذهبين..

سمر: أوه.. لا.. لا.. يا حبيبي لا.. لا تقل ذلك أرجوك.. أنت يجب أن تبقى يجب أن تحيا وتعيش.. طويلاً.. طويلاً.. إلى.. إلى... ما.. شاء الله.

سمير: ولكن كيف؟ كيف أعيش؟ كيف أحيا؟ إذا كان الكل يفارقني. أنت.. والجدة آمنة..و..

سمر: آه.. يا ولدي الحبيب، تعسا لي. قطع الله لساني الذي قادني إلى هذا الحديث المؤلم. لا.. يا ولدي.. لا.. لا.. أحد يفارقك.. لن أفارقك.. ما دمت حية... أبدا..أبدا..

سمير: والجدة آمنة ايضا.. يجب ان لا تفارقنا

سمر: الجدة آمنة، حالها مختلف، أن لها ابناً في المدينة، وهي ترغب في العيش معه..

لا يحق لنا أن نقف أمام رغبات أحد. حتى وان كان ذلك يؤلمنا.

سمير: ولكن..

سمر: نحن نحب آمنة.. وينبغي أن نرجو لها كل ما سيسعدها.. (بحسرة) هكذا هي الدنيا.. يا ولدي، لقاء.. وفراق.. وفراق..

سمير: ولقاء؟ ولقاء أيضا؟ أليس كذلك.. يا جدتي؟

سمر: إذا شاء الله.. يا ولدي.. إذا شاء الله.

سمير: إذن سألتقي ذات يوم.. بأمي.. وأبي..(تهم أن تتكلم. يختنق صوتها بالدموع) جدتي.. أتبكين؟ لماذا تبكين؟ هل فارقاني إلى الأبد.. كما يقول الأولاد؟ لن التقي بهما.. أبدا.. أبدا..

سمر: اه.. ولدي... ارحمني.. ارحمني..

سمير: حسنا.. حسنا.. لا تبكي.. يا جدتي.. فقط.. لا تفارقيني.. أنت لا تفارقيني أنا.. أنا.. لا أطيق.. فراقاً.. جديدا...

سمر: كفاك.. يا سمير.. كفاك.. أرجوك.. لا أحد.. يفارقك.. لا أحد..

آمنة: (داخلة بملابس أخرى) عفوا.. لقد تأخرت.. ما هذا يا سمر؟ ما الذي يجري؟ أتبكين؟ لماذا..؟ ماذا حدث؟

سمير: بسببك يا جدتي.. بسببك...

آمنة: بسببي؟ بسببي انا.. (تلطم وجهها) لماذا؟ ماذا فعلت..

سمير: بسببك.. وبسبب آبي وامي.. وكل الذين يفارقوننا ولا يرجعون. انا ايضاً.. سوف ابكي.. اذا..

آمنة: يا حبيبي. لا. انت بالذات لا ينبغي ان تبكي وعسى ان لا تبكي ابد. ان قلبي يتمزق. اذ ارى دمعة تسفحها من اجلي..

سمير: (يتمسح بها) اذن لا تمزقي قلبك.. أقول.. أقول.. لا تسافري.. كي لا يتمزق قلبك..

آمنة: (بحزن) هو يتمزق في كل الاحوال. ان بقيت هنا تمزق علي من هناك. وان رحلت تمزق علي من هنا.. اه.. اه.. اه.. يا عذابي..

سمر: أعانك الله على ما فيه الخير.. يا أختي (ثم) سمير.. هل نسيت أوراقك.. ألا تريها لجدتك (لامنة) لقد كتبها.. بأجمل خط..

امنة: (تتأملها) الله! سلمت انامك.. تعال نلصق واحدة منها على الباب.

سمر: (بصورة عفوية) لو تدعين ذلك.. لما بعد عودتنا من السوق.

امنة: (تتوقف) ها؟.. ولماذا يا اختي؟

سمر: (ترتبك لا يأتيها الجواب سريعاً) آ.. آ.. آ.. اخشى ان يأتي احدهم ولا يرى احداً.

امنة: ها؟ ليكن.. ليكن كما تشاءين.

سمير: بينما تبيعان انتما الخضر.. املأ انا الشوارع والمحلات.. بها

آمنة: بارك الله فيك.. هيا.. هيا.. بنا...

سمير: جدتي آمنة.. هل تسمحين لي بركوب الازرق..

آمنة: طبعاً، يا ولدي طبعاً.. وسأجلسك بنفسي على ظهره..

سمر: حمل الحيوان اليوم ثقيل.. واخشى.

امنة: الازرق اقوى من الحصان.. ولن يضـيره هـذا العصفـور علـى ظـهره (يخرجون)

سمير: (صوته من خارج المسرح) هه جا يا ازرق هه جا. هيا يا حصان هيـا (وضحكات من المرأتين.. ثم تبتعد الاصوات.. حتى تتلاشى).

(من بعيد يقبل رجل على مشارف السبعين يجر بنفسه عربة من النوع الذي تجره الدواب عادة، بصعوبة بالغة، فوقها حمل مغطى. يتوقف امام بيـت امنـة، يسترد انفاسه متعباً، رازحاً تحت هم ثقيل يطرق البـاب. لا جـواب يعيـد الطرق. لا جواب..).

الرجل: امنة.. امنة.. هلا اعرتني الحمار بعض الوقت. لقد انهارت قواي. لسـت قادراً على جر العربة (يجلس على الدكة، يلف سيجارة) امنة.. ياآمنة. اين انت يا ابنة العم (ينهض، يعبر السياج) اتكون عند سمر (يطرق البـاب، لا جواب) ما هذا؟ لا أحد هنا.. أيضا؟ أين ذهب الجميع؟ انه حظـكَ.. حظـك الأسود يا فرج... لو ذهبت إلى الشط... لوجدته يابسـاً وعـدت ظمآنـا.. (يعود نحو عربته، يرى على الأرض، مسحاة ومعولاً. يلتقطـها يضعـها فوق العربة) هيا.. هيا.. سأجرك بنفسي بدل الأزرق.. ذلـك قـدري.. لأر ماذا بوسعي أن افعل.. لا احسب ان بوسعي فعل الكثير.. ولكـن يتوجـب

علي ان أحاول.. وعسى الله ان يرأف بحالي ويبعث الي.. من يساعدني

(يسحب العربة بعناء يواصل سيره، يختفي خلف البيت)

(بعد مدة مناسبة، تعود المرأتان حاملتين ما تبضعتا.. وهما تواصلان حديثهما).

آمنة: ليلة أمس وفي لحظة تأمل لمجمل حياتي، بعد وفاة زوجي ورحيل ابني انبثقت الفكرة في ذهني.. ها قد بلغت الستين يا آمنة.. هد العمل في الحقل قواك.. وقد آن لك أن تركني إلى الراحة، وتقضي بقية أيامك إلى جانب ابنك، في البداية رددتها عن نفسي.. ولكنها ظلت تلح علي.. فرحت أقاومها.. غير أنها لم تكف عني.. مع تكثف احساسي بالوحدة والفراغ.. ضعفت أمامها.. واستسلمت لها ووجدتني مع الصباح الباكر أتخذ قراري ببيع البيت والرحيل.. إلى المدينة.

سمر: هكذا.. بهذه السرعة، دون تصميم.. سابق.. ولا حتى تخطيط..

آمنة: تصميم؟ تخطيط؟ لم؟ هل انا ذاهبة إلى القمر؟ انا اذهب إلى ولدي..

سمر: ومع هذا.. من المناسب والأفضل.. ان..

امنة: (تقاطعها) الولد هناك بحاجة الي.. وكذلك الطفلة.. تعرفين انهما موظفان.. وليس ثمة من يعتني بالصغيرة.

سمر: أليست حماته معهما- في البيت.

آمنة: من؟ ناهدة؟ تلك المرأة المتصابية؟ ان النهار كله لا يكفيها للعناية بنفسها. هل تجد وقتاً للعناية بحفيدتي.؟ لا.. لا..لا علي.. ان اعتني بها بنفسي..

سمر: نحن نرجو لك السعادة أينما تكونين.. وان كان فراقك يعز علينا وسوف يؤلمنا.. ويترك في قلوبنا.. فراغاً.. كبيراً.. ولكن تهمنا.. سعادتك بالدرجة الاولى غير أني يا آمنة.. (تسكت).

امنة: ماذا هناك؟ هل من امر؟ قولي.. لا تترددي.. يا سمر..

سمر: يا أختي يا آمنة.. أخشى ان لا يطيقوك.. هناك... ويضيقوا بك.

امنة: من؟ من لا يطيقني؟ ابني؟.. ؟ ابني لا يطيقني.. ويضيق بي؟ بي انا امه؟
مستحيل مستحيل انت واهمة.. اسمحي لي اقل لك انك واهمة..

سمر: ارجو من كل قلبي ان اكون كذلك..

امنة: لم تقولين ذلك يا سمر؟ هل تعرفين شيئاً؟ هل سمعت شيئاً؟

سمر: لا. لا.. وحقك يا امنة. لو كنت قد عرفت او سمعت.. هل كنت اخفي عنك. ولكن اولاد هذا الزمان نزقون طائشون لا يطيقون احدا.. يضجرون من انوفهم.

امنة: كمال.. ليس من ذلك النوع. كمولي وردة حنون ليس مثل غيره..

سمر: ولكن كمولي الحنون هذا.. لم يزرك منذ وفاة زوجك، مرة واحدة.

امنة: انها الوظيفة يا أختي، الوظيفة شديدة، لا يمنحونه.. اجازة..

سمر: سحقاً لوظيفة تمنع الابن من زيارة امه طيلة خمس سنوات.

امنة: ما العمل.. يا أختي.. الحكومة الحكومة.. صعبة.. قاسية...

سمر: الحكومة.. ام هو الذي...

آمنة: الحكومة... الحكومة (ثم) وقد خابرني بنفسه واوضح كل شيء (سمر تبدي علامة عدم اقتناع) ما الذي تريدين ان تقولي يا أختي... يا سمر.. هل اقضي حياتي كلها بعيدة عن ولدي؟

سمر: لا.. لا... يا آمنة.. كل ما أريد ان اقوله.. امنحي نفسك بعض الوقت.. فكري بروية، قبلما..

امنة: أرجوك.. اعرف ان حبك لي وحرصك علي.. يحملانك على بعض الظنون.. او الشكوك.. بكمال و..

سمر: انا؟

امنة: ولكن اطمئني يا أختي.. اطمئني.. انه لا يستطيع منعي من زيارتك.. اعدك ان ازورك كل يوم جمعة، حين يكون كمال وزوجته في البيت. واليوم الذي لا استطيع زيارتك لاي سبب كان، اخابرك ولهذا السبب ساترك لك التليفون.. لا اعطيه لاي كان.. تاكدي. سازورك واخابرك ولا انساك. لا انساك ابدا.. لا انت ولا زوجك الطيب ولا سموري.. الخطاط الحباب..

سمر: اعرف.. يا آمنة.. اعرف- كم انت وفية ومخلصة.. ان علاقة عمرها نصف قرن من الزمن.. من العشرة الطيبة والمحبة الصافية. لا يمكن لاي منا.. ان تنساها.

امنة: اذن ماذا هناك.. يا سمر.. يا أختي.. ماذا هناك؟ قولي.. بصراحة..

سمر: لا ادري لماذا.. انقبضت روحي للفكرة.. شرعت اتوجس خيفة.. من.. من (ثم منفجرة) يا آمنة.. ان قلبي يحدثني.

امنة: (تقاطعها بسرعة وانفعال) لا.. ارجوك.. لا.. دعي حديث قلبك.. جانباً. أنا اخشاه.. أخشاه بكل جوانحي.. (بحزن) ما زلت أتذكر، قبل عشر سنوات، حين تعلقت بابنك وزوجته.. تمنعينهما من السفر.. وتقولين ان قلبي يحدثني..

سمر: ولكنهما لم يصغيا إلى (تدمع عيناها) سافرا.. ولم يعودا.. آه.. آه

آمنة: احمدي ربك انك خطفت منهما سمير.. فأنقذته مما حل بهما..

سمر: الله.. هو الذي أنقذه..

آمنة: آمنت بالله.. ولكن لكل شيء سبباً وقد كنت السبب في نجاته.

سمر: وكان يمكن ان اكون سبباً في نجاتهما ايضا. لو اصغيا الي.. اه ولكن ما الجدوى من التحسر على ما فات.. والندم على ما قد وقع (تمسح دموعها)

امنة.. لماذا لا تذهبين إلى ابنك في زيارة مؤقتة. تمكثين عنـــده.. بضعـة ايام.. ثم يتبين الامر بصورة نهائية..

امنة: لا.. يا سمر.. لا.. لقد عزمت.. فلا تثبطي عزمي.. ارجوك..

سمر: ليكن.. ليكن.. وعسى الله ان يحقق لك ما تريدين. (يدخل سمير).

سمير: (بمرح) لقد ألصقت الإعلان في كل مكان.. على طول الطريق..

آمنة: أرجو أن لا تكون قد نسيت حصة البيت.

سمير: بل أبقيت اكثر من خمس نسخ.. هل أستطيع الاحتفاظ ببعضها يا جدتي.

سمر: وماذا تفعل بها؟ هل تلصقها على لوحة الإعلانات في المدرسة..

سمير: لا.. اعرضها على مدرس الخط..

امنة: لك ذلك يا ولدي.. وسيفرح بها ويثني عليك كل الثناء.. (ينهمكان في لصق الإعلان على الباب) الله.. جميـــل.. جميـل جـدا.. سـينجذب النـاس.. زرافات... زرافات..

سمير: (يقرأ مشيراً على الكلمات بإصبعه) دار للبيع تتوفـــر فيـها كـل أسـباب الراحة..

آمنة: رائع.. رائع.. يا سمير.. ولكن قل لي.. أسباب الراحة هذه من أين جئــت بها.؟

سمير: (ضاحكاً) من إعلان وجدته على باب فندق في كركوك..

سمر: تعال يا سمير تعال يا ولدي.. تناول لقمة.. قبل ان تذهب إلى المدرســة.. وتأخذ إلى جدك غداءه..

آمنة: هيا.. يا ولدي.. هيا.. وألا تأخرت.. (يدخلان البيت. ترنو خلفهما بمحبــة) ليحفظكما الله.. من كل مكروه (تدخل بيتها. تعود حاملـة عـدة حياكــة.. ونظارة طبية. تجلس على الدكة.. تحت أشعة الشمس. تحوك) قاسية هــي

الوحدة يا أختي يا سمر. قاسية ووحشية إلى حد اللامعقول. من المستحيل أن أجعلك تدركين مدى وحشيتها ولا إنسانيتها. فأنت والحمد لله لك زوجك يملأ فراغ لياليك. ولك عصفورك يؤنسك في النهار. قرت بهما عيناك. وأنا وحدي، لا أحد لي. وحدي اسقي حقل الخضر، أنظفه.. ازرع.. احصد.. ابيع المحصولات، على الأرصفة.. على البيوت على أصحاب الدكاكين... كل ذلك جيد.. لست شاكية منه ولا متذمرة. بل على العكس.. فأنه يريحني.. إذ يملأ فراغي ويمنحني ما يوفر لي عيشاً كريما.. ولكنه بمجموعه.. لا يستغرق سوى نصف النهار.. ويبقى ثمة النصف الآخر.. و.. والليل.. ليل الشتاء الطويل الذي يبدو بلا نهاية، استيقظ، أو بالأحرى أفز من النوم، في منتصفه. وكل عضو من أعضاء جسمي يئن. فقد عصره ألم المفاصل والعظام في معصرته الرهيبة مثل مريض أجريت له عملية.. جراحية كبرى. فنام بالرغم من أوجاعه، بسحر المخدر. ثم.. زال عنه تأثيره. فتدفقت دفعة واحدة، كل الآلام والأوجاع التي كانت مغيبة حتى ذلك الوقت.. تنهشه.. تمزقه وشرع ينزف دما غير مرئي.. يسيل من جروح مقشرة.. وبات من المستحيل أن يجد إلى الراحة سبيلا.. فالنوم قد جافاه والمخدر قد فارقه.. فغدا فريسة مفتتة بين أنياب الألم ومخالبه الدامية.. لا يجد دواءً يخفف عنه ولا أحدا.. يهدئه.. آه.. (ترفع نظارتها. تمسح دموعها) تلك حالي.. يا سمر..بعض حالي.. يا أختي.. فلا تلوميني.. كل ليلة تحاصرني أفكار مجنونة، غريبة عجيبة، لا ادري من اين تنبثق.. تتقاذفني أمواجها من شاطئ إلى شاطئ.. تصفعني الشواطئ بلا رحمة، تلطمني السواحل بلا شفقة. مثل سفينة، تائهة، تمزقت أشرعتها وغادرها ربانها.. وتركت وحيدة، تركلها الزوابع.. والاعاصير..

دون أن تقضي عليها.. وتخلصها من هذا التردد المروع بين ضفتي الموت والحياة. اقبع وحدي فوق صفحة البحر. اقصد فـوق السـرير، الصلـب، البارد، يفترسني البرد وينخرني الخوف، وفي عملية بحـث وهمـي عـن الدفء الإنساني والامان الروحي.. استحضر كل أحبتي ومعارفي الاقربيـن والأبعدين انفخ الحياة في زوجي واوقظه من رقاده الابدي في القبر. اسرق ابني من نومه الهانيء في احضان زوجته. استحضرك انت. اجل يا سمر.. يارفيقة عمري.. اخرجك من دفء احلامك. وحتى فـرج.. لا ينجـو مـن ازعاجي واقلاقي راحته.. اه لكم يكون الانسان الوحيـد انانيـا. واحـادي التفكير. (تمسح دمعتها) وتطول سلسلة الاحبة والمعارف. ولكنها تنتـهي.. سرعان ما تنتهي، بالرغم من طولها.. فأي واحد منكم لا يمكـث عنـدي سوى دقائق. لا ينقذني من ليل وحدتي الموحش الا هنيـهات ثـم يغيـب ويتركني لفراغ الليل الطويل، المزروع بـالقلق والارق. وسـيول الافكـار المتدفقة. والتهويمات الجارفة.. (تمسح دموعها) لا تلوميني.. يا سـمر.. اذ الوذ بابني.. فلم يعد لي سواه يخلصني.. مما اعـاني.. اعـرف انـه لا يتفرغ لي. وقد لا اتمكن من رؤيته والجلوس معه ألا لماما. ولكن يكفي ان اعيش في بيت تتردد فيه أنفاس ابني وكنتي وحفيدتي.. أنها.. إنها هـواء حياتي وذلك حسبي. (تتوقف كمن تواجه هاجسا داخليا) و.. ولكن ماذا لـو صدقت ظنون سمر.. وضاقوا ذرعاً بي. هناك. هو او زوجته او حماتـه.. لا سيما بعدما أكون قد أحرقت كل السفن ورائي كما يقال.. اه... يا الهي.. ان ذلك لقمين بان أموت ألف مرة.. قبل ان أواجهة مرة واحـدة (وقفـة) لعله يحسن بي أن اذهب إليهم أولا امكث لديهم بعض الوقت، كمـا تقـول سمر، أتحسس الحالة.. أجس النبض.. قبل ان.. لا.. لا.. لا أطيق سـوء

معاملتهم لي.. ولا.. حتى استقبالهم لي ببرود.. او.. عدم احتفائهم كما ينبغي. انه لاهون علي ان اقتل نفسي من ان أتلقى إهانة كتلك واسكت. (تفكر) اجل.. اجل.. من الأفضل ان أتأكد.. من كل شيء قبل أن أخطو أية خطوة (تضع عدة الحياكة ونظارتها جانبا تدخل غرفتها يمكن رؤيتها من خلال النافذة.. وهي ترفع سماعة التلفون (يخرج سمير من البيت الثاني. حاملا على ظهره حقيبة مدرسية. يقضم لفة طعامه يقفز السياج. يقف قبالة الاعلان. يتأمله..).

سمير: ما كان ينبغي ان اكتبه بهذا القدر من الجمال. كي.. لا يجذب اليه احدا. بل.. بل.. ما كان ينبغي ان اكتبه اصلا.. حتى لا يأتي احد.. ويحرمنا.. منها. ولكنني احب جدتي.. امنة.. ولا استطيع ان ارفض لها طلبا.. ابدا (يستدير ليذهب. تخرج سمر من البيت.. حاملة قدرا صغيرة..).

سمر: سمير.. ما هذا يا سمير؟ الا تأخذ الطعام.. لجدك؟

سمير: (يعود مسرعاً) نسيت جدتي.. لقد نسيت.. (ياخذها منها).

سمر: عد من المدرسة إلى البيت مباشرة.. لا تشغل نفسك هنا وهناك.. لتأخذ العشاء قبل حلول الظلام.

سمير: العشاء ايضا؟ الا يعود إلى البيت الليلة..

سمر: الليلة نوبة خفارته في المعمل.. لا تنس يا ولدي والا غضب عليك جدك.

سمير: حسنا جدتي.. حسنا (يستدير ليغادر. يتوقف امام الاعلان) اليس جميلا..

سمر: (مداعبة) ما هو؟

سمير: الخط.. خطي..

سمر: جميل.. جميل جداً.. (ثم) الم اقل لك ذلك؟

سمير: بلى.. بلى.. ولكني نسيت.. أنا كثير النسيان..

سمر: نسيت حقاً؟ ام انك لا تشبع من الإطراء (سمير يضحك) ولكن يبقـــى ثمـــة الأجمل.

سمير: الأجمل؟ اجمل من خطي؟ مستحيل....

سمر: ولماذا مستحيل؟ الست اجمل من خطك (يضحك) تعال.. تعال.. ايها الخطـاط الجميل.. اعطني قبلة.. قبل ان تذهب..

سمير: اسرعي يا جدتي. ليس لدي الكثير من الوقت اضيعه.. في القبل (يضحكان في الغرفة تضع امنة السماعة ترفع ثوبها إلى عينها).

سمر: والان طر ايها العصفور إلى عشك قبل ان يدق الجرس. (تعود.. تتوقـــف) سمير هل نزعت ملابسك الوسخة؟

سمير: (صوته من الخارج) اجل.. يا جدتي.. تركتها فوق الفراش.

امنة: (خارجة دامعة العينين.. في حالة بائسة) ســـ... سمـــ... سمر...

سمر: (تتوقف) امنة؟ امنة؟ (تلتفت نحوها) اه.. يا الهي! ماذا بك؟ ماذا جرى لك؟ (تسرع نحوها قافزة فوق السياج) ما الذي حدث.. اخبريني..

امنة: و.. و.. مثلما توقعت (تختنق بالدموع) تماماً.. مثلما.. توقعت..

سمر: مثلما توقعت؟ توقعت ماذا؟

امنة: إنه لا يريدني.. وو.. ولدي الوحيد.. لا يريدني..

سمر: آه.. تعساً لي.. تعساً وسحقاً.. لي..

آمنة: لك؟ وما ذنبك انت؟

سمر: لأني بومة.. امرأة مشؤومة.. كلي شؤم. ما توقعت سوءاً الا.. وقع..

امنة: بل أنت امرأة صالحة.. بعيدة النظر.. ماذا كان يحدث لي لـــو بعـــت البيـــت وتوجهت إلى بيتي الثاني.ز بيت ولدي الوحيد، مفعمة بامل اللقاء معـــه. محلقة باجنحة الشوق واللهفة لاحتضان حفيدتي ومعانقة كنتي.. فاذا بـــه

يغلق الباب بوجهي و.. (تخفي وجهها باكية)

سمر: بيتك الثاني هو بيتي انا.. يا آمنة.. بل ان مسكنك هو قلبـــي وروحـــي يـــا اختي (تعانقها.. تقبلها)

امنة: (تبكي) انه.. انه.. ينصحني.. بالبقاء.. هنا.

سمر: (بفرح) عظيم.. اذن لن تبيعي البيت.

امنة: بل.. ابيعه..

سمر: (مصعوقة) نـــ.. نعم..؟

امنة: كما سمعت يا اختي.. ابيعه.. يتحتم علي ان ابيعه.

سمر: كيف.؟ لماذا؟

امنة: (بمرارة)هو.. يأمرني ببيعه..

سمر: (بدهشة) يأمرك..

امنة: وباشد الوان الالحاح والاصرار.

سمر: ارفضي.. لا تطيعيه..

أمنة: (بضعف شديد) لا.. لا استطيع

سمر: ماذا تعنين لا استطيع؟ لا بد ان ترفضي.

امنة: انه.. انه.. في حاجة ماسة إلى.. ثمنه..

سمر: آها.. ها هي الحكاية.. اذن.

امنة: ما كادت كلمة البيع تطرق اذنه.. حتى تعلق بها بكل جوارحه. واغلق عليـــه ذهنه.. مهملا كل ما عداها.. كأن هبة من السماء هبطت عليه.. دون توقع ولا رجاء..

سمر: و.. وانت؟

امنة: انا؟.. ماذا بي؟

سمر: اين تذهبين؟ هل يلقى بك في الشارع؟ كمولي الحنون هذا!!

امنة: (بحزن) يبدو انه ارحم من ان يفعل ذلك.. بامه..

سمر: إذن سيشتري.. او يستأجر مسكنا لامه، قريبا منه..

آمنة: لم يعد بشيء من هذا القبيل.

سمر: هاه؟ وماذا قال؟ ينتزعك من بيتك ولا يضمن لك أي مسكن؟ أي بديل؟

آمنة: (كالغائبة عن الوعي) يضمن...

سمر: الحمد لله.. أين؟

آمنة: (بنفس الحالة) في.. بيتي..

سمر: (يتصاعد انفعالها) في.. في بيتك؟ هنا؟ تقصدين.. هذا البيت؟

آمنة: اجل..

سمر: اجل؟ تقولين اجل؟ كيف؟ انا لا افهم؟ لا افهم شيئا البتة..

آمنة: يقول احتفظي بغرفتك واخصميها من الثمن الاجمالي.

سمر: يا له من ابن بار.. من الثمن الإجمالي ها؟ أي كرم.. هذا.. أي كرم؟

امنة: ذلك ما يقوله..

سمر: ولكن ذلك محض هراء.. لا احد يشتري بيتاً بهذه الوصفة الشاذة..

امنة: (باستسلام) علي ان احاول.. علي ان اجرب... حظي..

سمر: تحاولين ماذا؟ تجربين ماذا؟ أي حظ ذلك الذي تجربينه؟ ولماذا ومن اجل... من؟

امنة: من اجل ابني.. وي!! انه ابني.. ابني الوحيد.. وهو في ضنك شديد يرزح تحت ضائقة خانقة.. لقد كان يحدثني والدموع تنهمر من عينيه.. هل اتركه يشحذ؟ هل ادعه يستعطي هذا.. ويسأل ذاك؟

سمر: اسمعي يا آمنة- ليس من حقي أن أتدخل بينك وبين ابنك.. فأنت حرة..

ولكن لو كان لي ابن بهذا القدر من العقوق... لنبذته..

امنة: وي!! تنبذين ابنك؟ ما هذا الكلام.. يا سمر؟

سمر: وذلك أخف.. عقاب.. وارحم جزاء...

امنة: سامحك الله.. يا اختي.. سامحك الله...

سمر: (تنهض بانفعال شديد) او ووه، لو لم تكوني بهذا القدر اللامعقول من.. من الطيبة..

امنة: إلى.. اين؟

سمر: الماء فوق النار.. يفور (تدخل بيتها).

امنة: ما اهون عليك ان تقولي ذلك يا سمر.. ما دام كمال ليس ابنك.. لم تكتوي بالام حمله... ولا احترقت بنيران مخاضاته ووضعه... لو كان ابنك اكنت تقوين على هجره، ناهيك عن نبذه!! (تحوك) انه لا يريدني معه.. ان ذلك ليحز في نفسي كالسكين... ويغص في حلقي.. بل.. بل ويشق في كبدي جرحاً.. لن يندمل.. حسناً.. ثم ماذا؟ هل يتوجب علي الا احبه؟ ان اكرهه؟ وهل من أم يعرف قلبها كراهية وليدها؟ ثم.. ثم.. أي ام تنتظر ثمنا لحبها.. او جزاء من فلذة كبدها؟ لا.. لا يا سمر... لا استطيع ان ارى ابني يغرق تحت الديون، يختنق. واقف اتفرج عليه ان قلبي ينفطر على حاله. سأساعده بكل ما املك.. ببيع البيت وحاجات البيت. ولو اضطررت ان ابيع نفسي في سبيله لما ترددت. ان.. ان زوجته حامل وهي بحاجة إلى تغذية جيدة واطباء ومستشفيات وادوية. وكل ذلك يتطلب اموالاً طائلة. ثم.. ثم.. ان زوجي عاش ومات هنا. في هذا البيت. ما تزال انفاسه تملأ ارجاءه. وما تزال جدرانه تردد صدى ضحكاته وسعاله وصوته.. ليس هيناً علي مغادرة ذكرياتي واطفاء ايامي، والانسلاخ عن تاريخي. وسمر

نفسها وزوجها الطيب والعصفور النطاط. و.. وثمـــة... فــرج.. فــرج.. فرج، الذي يتفقد احوالي دائماً.. ويسأل عني باستمرار.. و... وزوجتـــه الحنون... شفاها الله. كل هؤلاء باتوا اجزاء حية منـــي لا اقــوى علــى بترها. (تتوقف) لقد.. لقد تعبت من الجلوس ساعات على الارصفـــة ابيـــع الخضر. او التردد على اصحاب الدكاكين. سأبيع الحقل مع البيـــت وابيـــع الازرق ايضا... اذ لا.. لاعود بحاجة اليه.. واخلص من اطعامه والعنايـــة به. او سأعطيه لفرج.. الذي طالما رغب فيه. لا سيما بعدما نفقت اتانـــه. انه رجل طيب وقد ارهقه جر العربة الثقيلة وهد كيانه (تتوقـــف) و.. واذا تعذر البيع.. او تأخر؟ لا بد ان افعل شيئاً (تنهض) سأبعث له من مدخراتي ما يعينه، حتى ذلك الحين (تدخل غرفتها. تتناول صندوق مدخراتـــها مـــن خزانة ملابسها. تعد محتوياته.. تضعه جانباً. تختفي داخل البيت)

(تقبل سيدة، في حدود الخمسين مع ابنها يقفان امام البيت).

الابن: اذن.. فهذا هو البيت. انه لا يبدو سيئاً اليس كذلك؟

الام: مظهره من الخارج مقبول (تتأمله) انه على العموم مناسب.

الابن: ولا يبعد كثيرا عن المدرسة. يمكنني قطع المسافة مشيا

الام: ارجو ان يكون ثمنه مناسبا (تطرق الباب) يتبقى لنا قدر من المال نشـــتري قطعة ارض زراعية. نزرعها.. ونستفيد من واردها.

الابن: دائماً ترهقين نفسك. كأن الله لم يخلقك الا للتعب.

ألام: لا أحد يهوى التعب.. يا ولدي.. ولكنها الحاجة..

الابن: لقد عملت وتعبت طيلة سنوات الدراسة. بما فيه الكفاية وفوق الطاقـــة... الان قد تخرجت وتوظفت وآن لك ان ترتاحي.

الام: ارتاح حقاً حين أراك قد كونت نفسك. تزوجت وانجبت.. و.. الحياة صعبة يا

ولدي.. وتزداد صعوبة كل يوم. أين هؤلاء؟ ماذا حل بهم؟ (تطرق البـــاب ثانية) أما من أحد؟

امنة: (صوتها من الداخل) انا قادمة (تخرج ببشاشة) مرحباً بك ســيدتي مرحبــاً بك.. ولدي..

الام: مساء الخير سيدتي.. جئنا من اجل البيت. وارجو ان لا نكون قد تأخرنا.

امنة: انتما اول القادمين. مرحبا بكما. كنت اعد لنفسي قــدح شــاي.. ارجــو ان تشاركاني تفضلا.. تفضلا (وتشير اليهما بالدخول).

الام: شكرا سيدتي.. اننا في الواقع..

امنة: ارجوكما.. الشاي جاهز، تفضلا. ام.. ام تفضلان تناولــه هنــا، فــي دفء الشمس... لحظة- لحظة واحدة (تدخل)

الابن: انها.. امرأة طيبة..

الام: عسى ان يكون الثمن الذي تطلبه مثلها.. او.. أطيب منها.

الابن: طيبة المقابل تحملني على التفاؤل. ذلك ما كنت تقولينه..

الام: (ضاحكة) كنت أقوله، قبل ان ادخل صفقات البيع والشراء هه هه هه..

امنة: (خارجة بعدة الشاي) ضحكتك بشارة خير.. استبشر بها الخير..

الام: ان شاء الله...

امنة: (تصب الشاي) تفضلي، تفضل يا ولدي اتريدان شيئاً مع الشاي؟ لدي جبــن طري طازج.. (تنهض)..

الابن: لا.. يا خالتي... ارجوك...

امنة: انها وجبتي المفضلة.. خاصة مع الخضر..

الام: ارجوك.. لا تزعجي نفسك.. يكفينا الشاي..

امنة: سأنزعج حقاً اذا لم تأكلا معي. (تدخل البيت)...

الابن: يا لها من امرأة... بسيطة وعفوية..

الام: حقا ما اشد طيبتها... قد عاد الي تفاؤلي...

الابن: (ضاحكا) حتى في الصفقات التجارية..

الام: (ضاحكة) حتى في الصفقات التجرية..

الابن: لنأمل الخير... اذن...

امنة: (خارجة بالطعام) تفضلا.. تفضلا لنأكل قبل ان يسد حديث البيع والشراء شهيتنا او يفسدها..

الابن: طيبتك تفتح للشهية كل الابواب.. ولا قوة تفسدها..

امنة: لا تتسرع يا ولدي (بابتسامة) لئلا تضطر إلى تغيير رأيك فيما بعد (ضاحكة) قد تكون لي شروط صعبة.. ما اسمك حفظك الله..

الابن: خالد.. يا خالتي..

امنة: اقر الله بك يا خالد.. عيون امك وابيك.

الام: واحسرتي على ابيه.. لم تكتحل به عيناه..

آمنة: ها..؟

الام: توفي- وخالد جنين في بطني.

امنة: اه.. كان الله في عونك.. ان تهدم عمود البيت كارثة.

الابن: امي اقامت البيت على عاتقها.. وكونتني خير تكوين..

الام: (مغيرة مجرى الحديث) هو الان والحمد لله.. معلم.. تخرج هذا العام..

امنة: (بتقدير) معلم.. اه.. جميل كمال ولدي.. معلم ايضا..

الابن: (بلهفة) هنا.. في الناحية..

امنة: لا.. انه في المدينة..

الابن: اه.. في المدينة؟ لابد ان له خدمة وظيفية طويلة..

امنة: في حدود العشر سنوات. لقد تزوج هناك. وله بنت جميلة..

الام: بنت؟ اه.. يا الهي.. رائع ان يكون للواحدة منا.. حفيدة..

امنة: الامر كما تقولين. وان كان ذلك يشعرنا بانا قد عشنا بما فيه الكفاية.

الام: كل ما اتمناه ان يمد الله في عمري حتى ارى حفيدي..

امنة: سترين باذن الله وسترين احفاد احفادك..

الام: لا.. لا اريد ان ابلغ ارذل العمر.. يكفيني اولاد خالد. اه.. تصور يا خالد كم هو جميل ان تجدني اذ تعود من المدرسة، هنا اما الباب، جالسة على هذه الدكة نفسها، اناغي والاعب ولديك وزوجتك تتهيأ للذهاب إلى عملها.

الابن: (ضاحكا) ما اسرع ما زوجتني.. وجعلتني ابا.. و..

الام: ستتزوج يا ولدي وستنجب بنين وبنات.. موفوري الصحة والجمال.. روحي مفعمة بأمل ان تكون ايامنا الاتية زاخرة بالبهجة والسعادة

امنة: امين.. اللهم.. امين..

الام: بعد وفاة زوجي، سيطرت علي امنية واحدة، ان اهجر المدينة.. واسكن بعيدا عنها، انا وخالد.. ان يكون لي بيت مريح وسط حقل او بستان.. تتوفر فيه الطمأنينة والجيرة الطيبة..

امنة: ارجو من كل قلبي.. ان يحقق لك. بيتي المتواضع.. حلمك المشروع هذا؟ فثمة حقل في باحة الدار. زرعت فيه انواع الخضر. والحمد لله... يفيض محصوله عن حاجتي وحاجة سمر.. فاذهب به إلى السوق. وسمر، التي ستكون جارتك.. لن تجدي اطيب منها..

الام: ومع هذا تتركين هذه الجنينة الحلوة وتذهبين إلى المدينة (ثم).. حقا.. للناس فيما يشتهون مذاهب..

الابن: في سبيل ابنها.. يا امي.. انها تضحي بكل ذلك في سبيل العيش مع ابنها..

الام: لا الومها ابدا، في النهاية ليس لنا، نحن المفجوعات بازواجنا.. غير أولادنا وبناتنا. نلازمهم سنوات حياتنا المتبقية فلا احد.. غيرهم، يحقق لنا الامان والطمانينة.. وينير لنا ايامنا التي توشك ان تنطفيء..

الابن: لن تنطفيء يا امي.. سنظل نمدها بزيت محبتنا وعرق كدنا من اجلكن..

امنة: لافض فوكما.. ما اجمل ما تقولان.. ما احلى كلامكما.. اه.. انه كالشهد في الحلق.. كالشهد.. (تسرح)

الام: (بعد صمت قصير) آ.. آ.. اما نلقي نظرة على البيت..

امنة: (سارحة تخاطب نفسها) ليتني اعرف الكلام مثلها.. ليت ابني يتكلم مثله..

الابن: خالتي.. هل.. (ما تزال سارحة)..

الام: سيدتي..

امنة: ها؟

الام: (بابتسامة) ها؟ اذن.. لم تكوني معنا..

امنة: بل كنت. كنت وما زلت.. وليتني ابقى إلى الابد. و.. و.. ماذا هناك.. هل.. قلت شيئا؟ (الابن والام يتبادلان النظر) عفوا.. عفوا.. لقد سرحت.. قليلا..

الام: (مداعبة) طبعا.. لقاء الاحبة يسحر. كلنا هكذا ضعيفات امام طوفان عواطفنا.. سرعان ما يجرفنا.. ويسلبنا من انفسنا.. ويلقى بنا في فردوس أحلام الحياة مع الاولاد والاحفاد..

الابن: تجدين الان الاستاذ كمال اشد لهفة للقاء امه، ينتظرك على احر من الجمر..

امنة: (بنبرة غريبة) الاستاذ كمال.. لا ينتظر امه..

كلاهما: (بدهشة معا) ها؟ لا؟ لا ينتظرك؟

آمنة: (بالنبرة نفسها) وانا.. لن اذهب اليه

الام: تذهبين الى ابن اخر.. لك..

امنة: ليس لي سواه..

الام: ومع هذا.. لا تذهبين اليه؟

امنة: ا.. اجل..

الام: (بدهشة اشد وسرعة) في هذه الحالة. أين ستذهبين؟

امنة: في.. في (يختنق صوتها بالدموع) في.. هذه.. انا.. انا..

الابن: امي.. لماذا تتوغلين في اسرار الناس. نحن هنا من اجل البيت حسب..

الام: اسفة، يا سيدتي، اسفة جدا. اذا كان سؤالي قد سبب لك أي احراج..

امنة: لا.. انا.. انا.. حريصة ان تعرفا الحقيقة.. انتما بالذات يهمني ان تعرفا الحقيقة.

الام: نحن الامهات، يا ولدي نصغي في ثنايا الكلام المسموع، حين يدور عن فلذات الاكباد، إلى كلام اخر، غير مسموع.. او.. او.. غير معلن..

امنة: و.. سمعت؟ سمعت الكلام الاخر.. غير المقال..

الام: وذلك ما اقلقني واثار فضولي، اذ كيف يكون للواحدة منا ابن له بيت وزوجة واطفال.. و.. و.. (تنظر إلى خالد) لعله يحسن ابي ان اكبح جماح فضولي. اليس كذلك يا خالد؟ (يسكت ويدير وجهه) شباب هذه الايام شديدو الانعزالية، ليسوا مثلنا. انهم من فرط امتلاء اذانهم باصواتهم الشخصية، وهمومهم الفردية، لا يكادون يسمعون الصوت الاخر، ولا يحفلون كثيرا بهموم سواهم..

الابن: انا.. انا في الواقع.. متلهف لمشاهدة البيت حسب..

امنة: (بابتسامة) وعجولون ايضا، شبابنا على عجلة من امرهم..

الابن: الوقت، يا خالتي، الوقت تأخر، اخشى ان تنقطع السيارات و..

امنة: الطريق مأهولة. والسيارات لا تنقطع.. اطمئن يا ولدي (ضاحكة) ولست ناوية ان احتجزكم هنا..

الام: ومع هذا.. يتوجب علينا ان..

امنة: سيدتي الجليلة. لقد دخلت قلبي انت وابنك. وانا لا انافق ولا اتملق. لا سيما بعد ان استجاب قلبك الحنون لنشيج روحي الاخرس. ان قلبا يلتقط دموعا غير مرئية تذرفها روح حزينة.. لجدير بكل ثقة واجلال. لذاته، وليس لاي اعتبار اخر..

الام: يسعدني جدا ما اسمعه. فالعلاقات الانسانية الحقة. هي التي تبنيها الثقة المتبادلة.. قبل كل شيء.

امنة: (بعد صمت) و.. و.. بخصوص البيت.. (تسكت صمت اخر)..

الام: اني مصغية.. يا سيدتي (صمت) كلي اذان.. تفضلي..

امنة: باختصار شديد.. يا اختي (ترتبك) في الحقيقة.. لا ادري كيف اقول..

الام: قولي كيفما تشاءين.. ما دامت جسور الثقة قد امتدت بيننا، فتكلمي كما يحلو لك..

امنة: ثمة.. مسألة خاصة..

الابن: خاصة؟ هل من الضروري ان نعرفها..

امنة: اظن ذلك.. ما دامت تتعلق بالبيت..

الابن: (بروح فكهة ومداعبة) ماذا به؟ مسكون؟

امنة: (بدهشة) مسكون؟ (ثم بمرح) اجل.. وارجو ان.. ان يظل كذلك؟

الابن: (يختض) مـ.. ماذا.. مسكون؟ (يتوجه نحو امه.. المندهشة هي الاخرى)..

امنة: (بهدوء) بروح طيبة (تربت على شعره) روح محبة. ترعاك تسهر عليك

وتحنو.. حنو امك وسهرها..

الابن: انا.. انا.. لا افهم (يرنو إلى امه) مــ.. ماذا تقصد؟

الام: سيدتي.. هل يمكن.. ان توضحي.. ان.. ان.. كان ممكنا.. (امنـــة تتعـذب، الام تتبادل النظر مع ابنها في حيرة) انا.. انا.. اسفة.. اذا كنت..

امنة: انه.. انه.. امر جارح إلى حد الطعن في الروح. لا اعرف كيف اقولـــه.. لا ادري كيف اوضحه.. (تنقل النظر بينهما كمن تبحث عن عون)

الام: يحرجك وجود خالد؟ (ثم) خالد.. هلا تركتنا بعض الوقت..

الابن: حاضر.. يا امي (يهم بالمغادرة)

امنة: (تتعلق به) لا.. لا.. خالد مثل ابني (ثم) عفوك يا خالد عفوك ارجـــو ان لا أكون قد اسأت اليك...

الابن: على العكس يا خالة انت تشرفينني.. اذ تعتبرينني مثل ابنك.

امنة: لا. يا ولدي. لا.. انت لست مثله. وارجو ان لا تكون مثله (تمسح دمعتها)

الام: ما الامر يا سيدتي.. اثمة ما يوجعك؟

امنة: اتسألينني يا سيدتي. اما كنت تصغين إلى العزف الدامي الصادر من روحـــي المفتتة. الم تسمعي ملء اذان قلبـــك الحنـــون الحســـاس حديـــث قلبـــي المجروح؟

الام: اه.. وكم كنت امل وارجو ان اكون مخطئة. اه.. يا الهي، اذن فـــهو الـــذي (تومىء ايجابا) اه.. يا رحمة السماء الواسعة.. هل يمكن..

الابن: (مضطربا) ماذا هناك؟ لماذا تنتحبان؟ ما الذي جرى..

الام: لا اصدق لا استطيع ان اصدق.. لا اريد ان اصدق.. اه.. اه..

الابن: (يزداد قلقه) ماذا هناك. لماذا لا تخبرني احداكما؟

امنة: انه ولدي يا خالد.. ولدي كمال..

الابن: ماذا به؟ احدث له شيء.. (امنة لا تجيب)..

الام: انه.. لا يريدها

الابن: ها؟

الام: تصور.. يا خالد.. انه لا يريدها معه..

الابن: لا يريد امه؟ كيف؟ باي حق؟ باي حق؟

الام: بلا حق.. بلا أي حق.. لا حق له البتة..

الابن: ولكن.. ولكن.. (عاجزا) في الحقيقة.. لا اعرف ماذا اقول.. اذن.. فـــهو لا يريدك ان تبيعي البيت كذلك..

امنة: بل.. ابيعه. لا بد ان ابيعه.

الام: ررر.. رغما عن ابنك؟

امنة: رغما عني.. رغما عن انفي.

الابن: عفوا.. يا خالتي.. الك بيت اخر؟ او..

امنة: لا. لا املك من حطام الدنيا سوى هذا البيت.

الام: ومع هذا تصرين على بيعه؟

امنة: اجل..

الام: غريب!! هل فكرت بما يؤول اليه مصيرك؟

امنة: ذلك ما اود التفاهم بصدده معكما..

الام: (بدهشة) معنا؟ أأنا وابني؟

امنة: (تومىء ايجابا)..

الابن: ولكن.. ما شأننا نحن..؟

امنة: وحدكما صاحبا الشأن.. وحدكما صاحبا القرار..

كلاهما: كيف؟

امنة: (تتغلب على ترددها) اريد.. ان.. ان ابقى في.. في البيت..

الام: حتى.. بعد بيعه؟

امنة: أ.. اجل..

الام: في هذه الحالة.. لست مضطرة لبيعه..

امنة: (في عجز شديد) بل مضطرة.. ومضطرة جدا..

الام: (متراجعة) حسنا.. حسنا ليس من حقي ان..

امنة: لا اريد اكثر من غرفة واحدة.. غرفتي هذه (تشير اليها)..

الابن: (باستغراب) غرفة؟ غرفة واحدة؟

امنة: انشيء لها اللوازم الاخرى لاحقا. واذا شئتما افتح لها بابا.. مستقلا.. ايضا..

الام: (ساهمة) ليست تلك هي المسألة.. وانما

امنة: لا احسب ان مكوثي يطول.. المقبرة قريبة. جارتي سمر وزوجها و.. وفرج. يتولون الامر كله، وثمة مبلغ.. ادخرته لهذا الغرض، لا اريد احدا يتحمل شيئا من نفقات الدفن.. وما شابه (الام والابن واجمان، يريم عليهما الصمت، يتبادلان النظر)..

امنة: ومن اجل ذلك اتنازل عن ربع الثمن. او لنقل ثلثه ومن اجلكما.. بوسعي ان اتنازل عن النصف.. اجل.. النصف (صمت) ها.. ما قولكما (لا يجيبان) الطلب.. غريب.. ها؟

الام: في الحقيقة.. انه كذلك.. غريب نوعا ما.

امنة: اعرف. اعرف (ثم) ليس البت فيه هيناً لذا اترك لكما حرية بحثه كما يروق لكما، يوما.. يومين.. عشرة ايام.. واعدكما ان لا اعطي كلمتي لاحد.. حتى تقررا.. ما تشاءان.

الام: لا.. احسبنا بحاجة إلى كل هذه المدة.. فاننا..

امنة: على اية حال ساكون في الداخل ابحثا الامر كما تريدان. وقررا بشأنه ما ترغبان (تحمل عدة الشاي) وتاكدا ان قراركما، ايا كان، لن يقلل من محبتي واجلالي.. لكما.. (تدخل)..

(يطبق عليهما صمت، احدهما يتطلع في وجه الاخر)..

الام: ها؟ ماذا ترى؟

الابن: عرضها كريم.. جدا..

الام: (ساهمة) فعلا..

الابن: ومن شأنه ان يوفر لك المال الذي تحتاجين اليه.. في..

الام: ولكني لا آمن جانب ابنها..

الابن: وما شأننا بابنها. ابنها هناك. في المدينة، نحن هنا..

الام: ان ابنا يعامل أمه على ذلك النحو.. يمكن ان يفعل كل شيء وبكل الناس.. ان.. ان قلبي غير مطمئن.. يا خالد.. يا ولدي..

الابن: اذن؟

ألام: لا ادري.. انا.. انا.. حائرة، لا أستطيع ان اقرر..

الابن: لنؤجل الأمر.. يوماً او يومين.. كما اقترحت..

الام: وندعها تنتظر طيلة هذه المدة؟ انها لقسوة ما يعدها قسوة ان تترك احداً على نار الانتظار. وهذه السيدة بالذات لا تستحق ذلك..

الابن: و العمل؟

الام: علينا ان نحسم الامر الآن.. وباسرع ما يمكن..

الابن: ولكن كيف.. لا استطيع.. انا الاخر. لا استطيع.. لتقرري انت.

الام: (بعد تفكير) اراني مضطرة إلى عدم القبول..

الابن: الرفض؟ اه.. ستكون صدمة كبيرة.. يتفطر لها قلبها المجروح. فقد احبتنا المرأة من كل قلبها..

الام: مثلما احببناها..

الابن: كيف نواجهها؟ ماذا نقول لها؟

الام: اه.. تلك مشكلة حقا.. لم نحسب لها حسابا.. كيف (تكلمه) اسمع يا خالد..

الابن: نعم.. يا امي..

الام: لنكتب لها رسالة..

الابن: (غير مقتنع) رسالة؟ أنجزي تلك المشاعر الانسانية، الجياشة الدافئة، بورقة جامدة، وبضع كلمات باردة..؟

الام: ليس امامنا.. سبيل اخر.. سيكون لاي مواجهة وقع اليم عليها..

الابن:عليها؟ ام.. علينا..

الام: عليها.. وعلينا..

الابن: (كمن يخاطب نفسه) هي ستواجه الالم وتعيشه في كل الاحوال، بينما نحن.. سنفر منه.. (ثم) ماذا اقول لها؟

الام: هل اعلمك ماذا تقول لها. الست معلما؟ الم تصبح معلما؟

الابن: ذهني يابس.. خال تماما، معطل عن كل فعالية..

الام: حسنا.. حسنا- اكتب.. قل لها سيدتي الكريمة. خالتي العزيزة (تسكت. تفكر.. تتطلع نحو السماء. بينما الابن ينغمر فجأة في الكتابة.. متدفقاً غير مبال بها. تستمر الام)، اننا في غاية الاسى والاسف اذ نرانا مضطرين.. إلى.. إلى.. (ثم) إلى ماذا يا خالد؟ ساعدني قل لي (تتطلع نحوه.. تراه يكتب بلا توقف تصمت.. ترنو اليه.. خالد يستمر في الكتابة مخفيا وجهه عن امه ينهي الرسالته.

(يطويها. يتلفت هنا وهناك.. حائرا.. لا يدري أين يضعها)

الام: هاتها.. يا ولدي (تضعها تحت عدة الحياكة) سوف ابتهل إلى الله ليل نـهار.. ان يصلح ما بينك وبين ابنك.. ويعود اليك نادماً.. مستغفرا.. فيسعد بك وتسعدين به.. ايتها الأخت الكريمة..

(يغادران، بعد فترة مناسبة، تخرج آمنة.. بادية القلق والترقب)..

امنة: (تتطلع هنا.. وهناك.. اذ لا تراهما تنتكس شـاعرة بالإحباط) اه.. لقد.. ذهبا.. هكذا بلا كلمة.. (تجلس) اذن لم يوافقا (تتناول عدة الحياكة تسقط الورقة، تتناولها) ما هذه الورقة، رسالة؟ هل تركا لي رسالة؟ يا عيني ..ليت سمير يعود بسرعة ليقرأها. (تخرج سمر بسلة ملابس مغسولة، تنشرها على الحبال) هل رأيتهما يا سمر؟

سمر: من؟

امنة: ام وابنها.. لم ار اطيب منهما ولا ارق. كانا هنا من اجل البيت..

سمر: ها؟ هل وافقا على شرائه؟

امنة: لا.. لم يوافقا.. ولهذا السبب تركا لي رسالة..

سمر: هل عاينا البيت بصورة دقيقة..

امنة: لم يتخطيا عتبة الباب..

سمر: لابد انك صدمتهما بشرطك..

امنة: لكي.. لكي. يكونا على بينة..

سمر: غلط، يا آمنة، غلط. كان ينبغي ان تدعيهما يتفحصان البيت اولا

امنة: (باهتمام) اكان ذلك يغير شيئا؟

سمر: بل كل شيء فالمشتري بعد ان يطلع على مواصفات البيت ومزاياه، يكون اكثر استعدادا للموافقة..

امنة: يا خسارة.. كانا في منتهى التهذيب والرقة.. كأنهما كائنان سماويان (ثـــم) لولا حاجة الولد إلى المال.. لرجوتهما ان يسكنا معي بلا مقابل..

سمر: ما اعجب امرك يا امنة. اناس كل معرفتك بهم بضع دقائق و..

امنة: لا اظنني احظى.. بافضل منهما.. ولا حتى بمثلهما.. (ثم) باتت الوحدة تثقل علي يا سمر ولا سيما في الليل، الذي يبدو كأن الـــف روح تنفتـــح فيـــه ليطول إلى ما لا نهاية..

سمر: اذا كانت تلك رغبتك.. يكفي ان تعلني عنها وسيأتيك العشرات..

امنة: وما قيمة رغبتي، وانا مغلولة اليدين، مسلوبة الارادة.. غير قـــادرة علـــى تنفيذ ما ارغب فيه واريد (سمر تحمل سلتها التي فرغت.. تدخـــل، امنـــة تتأمل الورقة) خط جميل مثل صاحبه.. مثل خط سمير. ترى هل ثمة علاقة بين جمال الروح وجمال الخط؟ ما هذا؟ (تعرض الورقة للضوء) ثمة كلمـــة مموهة.. كأن قطرة ماء سقطت عليها.. اهو اثر دمعة نزولت من عينـــي، دون ان اشعر؟ (تتحسس عينيها) اعرف ان في قعر عيني نبعـــاً للدمـــع لا ينضب، يسيح مدراراً لادنى سبب. ولكن عيني يا بستان. فمن ابن جـــاءت الدمعة؟ (تفكر) اه انها منه.. او منها.. لا بد ان تكون من أحدهما.. قطعـــا انها منهما (تقبل الورقة) اه يا عيني عليكما (تلثم الورقة.. تخفيـــها فـــي صدرها. تنهمك في الحياكة. سارحة الذهن تلف نفسها بالبطانية المفروشة على الدكة. سارحة الذهن. بعد فترة وجيزة تسقط رأســـها علـــى جذعـــها تتوقف يداها.. صوت سيارة مسرعة. توقف مفـــاجيء. تعيـــط الفرامـــل. صوت السيارة عائدة إلى الوراء. توقف اخر. صوت فتح البـــاب وغلقـــه. يتقدم من البيت شاب دون الثلاثين، في اناقـــة مفرطـــة. يداعـــب مفـــاتيح سيارته)

الشاب: دار للبيع؟ هنا؟ قرب مزرعتي (يتطلع هنا وهناك) عش مثالي، بعيد عن عيون الفضوليين وانوف المتطفلين، لا حسيب ولا رقيب. منتهى الامان والاطمئنان (يقرأ) تتوفر فيها كل اسباب الراحة.. الله! الله! هائل! (بنزق) تقحم يا اسد.. انه يوم سعدك (يطرق الباب. يفاجأ بوجود امنة التي تستوي جالسة) انا اسد. لا. لا تفزعي. اسمي اسد (يقهقه)

امنة: مساء الخير. يبدو ان النوم غافلني.. عفوا..

الشاب: (باستعلاء) انت صاحبة هذا الاعلان الغريب؟

امنة: الغريب؟ افيه خطأ ما؟

الشاب: على الضد. انه على المستوى التجاري. اعلان جذاب. ولا سيما عبارة تتوفر فيها كل اسباب الراحة. هل تتوفر فيها اسباب الراحة فعلا. ام ان.. الامر.. لا يعدو.. كذبة.. او.. مصيدة؟

امنة: (باستياء) كذبة؟ مصيدة؟ لماذا تتصور الامر كذلك.؟

الشاب: لان كل الاعلانات التجارية على هذا النحو. تسعة اعشارها كذب و.. العشر الباقي تحوم حوله الشكوك..

امنة: ليست كل اصابعك سواء..

الشاب: انا ادير اكثر من مكتب للدعاية والاعلان ادرى الناس بالاعلانات وحقيقتها.

امنة: لا تجعل نفسك مقياسا لسائر الناس. ولا اعلاناتك مثالا لكل الاعلانات.

الشاب: (مفاجأ بردها) ها؟ (تخرج سمر بسلتها. اذ ترى الشاب تتوقف)

امنة: لو كنت مكانك لعاينت البيت جيدا. وتفحصته من كل النواحي اولا.

الشاب: (متراجعا) انا في الحقيقة يهمني من البيت قربه من المزرعة التي اشتريتها قبل ايام.. ثم .. ثم.. مسألة الراحة.

امنة: من حقك ان تتأكد من كل شيء (تشير إلى الباب المفتوح) تفضل يا ولدي تفضل (يدخل الشاب تقبل سمر نحوها)

سمر: لقد وقعت على صيد ثمين.

امنة: (باستغراب) صيد؟

سمر: هل رأيت سيارته العجيبة. هل رايت اناقته الغريبة.. (تشمم) كأنه خارج لتوه من بحر من العطور.. ما يزال المكان عابقا بشذاها. لا شك انه من اولئك الذين لم يعانوا شظف العيش ولا ذاقوا مرارته..

امنة: وهل من احد لم يذق مرارة العيش؟

سمر: هذا (تشير إلى الداخل) هذا وانماطه. انه من الشباب الذين وجدوا انفسهم فجأة متربعين فوق اكوام من الاموال والعقارات.. ممتطين سيارات فارهة.. دون ان يسفحوا قطرة عرق واحدة.

امنة: انه.. انه.. يتعامل باستعلاء.. و..

سمر: كلهم هكذا! هؤلاء الطارئون على النعمة! غطرسة وخيلاء ولكن لا تحملي هما. سيشتري البيت وبالشروط التي تريدين. ما دام قد اشترى مزرعة هنا..

امنة: تدرين. انا ارجو في قرارة نفسي ان لا يروق له البيت..

سمر: (بدهشة) هل هذا معقول؟ لماذا؟

امنة: انه مثلما تقولين.. متغطرس وينظر إلى الاخرين باستصغار.. و..

سمر: ليكن ما يكون.. ما شأنك به؟ هل تنوين مصاهرته؟ المهم ان يدفع الثمن الذي تطلبين. ويرضى ببقائك في البيت (ثم) لا تفرطي به يا امنة ان مشترين من هذا النوع لا يفدون عليك كل يوم.. ارجو ان لا تكوني قد صفعته بشرطك..

امنة: صفعته (تضحك) لا عملت بنصيحتك. اجلت الصفعة إلى ما بعد المعاينة.

سمر: وسوف يتقبلها صاغرا لانه لن يجد في المنطقة كلها بيتا اخرا قريبا من مزرعته (تحمل سلتها الفارغة) ها.. وثمة الهاتف، الذي سيكون في مسيس الحاجة اليه لادارة شؤون مزرعته (تتوجه نحو بيتها. تتوقف) ها.. وثمة نصيحة اخرى يا امنة لا تتساهلي معه في الثمن

امنة: لقد بت تتحدثين على نحو غريب. بماذا تفكرين يا سمر..؟

سمر: (تعود اليها) افكر بضرب عصفورين بحجر واحد.. (تضحك).. لك عصفور.. ولي عصفور.

امنة: لا افهم.. لا افهم شيئا.

سمر: انت تقدمين لكمال المال الذي يريد. وانا احقق امنيتي ببقائك عندي.

امنة: اه.. يا عيني.. يا سمر (ثم) الحق اقول يا سمر.. بعدما راح ذلك الحمام الوديع وامه.. لم اعد متحمسة لاحد..

سمر: الحمام قد طار يا امنة طار. بات لزاما عليك.. ان تمسكي بـ الغراب (تدخل)

امنة: الغراب؟ (تهز رأسها بدهشة)..

الشاب: (خارجا) كالزوبعة كل اسباب الراحة؟ ها كل الاسباب لا بعضها..؟ ولا حتى نصفها.. انما كلها دفعة واحدة..

امنة: ماذا بك يا ولدي؟ ماذا جرى لك؟

الشاب: أين اسباب الراحة؟ أين سبب واحد من اسباب الراحة في البيت كله؟

امنة: ما الذي ينقص البيت؟ هلا قلت لي ما الذي ينقص البيت؟

الشاب: أين الحمام؟ أين المغاسل.. بل.. بل أين الدبليوسي.؟ ها..

امنة: الد.. ماذا.. ما الذي تقول..

الشاب: (مستمرا في هيجانه) هل في العالم كله، حتى في مجاهل افريقيا.. بيت.. بدون دبليوسي..

امنة: على مهلك، يا ولدي على مهلك. لماذا لا تتكلم مثلنا كي افهمك. ما هذا ما هو هذا الشيء الذي تفتقده؟ ما هو هذا الديوسي.. او لا ادري.. ماذا..

الشاب: الدبل يوسي. يعني التواليت.. التو..ا.. ليت.

امنة: سامحك الله.. هل فهمت الاولى.. حتى تقذفني بالثانية.

الشاب: اه.. يا الهي.. كيف اقول كيف اتكلم..؟

امنة: قل مثلنا يا ولدي.. تكلم مثلنا..

الشاب: (بفراغ صبر) المرحاض.. يا سيدتي المرحاض..

امنة: تقصد بيت الراحة.. لماذا لم تقل منذ البداية؟ انه موجود.

الشاب: موجود؟ أين ؟ لا رايته.. ولا شممت رائحته..

امنة: (تضحك) تشم رائحته؟ سامحك الله. تتكلم بصورة غريبة حقا؟ انه تحت شجرة التوت في الطرف الايمن من السياج.

الشاب: (بدهشة): تحت شجرة التوت؟ يعني.. يعني.. في العراء.. خارج بناء البيت؟

امنة: واين تلقى فضلاتك؟ في غرفة النوم؟

الشاب: ها؟

امنة: انه بيت نظيف. اربعة امتار مربعة. وبارضية من الاسمنت وبالوعة و..

الشاب: (يقاطعها) اوكي.. اوكي.. لنتجاوز هذه المسألة يمكنني معالجتها بنفسي.. والحمام؟ أين الحمام.. اهو في الطرف الايسر، تحت شجرة الجوز مثلا..

امنة: وي! في العراء؟ هل يتعرى احد تحت انظار الناس؟ انه داخل مخزن الحبوب وله موقد ممتاز.. يشتعل على النفط..

الشاب: (ساخرا) على النفط؟ يا للروعة!!

امنة: طبعا. ويمكن تشغيله على الحطب ايضا. اذا عز النفط، كما يحدث في فصل الشتاء عادة..

الشاب: على الحطب؟ ها.

امنة: ويغدو جهنم.. وقاك الله نارها.

الشاب: (مخطبا نفسه) لقد استغنى الناس عن الغاز وانتم هنا ما تزالون على النفط والحطب..

امنة: ما الذي تقول؟ اتكلم نفسك؟

الشاب: ما الثمن الذي تطلبين؟

امنة: بخصوص الحمام.. اود ان اوضح شيئا (يصغي) انه مشترك..

الشاب: مشترك.. ما معنى مشترك.. عمومي.. لاهل المنطقة كلهم.

امنة: لا. لا. وي انه.. لنا.. ولجارتنا سمر وزوجها.. و.. وحفيدها.

الشاب: (بضيق شديد) فقط؟

امنة: وهناك فرج وزوجته او لنقل فرج وحده فزوجته، يا عيني عليها، مريضة، منذ زمن ولم تعد تأتي.. شفاها الله..

الشاب: كل هؤلاء يغتسلون هنا..

امنة: وارجو.. ان لا يتغير شيء..

الشاب: (ساخرا) لا. لا. بالتأكيد بالتاكيد فهذه كلها من اسباب الراحة.. من المقدسات.. هل يجرؤ احد على مس المقدسات؟! احتفظي ببيتك يا سيدتي، بكل اسباب راحته.. ومقدساته (يخرج)

امنة: (بسرعة) وثمة الهاتف..

الشاب: (يتوقف) ها؟ الهاتف؟ هنا؟ وفي هذا البيت؟

أمنة: اجل هنا– وفي هذا البيت بالذات؟

الشاب: هاتف..؟ حقيقي..؟ ام..

امنة: ام ماذا؟ ماذا تقصد؟

الشاب: لا شيء.. لا شيء.. ولكني.. لم اره.

امنة: ثورتك من اجل المرحاض.. حجبت عنك كل مزايا البيت.. ذاك هو.. (تشير اليه عبر النافذة) في الغرفة..

الشاب: (يتطلع عبر النافذة) و.. يعمل؟ فيه حرارة؟ و..

امنة: طبعا.. ادخل وتاكد بنفسك.. جربه.

الشاب: (تتغير حالته) سيدتي.. انا من اجل الهاتف.. متنازل عن كل اسباب الراحة الاخرى.. (يركض إلى الداخل يتسرع باختباره).

امنة: لقد صدقت سمر.. كاد الرجل يجن..

الشاب: (خارجا) اخبريني يا سيدتي.. هل زوجك مسؤول كبير هنا..

امنة: رحمه الله.. كان كذلك..

الشاب: لابد انه كان كذلك.. و.. و.. ماذا كان رحمه الله.

امنة: مدير تحرير الناحية.. طيلة ثلاثين عاما. تبدل خلالها عشرات مدراء النواحي. بينما ظل هو في منصبه لا احد بوسعه الاستغناء عنه. وحتى بعد احالته على التقاعد لم ينقطعوا عن استشارته واستدعائه إلى المديرية. واذ اقعده المرض ولم يعد بوسعه التردد عليهم.. منحته الحكومة.. هذا الهاتف.. ليبقوا على اتصال معه..

الشاب: افضل شيء فعلته الحكومة، منذ ظهورها في التاريخ. هائل.. هائل.. لا اكاد اصدق انه امتياز.. امتياز حقيقي..

امنة: في كل ارجاء المديرية وضواحيها.. اذ استثنينا بيوت المسؤولين لا، توجد

عشرة بيوت لديهم هواتف..

الشاب: لقد حدثتني نفسي انه يوم سعدي ها.. كم تطلبين يا سيدتي..

امنة: الا.. قل لي.. يا ولدي.. هل انت متزوج؟

الشاب: (منكسا) متزوج؟ لا. اهو شرط اخر من شروط البيع؟

امنة: اذن فالسيدة الوالدة.. سوف تسكن معك.

الشاب: (يقهقه) السيدة الوالدة صاحبة اكبر شركة للدعاية والاعلان في المدينـــة.. هل تترك عملها.. وتسكن معي هنا؟.. ايعقل؟

امنة: ها.. لا.. لا.. بالتأكيد.

الشاب: (بحدة) هل من اسئلة اخرى (امنة تسكت) هيا.. هيا.. هاتها.. قوليها.

امنة: ماذا جرى لك؟ لماذا تصرخ؟

الشاب: لان اسئلتك غريبة شاذة لا علاقة لها بعمليات البيع والشراء.. (صمـــت) الثمن.. قولي كم تريدين (امنة لا تجيب) هل ثمة مشكلة؟

امنة: ابعدنا الله عن المشاكل (ثم) ثمة شرط..

الشاب: شرط؟ شرط اخر؟

امنة: (بسرعة) انه لصالحك.. سأتنازل لك عن ربع الثمن..

الشاب: (يتوقف) ها.. ربع الثمن..

امنة: و.. حتى ثلثه..

الشاب: لماذا؟ لقاء.. ماذا ؟ لا احد يهب شيئا للاشيء.

امنة: اريد.. ان امكث في البيت.

الشاب: كيف؟ باية صفة؟

امنة: بصفة.. بصفة.. اعني.. اعني.. اكون لك.. مثل مثل امك.

الشاب: اترينني طفلا رضيعا، افز من نومي فزعا ابحث عن احضان امي؟ (تـــهم

ان تتكلم، يقاطعها) ولماذا تكونين لي.. مثل امي.. اليس لكِ ابن؟

امنة: لي..

الشاب: ولماذا لا تكونين امه. هو، اما حقيقية له.

امنة: (بانكسار) انه.. لا.. لا يريدني.

الشاب: ولماذا تعتقدين بأنني اريدك. انا الذي لا اطيق اما واحدة. فأهرب منها إلى هذه العزلة. لا حيا كما اهوى.. هل اطيق امين في آن واحد؟

امنة: ارجوك يا ولدي. امسك لسانك عن الاساءة اليها او الي..

الشاب: اسمعي يا بديلة امي..

امنة: لا.. لا تسمعني المزيد.. ارجوك. مع السلامة يا ولدي مع السلامة.

الشاب: (باصرار) انت احدى اثنتين. اما ان تكوني ساذجة جدا. لا تعرفين شيئا عما يجري في الدنيا... او.. او.. تكوني (يشير إلى رأسه علامة الجنون) كل اسباب الراحة. قولي كل اسباب التعاسة.. كل اسباب القتل..

امنة: كفى.. كفى.. ارجوك..

الشاب: بشروطك هذه.. انصحك ان تحاولي مع ذلك الحمار المربوط هناك.. لعله يرضى ان تعيشي معه في بيت واحد (يخرج بانفعال شديد)

امنة: اذهب. مع السلامة! اذهب عسى الله ان يهديك (تمسح دمعتها) انهم لا.. لا يريدونني يا كمال.. ماذا افعل؟ ماذا بوسعي ان افعل؟ انت هناك لا تريدني معك هنا ايضا لا احد يريدني معه (صوت تشغيل السيارة بقوة) حتى الغراب قد رضيت به.. وهو لم يرض بي.. فماذا افعل.. اه إلى من اتوجه؟ لمن اتوسل (يدخل سمير في حالة من الغضب).

سمير: من كان هذا المجنون. لقد كاد يسحقني بسياقته الطائشة..

امنة: (تمسح دمعتها) تعال يا ولدي.. تعال.. لقد كنت بانتظارك.. لتقرأ لي هذه

الرسالة (تعطيه الورقة).

سمير: رسالة؟ من العم كمال؟ (يقرأ) من الحكايات التي كانت امي تقصـــها علـــى كل ليلة.. قبل ان انام. هذه الحكاية التي ما تزال عالقة بذهني: تمكنـــت ام بعدما بذلت المستحيل، ان تزوج ابنها من فتاة احلامه التي عزت وتمنعـــت عليه كثيرا فاسكنها في سويداء قلبها. تخدمهما ترعاهما. تظللهما بـاهداب عينيها.. تحيطهما بالحب والسعادة ولكنهما، بالرغم من ذلـك ضاقـا بـها ذرعا، وضجرا منها وسمعتهما اكثر من مرة تخططان للتخلص منـها وذات ليلة قررت هي ان تمكنهما من نفسها. اوت إلى فراشـــها مبكـرة فدخـلا عليها فما كان منها الا تظاهرت بالنوم العميق، الشبيه بالموت واستسـلمت لهما. لفاها في بطانية. حملها الابن على ظهره ســـائرا بـــها نحـــو وادي الاسود. تالمت الام كثيرا. اذ وجدت ابنها ينوء تحت ثقلها.. وتمنـــت لـو كانت اخف. القاها الابن في وادي الاسود وعاد ادراجه. الا ان اسدا هائجـا ادركه وهجم عليه يريد افتراسه. فانتفضت الام وألقت بنفسها بيـــن فكـــي الأسد.. فجمد الأسد.. خجلا من الام.. واكتفى بان وجه لطمة إلـــى وجـــه الولد.. أسقطته أرضا مضرجا بالدم.. فحملته امه على ظهرها.. وعادت به إلى البيت تعالجه.ز بكل ما عند الام من الحنان والحب.. هذا مـــا تحفظـــه ذاكرتي لن أضيف عليها شيئا.. ولا اقول اكثر.

امنة: وماذا تضيف؟ وماذا تقول يا ولدي خالد.. (تدمع عيناها)..

سمير: (ما يزال يقرأ) ابنك خالد (ثم) خالد؟ حسبت الرسالة من ابنك كمـــال هـل لديك ابن اخر.. اسمه خالد يا جدتي..

امنة: لدي يا ولدي.. ولدي اخر اسمه سمير.. واخر واخر.. واخرون كثـــيرون.. تعال.. يا ابني.. تعال.. جرب.. بلوزك.. لقد انتهيت منه ..

سمير: (بفرح) حقا؟ حقا؟ الله ما اجمله!! (يقيسه على جسمه).

امنة: ليس اجمل منك.. ولا من خطك.. تعال البسه.. امام المرآة في الغرفة..

(يدخل سمير يرتدي البلوزة بفرح غامر.. يستعرض نفسه امام المرآة بنشوة.. سمر تخرج بسلة ملابسها.. يهرع اليها سمير.. بينما تستلقي امنة على سريرها ممسكة بالرسالة).

سمير: (طائرا نحو جدته) جدتي.. جدتي.. انظري.. ماذا لبست.. انظري..

سمر: الله.. ما اروعه. عاشت يداها.. يا لها من حائكة ماهرة..

سمير ولكنها حزينة.. حزينة جدا لا احد يريدها معه..

سمر: انهم لا يعرفون قيمتها الحقيقية. امنة جوهرة نفيسة من معدن صاف نادر، سيأتي من يقدرها حق قدرها. لا بد ان ياتي (ثم) سمير يا ولدي لقد تاخر الوقت. اسرع خذ العشاء لجدك، قبل ان يهبط الظلام (يدخل سمير البيت ويخرج بقدر الطعام. يركض متباهيا ببلوزه الجديد. سمر تواصل نشر الملابس تتوقف فجاءة) فرج؟ ما الذي جاء به في مثل هذا الوقت؟ قلبي يحدثني ان امرا قد وقع له.. (يدخل فرج يوقف عربته، ينزل منها المسحاة والمعول يرين عليه حزن ثقيل تسرع اليه سمر) ماذا بك يا فرج؟ ما الذي جرى؟ تبدو كأن الدنيا قد انهدت فوق راسك.

فرج: انهدت، يا سمر لقد انهدت فوق راسي..

سمر: اه.. لا تقل.. ان فاطمة.. قد.. قد..

فرج: ماتت يا سمر.. ماتت. راحت إلى الابد (بتهالك) اه.. إلى الابد..

سمر: اه.. يا الهي؟ متى حدث؟ لماذا لم تخبرنا.. اه..يا لها من فاجعة.

فرج: واية فاجعة.. لقد قصمت ظهري.. وانهت امري..

سمر: إلى.. إلى رحمة الله.. لقد تعذبت المسكينة طويلا.. وعانت كثيرا..

فرج: ستة اشهر. ستة اشهر بلا قدرة على الكلام. بلا قدرة على الحركة.. حتـــى في المستشفى يأسوا منها ومن شفائها.. أسلموني اياها فاقدين كل امـــل.. وفي الشهور الاخيرة، كنت بشق الأنفس افتح لها فاها.. لاسقيها المـــاء.. او اطعمها الحساء.. و.. وشرعت احملها على ظهري لقضـــاء حاجتـــها.. على ظهري..

سمر: كان الله في عونك، لقد تعذبت. انت الاخر تعذبت كثيرا.. (فـــرج ينتحـــب) ادع الله ان يغفر لها ولنا..

فرج: الاولى ان ادعو الله.. ان يمحقني. ان يلقي بي في السعير وبئس المصير..

سمر: (بدهشة واستنكار) انت؟. لماذا؟

فرج: لاني شرير.. انا مخلوق شرير..يا سمر.. مليء بالشر..

سمر: (بتوجس مخيف) ماذا فعلت؟ (يسكت) ماذا فعلت يا فرج؟ تكلم يا رجل.

فرج: ما فعلته لن يغفره لي احد.. لن اغفره انا.. لنفسي.. اه.. اه..

سمر: (بخوف) فر.. ج.. هـــ..

فرج: في ساعة مظلمة من ساعات ياسي الاسود.. دعـــوت الله ان.. ان يـــاخذ.. روحها.. ويريحني..

سمر: اه.. ويريحها ايضا.. يا فرج.. يريحها هي اولا.

فرج: يعلم الله.. ذلك ما رجوت. ذلك ما تمنيت.. لان موتـــــها غـــدا ارحـــم مـــن حياتها.. اه.. ما اشقى الحياة.ز حين يصبح الموت ارحم منها..

سمر: ليرْحمها الله.. برحمته الواسعة..

فرج: قضيت العمر ادعو لها بالشفاء.. مئات المرات في اليوم ولم يستجب ربـــي. ولكني مرة واحدة. رجوت ان.. ان.. اه.. ما اسرع ما اســـتجاب. اخذهـــا وزرعني بندم. يستغرق العمر كله.. لماذا يا ربي لمـــاذا تـــهمل دعـــوات

الخير.. وتستجيب.. لـــ..

سمر: (مقاطعة) اياك.. يا فرج اياك. ما الذي تهم ان تقول.. هل فقدت عقلك؟

فرج: لقد.. اكل الالم عقلي. وزعزع ايماني فاغفر لي.. يا الهي. زلات لســـــاني.. وسفاهات عقلي.. اه.. اه.. (ينتحب بحرقة)

سمر: ربك اعلم بما في الصدور.. هيا.. هيا لا تثقل ضميرك بذنب لم تقترفه.

فرج: ولكني.. اقترفت. حين تمكن منها المرض ولم تعد قادرة على رفـــع يديـــها إلى السماء. وتحريك شفتيها بالدعاء كما كانت تفعل من قبل. اخذت تكتفــي بفتح عينيها.. والتحديق إلى الاعلى بصمت مروع. كان يخيل إلى اذ اراهـــا على تلك الحال انها تبتهل إلى الله.. ان يسترد امانته.. وينـــهي عذاباتـــها التي باتت تهدها..

سمر.. من يدري!! لعل ذلك ما كانت ترجوه.. وتتمناه فعلا..

فرج: هكذا فكرت انا الاخر! فتوضأت وتوجهت إلى القبلة، بقلب مفعـــم بالايمـــان والرجاء، ان يرحمها احدى الرحمتين، وفي منتصف الليل صـــدرت منـــها حشرجة قوية. وانتفضت انتفاضة شديدة.. ثم خمدت. فرحت ابكي وابكـــي وابكي.. ينخر في احساس من الداخل ويصرخ ويصرخ بي لقد قتلتـــها يـــا فرج.. انت قاتلها يا فرج (يبكي)

سمر: كفى. كفى.. يا عزيزي. قم معي إلى البيت.. الق في جوفك لقمة.. هيـــا.. هيا.

فرج: لا.. لا ارجوك.. سأختنق. اذا اطبق علي سقف. او احـــاطت بـــي جـدران. دعيني هنا.. بعض الوقت..

سمر: كما تشاء يا عزيزي، كما تشاء (تعبر السياج. تفتح الباب الموارب. تدخـــل غرفة امنة.. توقظها.. تتحدثان معا..)

فرج: ولكني رجوته احدى الرحمتين.. لم احدد ايهما، هل كانت هي رغبتي الاقوى.. امنيتي الخفية، دون ان افصح عنها. او حتى ان ادري بها.؟ اه.. اه.. أي شيطان لعين القاها في راسي. ليتها لم تمر بخاطري ليتني لم افكر بها.. ولكن الانسان اذا كان قادرا على التحكم في افعاله وسلوكه. فانه عاجز عن التحكم في افكاره وتحديد مسارها او توجيه قيادها.. انها في الراس. الراس المغلقة.. تروح وتجيء، على هواها. تتلاطم كما مياه البحر تتلاطم. ثم.. تندلق تسيل وتتناثر. مثل المياه في القربة.. المثقوبه الاف الثقوب. اه.. انها حكمتك يا رب.. حمكتك.. (تقبل المرأتان. تدخل سمر بيتها بينما تتقدم امنة من فرج الذي ما يزال ينتحب)

امنة: ما هذا فرج؟ لا اصدق ما ارى.. أي رجل انت..؟

فرج: لقد انتهيت يا امنة لم يعد ثمة احد اسمه فرج..

امنة: هل انت وحدك الذي فقدت فاطمة.. انها فقيدتنا جميعا. لو فقد كل واحد عزيزا وفعل ما تفعل لانتهت الدنيا.

فرج: (يهم ان يتكلم. يختنق بالدموع. يسكت..)

امنة: صحيح ان مصابك كبير واليم.. ولكن يتوجب عليك الا تنهار ان تظل واقفا على رجليك.

فرج: لقد تهشم عمودي الفقري.. فكيف اقف. على.. على.. (يختنق بالدموع ثانية.. يكبت اوجاعه بصعوبة.. يتالم بصمت)..

امنة: تالم يا عزيزي.. تالم.. وابك ايضا.. ابك.. كما تشاء.. ولا تحبس دموعك ولكن.. لا تدع اليأس ينخر في روحك.. و.. واصل الحياة.. يا فرج تأكد انك واجد فينا كل عون.. لن ندعك وحدك.. سنقف كلنا إلى جانبك.. هيا.. هيا.. يا عزيزي.. لقد جلبت سمر لنا العشاء.. قم يا فرج.. قم اغسل

يديك.. ووجهك.. (داخله بصينية الطعام) تحرك يا فرج.. تحرك يا اخـــي.. لا تظل قابعا تنتحب كامراة.. فقدت بعلها.

امنة: (تتناول ابريق الماء) هيا.. هيا.. دعني اصب الماء على يديك..

فرج: لا. لا. ارجوك (يخطف منها الابريق. يغتسل بينما تهيء الامرأتـــان ســفرة الطعام. يجلس حولها ثلاثتهم.. ياكلون.. كاسرة واحدة..).

امنة: حين مات زوجي.. خيل الي ان الدنيا كلها قد ماتت معه. وان شمسها قـــد اختفت إلى الابد. وان الظلام قد استباح الكون وحل في كل مكان.. ولكنـــي اكتشفت بعد مدة.. ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث. وان الدنيا مـــا تـــزال هي الدنيا.. شمسها تشرق كل صباح وتغيب في المساء. وان الليل، حتـــى الليل، ليس ظلاما كله. فدائما ثمة النجوم المتلألئـــة، وثمـــة القمـــر فـــي السماء، وعلى الارض ثمة انوار المحبة المشعة من الناس. مـــن الذيـــن يحيطونني بودهم الخالص. واهتمامهم الحميمـــي الصـــادق. وان الظـــلام يعشعش في روحي وحدي. في مساحة صغيرة جدا. هي انا. بيد اني لـــو تركته او استسلمت له لطغى وساد. واطفا كل ومضة حيـــاة. وخنـــق كـــل نطفة نور.. واحال حتى نـــهاراتي، وليـــس ليـــالي حســـب. إلـــى عتمـــة متواصلة.. فكان لابد ان قاومه.. ان احاربه.. وان ان اهزمه..

سمر: انت بطلة يا امنة.. بطلة حقيقية الكل يشهد لك بذلك.

امنة: ابدا. لم تتطلب مقاومته. بطولة خارقة ولا معركة دامية. لم.. تتطلب ســـوى ان افتح قلبي للناس. احبهم مثلما احبوني ويحبوننـــي.. وان ادع روحـــي تتعانق مع ارواحهم و.. واواصل حياتي..

فرج: (باعجاب شديد) انت حقا.. مثال المرأة الصامدة.. القوية..

امنة: اليوم، اليوم بالذات، تلقيت صدمة.. لا تقل عن فاجعة فقد زوجي..

سمر: وها انك تواسين غيرك.. اه.. لكم انت رائعة يا امنة..

سمير: (داخلا) جدتي   هل ادخل الازرق إلى الدار..

امنة: ادخله يا سمير.. وادخل العربة عربة جدك فرج ايضا.. هل تستطيع؟

سمير: (بحماسة) استطيع يا جدتي.. اربطها بالازرق واعتل ظهره.

فرج: لا. لا. ارجوك لا بد ان اعود إلى البيت.

سمر: لن تذهب إلى أي مكان. ستقضي الليلة عندنا.. او عند امنة.

امنة: وبيتك بالذات لن تذهب اليه.. ينبغي الا تكون الليلة وحدك.

فرج: لا استطيع لابد ان اذهب..

سمر: تذهب إلى أين؟ من تغمض له عين ببيت فاضت فيه روح.. يا فرج؟

فرج: ارجوكما.. انا..

امنة: (مقاطعة) اسمع يا فرج انت لست طفلا كي يتم اقناعك بالحلويات.. او خداعك بالخزعبلات.. ولكن تاكد ان ليلتك ستكون قاسية، وحشية، اذ تقضيها وحدك ومع هذا اذا كنت تصر على عنادك فسأطلب من سمير.. ان يوصلك على ظهر الازرق ولتصحبك السلامة (تنهض تتوجه نحو بيتها)

سمر: (تسرع إلى فرج) أي رجل انت يا فرج؟ اتقوى حقا على خذلان امرأة مثل امنة. هيا.. اذهب معها. انتظري يا امنة. سيشرب فرج الشاي عندك. تحرك يا رجل تحرك.. لقد رجعت امنة من اجلك.. (تعود امنة تمسك بيد فرج يعبران السياج. سمر تتعقبهما بنظرات خاصة. تبتسم لهما. امنة تفتح اضواء الغرفة الثانية، ترتب المنام، يتبعها فرج يجلسان هنيهة على حافة السرير. يتحادثان بمودة. تعود امنة إلى غرفتها. تستلقي على السرير. كذلك يستلقي فرج على سريره. تبقى الغرفتان مضاءتين لمدة. وكل منهما مستلق على ظهره، يبحر في فضاء الغرفة..

تخفت الاضواء تتركز بقعة ضوء على وجه سمر. وهي مـــا تـــزال ترنـــو اليهما. تتسع ابتسامتها.. تبدو كمن تحلم.. ((الازرق مربوط بعربة فـــرج التـــي امتلأت بالزهور ومعالم الزينة. امنة وفرج.. جالســـان فوقـــها وقـــد.. تشـــابكت ايديهما. وهما بملابس الزفاف. سمير يقود العربة. سمر ترقص. الكل في فـــــرح غامر. ونشوة عارمة. وهم يغنون بصوت جماعي عذب:

عروســــة والحبـــايب زافيهـــــــه

عروسة وكـــل معـــاني الحســـن بيهـــه

حلـــو ثـــوب العـــرس لايـــك عليهـــه

عروســـة والحبـــايب زافيهـــه..الـــخ))

العانس(*)

مسرحية من الخيال اللاعلمي

(*) نشرت في مجلة ((القَ)) العدد- ٣- حزيران ١ ٢

الشخصيات

- العانس
- العجوز
- الخادم
- خادمان
- طوابير- رجال ونساء- شباب وشابات- اعمار متباينة
- المواطن
- المدير
- الرجل
- المخبر
- الشابة
- الرجل الملتحي
- اخرون

[تفترض هذه المسرحية او بالأحرى، تختلق واقعاً خرافيا- هل ثمة تناقض بين الكلمتين؟.. لا بأس فهو مقصود- خارج الزمـــان والمكـــان، كـــل الازمنـــة والامكنة. وخارج التاريخ أيضا من ليلة ميلاده حتى نهار وفاته.

لذا ترجو قراءها ومشاهديها ان تهيأ ان يكون لها قـــراء ومشـــاهدون ان يخنقوا اجنة كل الأسئلة الفضولية، التي قد تتشكل في وجدانهم من قبيل.. اهـــذا الواقع الخرافي موجود اليوم؟ او.. هل كان له وجود بالامس؟ او هـــل يمكـــن ان يوجد في الغد؟

ذلك لان المسرحية لا تجرؤ على الاجابـــة، مخافـــة ان ينـــهض الحـــاضر ممتشقا سيف الماضي البتار بيساره وقنبلة المستقبل الفتاكـــة بيمينـــه.. ويثـــار، بطريقة متخلفة او عصرانية جدا. متوهما ان الامر، قد.. يعنيه].

* * *

(في عمق المسرح، على الجانب الايمن، مكتب تشغله عانس عجفاء. الـــى جانبها شباك مسدل الستائر تفتح بين حين واخر، يبرز وجه سيدة عجوز ترقـــب ما يجري باهتمام. وتختفي قبلما يتمكن احد من تبين ملامحـها بوضوح.. يواجـــه النظارة حائط خشن اسود. على الجانب الايسر.. باب بضلفتين.. يقف امامه مـــن الداخل خادم يفتحه بين اونه واخرى، لنرى في الخارج اناسا يتجمعون. خادمـــان

يقومان بملء الفراغ امام مكتب العانس بمقاعد خشبية صغيرة من النوع الذي يستخدم في مدارس ورياض الاطفال.).

* * *

الخادم: (يسد الباب ويتوجه نحو العانس) اما حان الوقت يا آنسة (العانس مشغولة بوضع المزيد من المساحيق وتصفيف شعرها، لا تجيب) لقد خارت قواي (يتهالك على مقعد بقربها) ترى باي حال غدوا؟ (يشير بحنكه الى الخارج)

العانس: (دون ان ترفع عينها عن المرآة) بالحال التي يريدهم ان يغدوا (اشارة إلى الخلف).

الخادم: خمس ساعات من الوقوف تحت نيران الشمس، تطبخ الحديد (يعصر رجليه) أي صبر يملكون! كأنهم احفاد ايوب (الخادمان ينهيان ترتيب الكراسي، يقفان على جانبي الباب، العانس تخفي ادوات زينتها، تعطيهما اشارة خاصة. يفتحان الباب. يتدافع الناس الى الداخل متعبين، منهوكين..)

العانس: النظام يا اخوان النظام (ردود أفعال متباينة من الناس إزاء المقاعد الصغيرة. بعضهم وقد نال منهم التعب، يتساقطون فوقها يحشرون فيها أجسامهم بصعوبة، اخرون يقفون حائرين، خائري القوى)

الخادم: (ناهضا) جلوسا يا سادتي.. جلوسا.. الكل جلوس.

ـ: بعد كل هذا الانتظار الذي يهد الجبل.. و.. هذه المقاعد العجيبة.

ـ: يتساوى عندي، ريش النعام ورؤوس الصخور المدببة (يرتمي على احد المقاعد) اجلس.. يا اخي.. اجلس.. ارح جسمك.

_: كيف اجلس واكبر المقاعد لا يتسع لنصفي، افضل ان ابقى واقفا.

_: ولكنك تحجز عنا الهواء ايها السيد.

_: الهواء؟ اين الهواء في هذا الفرن الذي يشوي العظام؟

_: والشمس، الشمس اللعينة لم تكن قط بهذه القسوة، ماذا دهاها هي الاخرى..
آه.. آه.. اشعر بجسدي يلتهب (يمسح عرقه المتصبب)..
هواء، هواء.. قليلا من اللهواء انا.. اختنق.. ساعدوني آه..

الخادمان: (معا، بغلظة) هش.. هش.. (يشرعان بتوزيع اوراق مطبوعة عليهم)
هش؟ تحشروننا في قبر من حديد؟ وتصرخون بنا هش هش لا. لا. ان هذا لا يطاق. واني كمواطن ارفض ان تعاملوني بهذه الطريقة المهينة..
(يخرج. العانس تعطي اشارة للخادم، فيخرج هذا أثره)
هواء.. هـ هـ و.. اء.. هـ هـ اء..
آه لقد اغمي عليه، فعلا.. افعلوا شيئا من اجله.. من اجلنا جميعا.. آه.. اننا نختنق يا ناس (العانس تشير الى احد الخادمين فيفتح جهاز التبريد)

_: الله..! الله..! لقد عادت الي! الروح...

_: عادت اليك ولكنها ستغيب عني.. مع هيجان الام المفاصل واوجاعها. (الحائط الاسود يهتز. العانس تقف على قدميها الخادمان يستعدان)

الخادمان: (معا) وقوفا ايها السادة. وقوفا (يقف بعضهم، نصف وقفة) (الحائط يرتفع الى الاعلى يختفي في السقف من عمق المسرح تندفع كتلة سوداء، نحو الجمهور، تتوقف عند مكتب العانس، تتسلط عليها الاضواء).

العانس: (معلنة) سيادة المدير. سيادة مدير المشروع، المشروع الامل. المشروع الحلم المشروع المعجزة (تصفيق حاد يعقبها الخادمان. ثم بعض

الحاضرين).

المدير: عفوا.. انستي عفوا سادتي.. لست من هواة الكلام.. ولا من الذين يغريهم. فانا رجل عملي. والعمل هو كلامي. هو لساني المعبر عني. سادتي.. احبتي.. استغلالا للوقت، بعيدا عن نشر الامال وزرع بذور الوعود. دعوني اقتحم.. الموضوع مباشرة واقل لكم انه قد تقرر في لجنة احياء التراث التي كان لشخصنا المتواضع فضل المبادرة الى تشكيلها والعمل على تطويرها لتشمل احتضان الفكر الوليد والابداع الحدث في مناخ ديمقراطي يفجر طاقات الانسان ومواهبه الخلاقة. فالفكر الذي يولد اليوم، هو تراث الغد. وبدونه لن يكون ثمة (تراث) واذ كانت الامة التي تهمل ماضيها امة بلا حاضر. فان الامة التي تهمل حاضرها ستصبح امة بلا مستقبل. فالحاضر ايها السادة، هو مصب الماضي وينبوع المستقبل واذا كان الماضي اباءنا واجدادنا والمستقبل هو ابناؤنا واحفادنا فالحاضر هو نحن. انا وانتم ونحن يجب ان لا نكون اسرى الماضي.. بنفس القدر الذي لا ينبغي لنا ان نكون ضحايا المستقبل. وانما ان نكون حاضرنا. ان نمتليء بحاضرنا ويمتليء بنا حاضرنا. ورقة العمل التي بين ايديكم توضح افكاري الجديدة مما يغني عن هدر المزيد من الوقت الثمين الذي ينبغي ان يكرس للعمل وختاما.. نحن بأنتظار ابداعاتكم السابقة واللاحقة وستجد فينا احضان الام الرؤوم ورعاية الاب الحنون تنمو وتشب في اروع مناخ انساني وتسير بخطى ثابتة وهامات شامخة. طارقة ابواب المستقبل.. بعد تربعها على عرش الحاضر فالى العمل.. اخوتي.. الى العمل.. (تصفيق حاد ينسحب بنفس الطريقة التي دخل ويهبط الحائط ثانية).

ماذا جرى.؟.. و.. وماذا هناك؟

_تسألني انا؟ لقد كنت نائما مثلك.. ولم افقه شيئا.

الخادم: (عائدا يقترب من العانس) لم اعثر عليه.. ضاع بين الناس. اندس بين جمهرة كبيرة من الناس.. و.. وضاع..

العانس: آه..

* * *

(طابور من الرجال والنساء في أعمار مختلفة بأزياء متباينة يحملون حقائب ودويسهات، مليئة بالأوراق والمخطوطات والكتب.. يسلمونها للعانس... التي تسلمتها منهم لقاء وصولات وصكوك ثم يحملها الخادم ويدفع بها من خلال فتحة خلف العانس. صمت ثقيل.. يخيم على الكل. رجل على اعتاب الستين يتقدم من العانس.)

* * *

الرجل: سيدتي انا لست كاتبا ولا مؤلفا. انا صاحب مطبعة متواضعة. ومنذ الاعلان عن مشروعكم.. قبل شهر. لم يعد احد يتعامل معي، ولا.. يفكر بمطبعتي.. و..

العانس: (مبتسمة) ومن يفكر بامتطاء السلحفاة في زمن مركبات الفضاء؟

الرجل: وما العمل يا سيدتي..؟ ماذا افعل.. كيف اعيش..

العانس: بعها.. ياسيدي..

الرجل: ابيعها؟ ومن يمتطي السلحفاة في السباق مع الزمن؟

العانس: نحن نفعل احياناً. اكراما لتراث الاباء والاجداد. وحفاظاً على الانتيكـــات من الانقراض.

الرجل: ها؟ (يفكر) لا. لا.. لا يمكنني التفريط بمورد رزقي الوحيد.

العانس: انت حر. تنح وافسح المجال لغيرك. (يدخل شخص يتخــذ مكانــه فــي الطابور. تنظر اليه باهتمام ثم تهمس للخادم) هو.. انه.. هو..

الخام: هو؟ من؟ من تقصدين؟

العانس: المواطن.. المواطن الذي فلت منك في المرة السابقة.

الخادم: (يتأمله) لا.. ليس هو.. فقد كان ذاك..

العانس: (تقاطعه) بل هو.. اوكد لك.. انه هو.. (تستعجل الناس) أســرعوا.. يــا سادة. فقد تأخر الوقت (للخادم) هذه المرة..

الخادم: (يقاطعها) هذه المرة. تفلت روحي من بدني ولا يفلت هو من قبضتي.

العانس: ها هو يقترب تمعن فيه جيدا.. (تستلم منه الأوراق. تتركها جانبا.. بينمــا يخرج هو مع الخارجين يخرج الخادم آثــره. تواصــل العــانس عملــها. باستعجال. تمر فترة. يفرغ المكان. تنقض على الأوراق التي استلمتها مــن المواطن، تتصفحها. تخفت الأضواء، يظلم المسرح في الوقت الذي تصــوخ مصعوقة) سوداء.. آه.. كل أوراقه سوداء.. ليس فيها حرف واحد...

* * *

(مكتب المدير، غرفة مؤثثة ببذخ. في الزاوية اليمنى فتحة. تتساقط منـــها بين الفينة والفينة، مجموعات من الأوراق والكتب والمخطوطـــات. يتناولــها.. بضعة رجال.. يدفعونها في فتحة اخرى مواجهة للاولى. تغلب علـــى حركاتــهم وسيرهم الالية. وهم متواصلون في عملهم دون ان يتأثروا باحد او يؤثروا علـــى احد).

* * *

المدير: (مشيرا الى الاوراق) لقد بدأت تشح مرة اخرى (العانس تنظر حيث يشير. صامتة) الا.. تقولين شيئا؟

العانس: في الواقع.. لا ادري.. انا.. انا.. الاخرى.. في.. في حيرة.

المدير: (بغلظة) ذلك لا يعني أنك قد عثرت على السر.. ناهيك عن الحل.

العانس: (مرتبكة)... ربما.. ربما.. اقول.. ربما.. هي كل .. ما عندهم.

المدير: عندهم اضعاف اضعافها. انهم يخزنون منذ عشرات السنين.. ان السر يكمن في امر اخر تتجنبين ذكره.. وحتى الاقتراب منه..

العانس: او تشك في.. ولائي؟

المدير: لا. اطلاقا. فقط. اريد ان اقول انك الوجه المباشر للتعامل معهم.. وانك..

العانس: ولكنني وجه دميم (تتلمس وجهها بالم) على اية حال، ليس من الانصاف ان تحمل وجهي او شخصي وحده المسؤولية كلها. وتنسى نفسك...

المدير: نفسي؟ ما الذي تقصدين..

العانس: لقد حبستني في قالب من السلوك. خنق كل طاقاتي ومواهبي واحالني الى الة.. كل مهمتها تسلم المخطوطات بابتسامة باهتة.. تبدو كالتكشيرة.. تنفر الناس اكثر مما تجذبهم؟.

المدير: آه.. هكذا اذن..؟

العانس: امل ان لا تكون صراحتي قد اغاضتك.

المدير: ها؟ لا.. لا.. على الاطلاق.. فانا..

العانس: يا سيدي لقد مات عندي كل احساس.. بأنني انثى. وان لدي انا الاخرى اساليبي الانثوية الخاصة (المدير يكتم ضحكه) اعرف انه لم يعد لدي منها الكثير.. ولكن .. ما تبقى.. منها.. اجيد استخدامها.

المدير: لم اقصد.. ابدا.. ان.. (يفتح الباب. يقتحم الغرفة، رجل هلع في ملابس بستاني) المخبر؟ ما الذي جاء بك؟ ماذا وراءك.؟

المخبر: شـ.. شـ.. شاب .. سيد.. ي شاب.. عـ.. عند المدخنة.

العانس: المدخنة.. ويحك (تهجم على الشباك تفتحه. من بعيد وسط اشجار عالية كثة. تبدو مدخنة تطلق سحائب من الدخان) لا ارى احدا.

المخبر: (يقترب منها) لعل الدخان اخفاه (ثم) ذاك هو.. اترينه؟

العانس: (ترتد بخوف) يا الهي.. انه.. هو... هو بعينه.. هو.. المواطن..

المدير: مستحيل (ينظر) كل من يقع عليه نظرك.. تحسبينه.. المواطن..

العانس: لقد.. بدا.. لي.. لاول وهلة.. مثله.. مثله.. تماما..

المدير: لانك مذعورة. وذعرك هو الذي يجسد لك مخاوفك في هيئة.. شخص لم يعد.. له وجود (ثم) قد يكون وجوده هناك صدفة.

العانس: ومع هذا فوجود مدخنة وسط حديقة عامرة.. لابد ان يثيرالفضول.

المدير: (المخبر) عد إلى عملك.. واذ احسست باي شيء. اعطنا اشارة ولا تترك مكانك (ثم) اليس الجهاز.. معك؟

المخبر: معي يا سيدي. معي.. ولكن من شدة ارتباكي.. نسيته.. (يخرج)

المدير: (يذرع الغرفة باضطراب شديد. لا يستقر على حال) همم.. همم..

العانس: مابك؟.. اراك قلقا..

المدير: القلق، اللعنة. ذلك ما انا فيه بالضبط، اخشى ان يدفعه مرأى المدخنة إلى البحث عن سرها.. (حائرا لا يدري ماذا يفعل).

العانس: (بخوف) و.. نتركه.. يبحث ويسأل وينقب.. حتى يكشف السر؟

المدير: آه.. لا.. لا. بالتأكيد (يسحب اليه احد الخدم. يكلمه بالاشارات، ثم يعطيه كيسا) هنا.. ضعه هنا.. حيا.. اريده حيا.. (الخادم يأخذ الكيس ويخرج).

العانس: حـــ.. حيا؟ ولماذا حيا.؟ ماذا تفعل به.. هـــ.. هـــ.. هنا؟(تضطرب)

المدير: لأعرف منه.. ان كان احد سواه.. يعرف بأمرها (ثم) ماذا بك؟

العانس: (مضطربة جدا) اخشى.. ان.. لا يظفر به.. و

المدير: لا.. اطمئني ضعي ثقتك.. في رجالنا..

العانس: (ساهمة) رجالنا.. ام.. آلاتنا..؟

المدير: الات.. الات.. ليكن. يكفي انهم موضع ثقتنا في وقت بات الواحد، لا يثـق حتى بنفسه اه.. ليت كل البشر الات.. بـــلا عواطـف ولا مشـاعر ولا افكار.. اه.. ولا سيما الافكار.. انها احقر الجراثيم التي خلقها الله طـرا.. ما دخلت مخلوقا الا وافسدته.. واحالته عدوا.. لنفسه عـــدوا.. لنفســه اولا.. ثم لمجتمعه.. وللكون كله. ولكي يكون الانسان نافعا حقا.. لا بـــد ان يفرغ من افكاره. ويتطهر منها.. او ان ينتعلها ويستجدي بها.

العانس: كما حدث لـــ.. لرجالنا.. (نشير اليهم).

المدير: وكما سيحدث.. لكل الرجال.. ناوليني.. كأسا، (تصب له يلقيها في جوفه) الا.. تشربين؟

العانس: لا.. لا اشعر حاليا.. بالحاجة الى الشراب (طرق علـــى البـــاب. تسـرع باخفاء عدة الشراب. المدير يفتح الباب. يدخل رجل)

الرجل: (منحنيا يكاد يقبل الارض) بعد السلام والتجلة والاكرام (يستقيم) ســـادتي ماذا دهاكم. رب العباد يرعاكم. ها قد انقضت الايام والشهور. وانا انتظـر ساعة الحبور. بنشر مصنفي المحبور. فمتى تتصدقون علـــيّ بالنشـــر. أبعدما يحل يوم النشر؟

المدير: معاذ الله يا شيخنا الجليل.. لقد عطلتنا بعض الامور الفنية...

الرجل: الفن؟ الا لعنة الله على الفن! واهل الفن هم اصل الشرور في كل الدهــور.

اللهم اسقط عليهم السماء. والق بهم في جهنم الظلماء.. اللهم..

المدير: (يغالب ضحكه) مهلا.. مولانا.. مهلا.

الرجل: (مندفعا) وكيف مهلا. وانا لا اجد لي اهلا؟ في زمرة الكفـار حشـرتني.. والى جهنم سقتني. لقد ظلمتني يا سيدي والله ظلمتني.

العانس: (تكتكم ضحكتها) اه.. كم رائع هذا الشيخ الجليل، في كلامه الجميل.

الرجل: (باسطا ذراعيه بوله) اه يا امة الله.. لو قلت العكس.. لكم ارتـاحت لـك النفس.

العانس: لك يا مولانا منطق بليغ. لا شك ان كتابك (تعجـز عـن ايجـاد اللفظـة المناسبة، فتكرر الكلمة نفسها) مثلك بليغ.

الرجل: اه يا امة الله كم تحسنين القول، انت الحرمة التي لا قوة لـها ولا حـول. لقد صنفت مخطوطتي في امر جلل. كي لا يثير السأم او الملل. اثبت بكـل البراهين والاسانيد وجوب ان نكون لولاة الامر.. كالعبيد. يفعل بنـا مـا يريد. ونحن له من الشكر والحمد نزيد. اللهم يا معبودي العظيم، اشـهد على مجهودك عبدك الذميم.

المدير: اشهد اللهم اشهد (اشارة للعانس فتناوله رزمة نقـود، الرجـل يتصنـع الامتناع) خذه يا مولانا خذه ان هو الا مبلغ ضئيل ازاء جهدك الجليـل.. وليتك تزيدنا من علمك الغزير.. فنزيدك من مالنا الحقير.

الرجل: كل مصنفاتي ستكون في طاعة اولياء الامور. الاناث منهم (يشـير إلـى العانس) والذكور. اللهم اعطنا العقل والرشاد. لنخدم ما عشنا سادة البلاد (يخرج)

المدير: بضعة اصوات من هذا القبيل يمكن ان تكون خير رسل لنا

العانس: على العكس. لم يعد احد يحفل، هذه الايام بهذه الاصـوات التـي تكـاد

تنقرض.

المدير:(بسخرية مبطنة) لعلهم انصرفوا إلى الجنس

العانس: بالضبط يا سيدي.. بالضبط (تبرز صدرها وتتقدم نحوه؟؟؟)

المدير: (مخاطبا نفسه) في هذه الحالة ينبغي البحث عن انثى (اصوات من جيب.. سترته الداخلي. يصغي اليها باهتمام) لقد تم القبض عليه.

العانس: سيدي.. لقد .. لقد كنا نتحدث في امر اخر.. الانثى..

المدير: افتحي الباب. لقد وصلوا.

العانس: اه..(تفتح الباب.. يدخل الخادم حاملا كيسا. بداخله من يرفس ويطلق اصواتا مخنوقة. يتقدم منه المدير بفرح. بينما تتراجع العانس مرعوبة)

المدير: لم يخب قط ظني بكم.. هاته.. هاته (يفتح الكيس يرتد) من هذا؟ ماذا فعلت يا احمق.. انه المخبر.. تعالي خلصيه قبلما يموت.

الخادم: (اشارات خرساء بانه وحده من رآه. ولم يكن ثمة سواه)

المخبر: (لا يقوى على الوقوف. مقيد اليدين والرجلين مكمم الفم. معصوب العينين يفكون وثاقه) اه.. مـ.. اء.. مـ.. اء (العانس تأتيه بقدح ماء) اه.. اه.. اية قبضة. اية اصابع من حديد. ضربني على رأسي من الخلف ثم اطبق على خناقي ولم يدعني افتح فمي بكلمة.. آه. راسي. اما تزال رأسي فوق جذعي.. ام. ام. طيّرها.. بضربة قبضته الحديدية.

المدير: وهو.. هو.. ماذا حل به أين هو؟

المخبر: حين عدت. اتخذت مكاني قرب المدخنة. مختبئا في موضعي. فاذا بأحد. يطبق علي بيدين من فولاذ حركت رأسي فجاءتني ضربة هائلة حسبت ان رأسي تهشمت او طارت.. اما تزال رأسي في مكانها..؟

المدير: لتذهب رأسك إلى الجحيم.. أخبرني.. عنه.. هو.. هو..

المخبر: لم اره يا سيدي.. لم يدعني هذا السيد ارى احدا.

المدير: لا شك انه قد اختبأ في مكان ما بين الاشجار. (يضغط على الجرس. يدخل مجموعة رجال. سود من اثر الدخان والسخام) خذهم.. انتشروا في ارجاء الغابة كلها.. ولا تعودوا بدونه.. هيا.. هيا.. اسرع (يخرجون، للخادم الذي ظل واقفا. لا يعرف ماذا يفعل) احمق.. احمق.. عد إلى عملك. (يعود الخادم إلى رفع المخطوطات ودفعها في الفتحة المقابلة) ناوليني كأسا. (تصب له. يشرب) كاد يقضي على الرجل المسكين.

العانس: (بنبرة خاصة) اما زالوا (تشير إلى الخادم) موضع ثقتك.. كل ثقتك..

المدير: ما دمت.. غير واجد... من هم افضل منهم (منتشيا) في صحة رجالنا.. و.. صحتك (يفرغ كأسه) اما زلت غير راغبة في.. (يتوقف مصعوقا اثر اقتحام شابة جميلة. منفعلة الغرفة عليهما).

الشابة: يا سادة.. قد تمزقت عن وجوهكم كل الاقنعة.

العانس: يا الهي.

المدير: (مذهولا) أ.. أ.. الاقنعة.. (يتلمس وجهه بصورة لا ارادية) أ.. أ.. ايسة.. اقنعة.. يا.. يا..

الشابة: الاقنعة التي اخفيتم خلفها وجوهكم البشعة.. ورحتم تمارسون مختلف انواع الغش والخداع.. والكذب..

العانس: (هامسا للمدير) يجب القضاء عليها فورا.

المدير: (يهمس) ليس الان.. اغلقي الابواب.. ودعي امرها لي.. نقف على من وراءها.

الشابة: اراكما قد هربتما إلى الهمس، بعدما صفعتكما الحقيقة.

المدير: (يتودد) ولكن ماذا في الامر.. لم كل هذه الثورة.. يا حلوتي الصغيرة.

الشابة: لست صغيرة، فقد غادرت الثامنة عشرة، منذ شهور.
المدير: فعلا. وانت الان امرأة ناضجة.. رائعة.
الشابة: كن اكثر دقة. فانا ما ازال شابة. سأغدو امرأة متى اقرر وارغب.
المدير: لقد استشففت المستقبل وتنبأت بما يستحق.. يا سيدتي.. الجميلة..
الشابة: بوسعك ان تكون لطيفا حتى وانت بهذه الصورة.
المدير: وسأكون اكثر لطفا.. لو اخبرتني عمن اوحي اليك.. بفكرة الاقنعة و..
الشابة: ولم يكون ثمة من يوحي الي بأفكاري؟ اتراني قاصرة؟. اليست لي عيون؟
المدير: بل انت كاملة مكتملة.. ولك عيون دونها عيون المها.. اهما عينان حقا.. ام نبعان صافيان لا قرار لغورهما.. آه .. دعيني .. يا حلوتي ارتو.. من مائهما الزلال. انا البدوي الذي لم تبلل شفتيه قطرة ماء.
الشابة: (تفتح عينيها تداعب رموشها، في حالة من التأثر) اوه.. سيدي اوه!
المدير: (مستمرا) انهما ربيعان دائما الخضرة وهذه الاهداب.. اه.. يا الهي. ينبغي ان يكون المرء حمارا او صخرا حتى لا تفتنه هذه السهام.
الشابة: (ترمش بدلال) اوه.. انت تبالغ في اطرائي.. يا سيدي.. (يداعب اناملها).
المدير: بل ان لساني، هذه القطعة الجامدة، من اللحم الميت.. يخونني.. يا ملاكي
الشابة: (تكاد تفقد سيطرتها على نفسها) اوه.. سيدي.. سيدي المدير.. مديري..
المدير: اه.. يا الهي.. أين انا، هل انا فوق الارض اسمع صوتا ادميا.. ام انا احلق في السماء، اسبح في فضاء الالحان والانغام الملائكية.
الشابة: (في غاية التأثر) اوه.. يا سيدي.. اوه.. سيدي ارجوك.
المدير: ولكن.. ياحوريتي التي صوتها موسيقى.. يا ملاكي التي كلماتها سجع الحمام.. قد سقطت من شفتيك كلمة. خشنة متنافرة الحروف. كأرجل

حصان اعرج. نابية على السمع كنغمة نشـــاز.. فـــي ســـمفونية رائعــة الانسجام.

الشابة: سيدي.. لا اتذكر.. اية كلمة.. لا اتذكر حتـــى نفســـي.. انــت انســيتني وجودي كله.

العانس: اذكرك يا شابة.. الاقنعة.. من علمك اياها.

الشابة: لا احد. وحق لحظات الصدق التي احياها الان.. لا احد. تســـلقت طــرف لساني.. من تلقاء نفسها.. فقذفتها.. بلا وعي.. ولا قصد.. فقـــط لكـــي استعجلكم طبع رسائلي الخاصة.. التي ضمنتها كل عواطفي و..

المدير: (يتبادل نظرات الدهشة مع العانس) فقط؟

الشابة: وحقك سيدي الكريم. اذْ حسبت انكم اهملتموها. ولكن بعدما استمعت بكــل كياني إلى صداها ترجعها اعماقك تاكدت انها كانت موضع اهتمامك و..

المدير: بل موضع عشقي وهيامي. ولست الوحيد الذي توله بها وانما كـــل مـــن اطلع عليها. انظري (يعطي اشارة فيخرج شاب في غاية الوسامة والقــوة يحتضن مجموعة اوراق بشغف ويقبلها بادب جم ينحني للشابة ويدعوهــا إلى الداخل فتتبعه مسحورة غائبة عن الوعي. المديـــر يطلـــق ضحكـــة) بالونة، مجرد بالونة منتفخة بفقاعات الغضب والتحدي وحتى الثورة.. ثم (اشارة نغز) نغزة صغيرة.. وفش ش.. ش.. ولا شيء. كلهن على هذه الشاكلة.

العانس: كلهن؟

المدير: كلهن وكلهم. واذا كان ثمة اختلاف ففي نوع الإبرة المناسبة لكـــل حالـــة حسب.

العانس: (كمن تخاطب نفسها) وحدي وحدي انتفخ وانتفخ وما من ابرة ولا حتـــى

شوكة (تصب كأسا وتشربه) اه.. يا الهي. إلى متى؟ إلى متى؟

المدير: (يندفع نحو الباب، اثر اصوات يطلقها جهازه) لقد جاءوا به (يفتح الباب يدخل المخبر. يتبعه احد الخدم حاملا الكيس مبتهجا) و.. اخيرا..

المخبر: عرفته اول ما وقع عليه نظري بالرغم من انه تنكر في هيئة تخدع.. حتى الشيطان (يفتح الكيس) وحين رآنا اطلق ساقيه للريح. ولكننا احطنا به احاطة الخاتم بالاصبع، وهذا هو.. انظر سيدي.. او.. دعني اعيده إلى حالته الاولى.. اه بأية سرعة غيرت ملابسك. والصقت على وجهك هذه اللحية (نتف لحيته) لن تخدعني بلحيتك الكاذبة هذه.

صوت: (من داخل الكيس) اخ اخ الرحمة.. ارحموني يرحمكم الله اخ. اخ..

المخبر: ما هذا اصطبغت أناملي بما يشبه الدم.. اهي خديعة اخرى يا وغد.

المدير: تنح يا هذا.. ودعني اره (يصرخ) يا حمار.. انه.. صاحبنا الذي..

المخبر: مستحيل، فقط دعني ازل لحيته. لقد الصقها بمادة قوية.. يا سيدي.

المدير: اغرب عن وجهي يا احمق (للخادم) وانت الآخر.. يا غبي (يخرجان) ماذا فعلتما بالرجل الطيب. سيدنا الجليل نحن في غاية الاسف.

العانس: الخير فيما وقع.. الخير فيما وقع.. دعني اضمد له جراحه (تعالجه)

الرجل: اخ.. اخ.. اهذا ما يجري.. لاخلص عبد من عبيدك.. يا سيدي؟ تنتف لحيتي وتهان كرامتي.. اخ.. و.. تسرق نقودي. كل نقودي.

المدير: اما نقودك فسترجع لك اضعافا مضاعفة. ولكن ما الذي اوقعك في ايديهم.

الرجل: حظي. حظي الاسود. بلغ عمري السبعين ولم اقبض على مبلغ كالذي تكرمت به علي. فخفت عليه اللصوص وقطاع الطرق. وقلت لأطرق طريقا غير مطروقة. سلكت طريق الغابة. ولم اسر الا بضع خطوات حتى انتصب امامي مجموعة رجال سود. كأنهم زبانية جهنم. ضربوني

وسرقوا نقودي و..

العانس: (تناوله رزمة) عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم..

الرجل: صدق اصدق القائلين.. عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه (يخرج) لك الحمد يا رب.. اولا وآخر.

المدير: فشل آخر، اما من سبيل لاقتناصه. اكاد اجن.. ساعديني قولي شيئا.

(طرق على الباب تهرع اليه العانس ولكن ما تكاد تفتحه حتى تغلقه)

العانس: (باضطراب) انه.. هو سيدي.. انه هو..!.. المواطن..

المدير: (مندفعا) وتغلقين الباب بوجهه؟ اما تقدرين عاقبة ما تفعلين (يفتحه)

المواطن: ما هذا؟ كيف تغلق الباب بوجهي، اليس من حقي. مراجعة مؤسسة رسمية في يوم مخصص اصلا للمراجعات والشكاوي والاعتراضات؟

المدير: (يتماسك) من حقك ايها السيد. من حقك تماما، وارجو ان تعذرها.. فانها مرهقة ومتوترة بعض الشيء. بسبب هذه الاكداس من الاوراق (متوددا اليه) ولكن فيما يخص مخطوطتك لا تحمل أي هم. فقد قدمتها على سائر المخطوطات. لما تلمست فيها من ملامح العبقرية (المواطن ينظر اليه بدهشة واستغراب) انها.. انها.. حقا.. فنبلة الموسم (المواطن يضحك) ما الذي يضحكك.. يا سيد..؟

المواطن: اطراؤك!

المدير: وهل الاطراء يثير الضحك.

المواطن: لا احسبه يثير البكاء على اية حال (ثم)، لا شك انك تقصد شخصا اخر فانا لم اتك بشأن مخطوطه.. او ما شابه.. لقد جئت بسبب الغول المنتصب وسط الحديقة الذي ينفث سمومه حارقا الخضرة والحياة..

المدير: الغول؟ أي غول؟

المواطن: المدخنة. اذهب بنفسك لترى أي ليل خـــانق تفرشـــه ادخنتـــها فـــوق الزهور.. والاشجار.

المدير: ما شأنك انت؟ ومن تكون..

المواطن: حين يتعلق الامر بالمصلحة العامة يكون لكل مواطن شأن فيه. ثم انـــي معلم في روضة الاطفال التي اقيمت المدخنة على مقربة منها. أي حـــزن اسود سيلف ارواحهم الغضة حين يعـــودون بعـــد ايـــام إلـــى مقـــاعدهم وملاعبهم ولا يلقون غير الازهار الميتة والميـــاه الملوثـــة والعصـــافير المحترقة.

المدير: صحيح.. (ثم فجأة) وما الذي يحملك على الاعتقاد.. بان لنا يـــدا، وحتـــى معرفة بوجودها.؟

المواطن: لم اعتقد ذلك اطلاقا. بل اعتقد ان لا علم لكم بهذه المأســـاة.. المريعـــة التي تقع على مقربة منكم، والا لبادرتم إلى منعها.

المدير: ا.. بالتاكيد.. بالتأكيد..

المواطن: ولهذا السبب جئت اليكم باعتباركم الجهة الموكولة اليها رعاية الفنـــون والثقافة والطفولة.. حسبما تؤكد اعلاناتكم، قبلما افكر باي عمل.

المدير: ماذا بوسعك ان تفعل انت واطفالك.

المواطن: (بحدة) الكثير ايها السيد الكثير. اقل ما يمكننا فعله، تهديمها فـــوق رأس من بناها (يخرج صافقا الباب بقوة).

العانس: (تجفل) من يحسب نفسه هذا الصعلوك. ممن يستمد قوته؟ من اطفالـــه؟ اطفال الروضة الرضع؟ وملابسهم الداخلية المبلولة؟

المدير: (باستهانة بالغة) بالونة اخرى... منتفخة بفقاعات من نوع اخر. (يصـــب قد حين) اشربي (يشربان) تخرج الشابة وهي فـــي حالـــة شـــديدة مـــن

الانكسار، تتعثر في مشيتها كمن تنوء تحت ثقل مشـاعر شـتى.المديـر يطلق ضحكة، لقد فرغت البالونة، سفحت كل غضبها (يعترض طريقـها، مداعبا) صغيرتي.. صغيرتي الحلوة.

الشابة: (تقف قبالته، منتكسة الراس.دامعة العين. ثم لا تلبث ان تنتصب، تقذفـه.. ببصقة وتعدو الى الخارج)

العانس: (باحساس بالتشفي) اه.. يبدو انها امتلأت اكثر من ذي قبل.

المدير: ستفجرها ابرة ا٠خرى.. من نوع اخر (يفرغ كاسه فـي جوفـه) هـاتي المزيد (يقدم لها الكأس يدير ظهره للجمهور.. يـنزع شـعره المسـتعار وينزع عن وجهه القناع. بينما تنصرف العانس الى ملء القدحين. وقبلما تتاح للمشاهدين رؤية وجهه، يهبط الظلام... على المسرح بسرعة)

* * *

(العانس تخرج من غرفة المدير. يخف بها فرح خاص حاملة مجموعة من الاوراق تتوجه نحو الغرفة العجوز. تطرق الباب. تخرج العجوز. تنطلق بخـوف وريبة.)

* * *

العانس: تعالي.. تعالي.. ساعديني.

العجوز: و.. والمدير.(تتلفت هنا وهناك) اين المدير؟

العانس: اقنعته بعد جهد جهيد بضرورة المشاركة في تشييع اطفـال الروضـة.. الذين اصر ذووهم على اقامة جنازة رمزيـة.. لـهم.. (تناولـها بعـض

الاوراق) الصقيها.. متباعدة.. ولكن منخفضة.. بمستوى نظر الداخلين (نشرع بالصاق ما تبقى عندها على الجدران انها شعارات وعبارات مصاغة بلغة عادية ومكتوبة بخط. رديء.. من قبيل "اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب" السكوت. السكوت "من كثر كلامه قل احترامه.. الخ.. الخ.)

العجوز: (وهي تواصل عملها)) و.. ورجاله.. اعني.. اعني.. الخدم.

العانس: (مواصلة عملها) ارسلتهم لحراسة المدخنة. ومنع الاقتراب منها. ريثما يتم نقلها.. خارج المدينة.

العجوز: (اتقرأ احد الملصقات) اللسان.. مقتل الانسان. فعلا وقد كاد لساني يقتلني.. لولا ان تشفعت لي عنده، وابدل حكمه.. باقامة اجبارية في تلك الغرفة.. ارى واسمع.. ولا انطق.. اه من كان يتصور.. ان يستحيل ذلك الولد الودود نلذي كان يخجل من ظله.. إلى هذا الكائن الغريب..

العانس: لننسى كل ذلك. انا اليوم للمرة الاولى اشعر بالحرية.. بامتلاء كل كياني بنفسي، بعدما انحسر وجوده الذي يسد مسامات جسمي، اشعر باني ساطير من الفرح (تستمر في عملها الذي يستحيل إلى ما يشبه الرقص)

العجوز: من كل قلبي اصلي الا يعود سريعا. فيكسر اجنحة فرحك.

العانس: لن يعود قبل انقضاء النهار. فثمة مراسيم التشييع والدفن الوهمي والصلوات.. وطقوس مجالس الفاتحة.. واذ يعود اكون قد مارست وبطريقتي الخاصة، كل ما اشتهي، واشبعت كل شعرة في جسمي، وحققت وجودي.. ولو.. ليوم واحد.. واحد حسب. (تجلس إلى مكتبها) انظري من الشباك، هل تجمع منهم خلق كثير (تخرج مراتها وادوات زينتها وتشرع بوضع المكياج وتصفيف شعرها.. واكمال زينتها)

العجوز: قلائل.. يتقاطرون من هنا وهناك.

العانس: احسن! ايلغون ويثرثرون.؟

العجوز: كأن على رؤوسهم الطير. عدا شابا.. يجول بينهم بقلق.. و..

العانس: شاب اقلت ساب (تقفز إلى الشباك) أين هو.. اريني..

العجوز: ذاك هو، الا يبدو شبيها بذلك الذي يسمي نفسه.. المواطن.

العانس: بل.. هو.. هو بعينه (ترتجف) ذلك ما لم يكن في الحساب..

العجوز: لا يمكن ان يكون نفسه فذاك قد.. اراك ترتجفين هل اطرده؟

العانس: ها؟ لا. لا. لن اقضي العمر كله هاربة منه.. مرتعدة امامه. وراغبة في الوقت نفسه. فيه، لابد من حسم الامر.. إلى.. إلى الابد.. افتحي الباب واذ يدخل هو علقي اللافتة التي تعلن انتهاء وقت العمل. (تعود إلى مكانها) راقبيه جيدا لا تدعيه يغب عن نظرك (يجلس.. تحاول ان تتماسك وتتغلب على اضطرابها).

العجوز: اللهم اعنها.. انها تسوق لنفسها إلى ما لايعرف عواقبه.. سواك.

العانس: (متماسكة إلى حد ما نستقبل الطابور الداخل بوجوم وصمت، وكلما هم احد منهم ان يتكلم.. تشير هي إلى احد الملصقات التي تأمره بالصمت فيضع هذه اوراقه امامها ويخرج من الباب الاخر بصمت. ثم فجأة وعلى غير توقع.. تنطلق في ثرثرة غريبة، مضطربة.. كشلال متدفق.. لا سبيل إلى ايقافه) اوه.. شكرا.. شكرا جزيلا لتعاونك معنا. ايام.. ايام حسب. وسوف تقطف ثمرة قريحتك ناضجة، طرية. لا. لا. لا تقلق كل شيء على ما يرام.. سيكون على ما يرام بفضل تعاونك الدائم معنا. بعد كل شيء كلنا بشر. معرضون للخطا والصواب.. فعذرا عذرا لكل تقصير غير مقصود (الناس ينظرون إلى بعضهم البعض بدهشة. يشيرون إلى

رؤوسهم والى العانس.. كأنها مجنونة بينما هي مستمرة كالغائبة عن نفسها) لا. لا.. ابدا.. ضع ثقتك فينا.. ثقتك كل راسمالنا ونحن اهل لثقتك.. العالم يتغير. الدنيا كلها في تغير.. ونحن ايضا قد تغيرنا.. ولم نعد كما كنا.. انا.. انا.. شخصيا قد تغيرت. تغيرت جذريا وبت مختلفة حتى عن المدير.. حتى عن نفسي.. لم لا.. لكل اسلوبه لكل طريقته في التعامل مع الناس.. في النظر الى الاشياء اليس كذلك؟. والمهم الجوهر.. المهم الهدف. سر انت من هناك.. وانا اسير من هنا وما دمنا نلتقي في النهاية.. فما الضير؟ما الضير ايها السيد؟ ما الضير ايتها السيدة؟.. ها. ها. ما الضير؟ المدير.. مدير.. في وجوده. وفي غيابه الذي ارجو ان يطول انا المدير انا كل شيء هنا انا اقرر ما اريد.. والغي ما اريد.. تعاون معي.. معي.. (العجوز تحاول اسكاتها. ولكنها سادرة كالمنومة مغناطيسيا). هيا.. يا اخوات يا اصدقاء.. (يدخل المواطن. فتسرع العجوز باغلاق باب الدخول) ثم.. لماذا تروننـي عاجزة عن تحقيق الهدف.. هدفكم وهدفي انا.. انا..

العجوز: (تقترب منها. تهزها) الصالة فرغت. الناس خرجوا. خرجوا جميعهم.

العانس: (كمن تستيقظ من سبات طويل) ها.. ها.. (تجحظ عيناها في تصالب)

العجوز: (تخضها) الشاب. الشاب. المواطن..هنا.

العانس: هـ هـ.. هنا.. و.. ماء.. ماء. (العجوز ترش على وجهها الماء ترقب المواطن الذي يتأمل الجدران بذهول. يقترب من الملصقات يقرأها بصمت.. واضح انه يعاني من الضعف في النظر، يهز رأسه باستغراب)

العجوز: (باستهانة) اهذا الذي..

العانس: (تصب لها قدحا تلقيه في جوفها بسرعة) دعيني.. وحدي.. معه..

(العجوز. تمتنع) اذهبي، ارجوك، اذهبي، انه شـــأني.. شـأني وحـدي

(العجوز تتوجه إلى غرفتها. غير مقتنعة مترددة.. تعود اليها..)

العجوز: ابنتي انا.. مدينة لك بحياتي.. دعيني اساعدك.. اتحمل أي شـــيء مـن اجلك.. ارجوك... اتوسل اليك..

العانس: (بصرامة) دعيني وحدي معه. ذلك كل ما اطلبه وارجوه (تدخل غرفتـها تصب قدحا اخر تشرب) هيه.. هيه.. انت.. ايها المواطن.

المواطن: (خارجا من ذهوله) أ.. أ.. أنا.. انا؟

العانس: وهل ثمة سواك؟ كلهم انهوا ما جاءوا من اجله وخرجوا.. الا انت، لماذا تحدق بي على هذا النحو؟ الم يسبق لك ان رأيت فتاة.. (يحاول ان يتكلـم تسكته) كل يوم لك زيارة تفترسني بنظراتك الشرهة.. وتعـود ادراجـك. كأن احدا لم يرك. ماذا تبغي؟ لماذا لا تصفح عما في نفسك؟

المواطن: و.. و.. ماذا في نفسي.. عدا.. عدا (يلوح باوراقه في ارتباك شديد)

العانس: لا.. لا.. تنتحل اعذار وان كان لا بد فابحث عن عذر معقول (تســكته) و.. كفى.. كفى.. فانت لا تختلف عن سواك. تتكاثرون على تكاثر الذبـاب على صفيحه عسل مكشوفة منتحلين اعذارا شتى بيد اني اعرف الدافـع الحقيقي. اقرأه في عيونكم فانها اكثر جرأة وصراحة من الســنتكم التـي يعقدها الجبن المغلف بالخجل المصطنع الكاذب.

المواطن: ارجوك.. انا لا اسمح.. لك ان..

العانس: اسكت اسكت حمرة وجنتيك تكذب كل ما تنوي قوله. ربما تكـون اديبـا عظيما. او شاعرا خلاقا ولكنك.. في نظري لست سوى مراهق.. مراهـق نهم. وكلكم. وكلكم.. من الطينة نفسها تمثلون دور الرجل الــهائم فـي فضاءات الكلمة والابداع المحلق مع النجوم قدماه لا تمسان الارض.. ولا

يهبط قط من سماء الوحي والالهام والخلق.. بينما لستم في واقع امركم سوى فئة شبقة.. تسوقها غرائزها.

المواطن: (محتجا) اسمعي يا..

العانس: صمتا.. صمتا.. نيران انفاسك الملتهبة تلفحني.. تحرقني، جبينك ينضح رغبة واشتهاء. عيونك تنتحر جوعا كعيون ذئب شرس. تجردني من ملابسي.. قطعة.. قطعة.. قل لي.. هل وجدت مبتغاك.

المواطن: م.. م.. مبتغاي..؟ و.. ماذا تقصدين.

العانس: اقصد هل وجدت جسد امرأة شهية.. لتنحر فوقه او تحته ليلة من ليلليك ام ستطلق العنان لخيالك الجامح.. ليخلق لك البديل؟ ماذا بك.. اراك مثل صبي مراهق.. قبلته على مرأى من ابويه غانية لعوب.. لا.. لا تتصنع الخجل.. او.. او لا تبالغ فيه على الاقل فليست عذراء.. افتضوا لها بكارتها امام جمع من الناس.

المواطن: (يخفي وجهه بكفيه، خجلا واشمئزازا) فظيع، فظيع..

العانس: فظيع، بالضبط تلك هي الكلمة المناسبة.. لوصف حالك. ولما يعتمل في داخلك الهائج المائج. هل اعطيك مرآه لترى نفسك ولكن قبل ذلك.. الا تسترد عيونك الشبقة من جولاتها فوق جسدي.. ومداعبة مناطقه الحساسة اوه افعل ارجوك فقد.. جالت وداعبت وحرثت بما فيه الكفاية. او.. لا. لا. تمهل لعلك لم ترتو جيدا يقينا انت احد المحرومين او المنفيين من دنيا الانثى ممن لا يحققون لذاتهم الا في اوهام المخادع.

المواطن: اه. لا. لا. هذا.. لا يطاق (يستدير ليهرب فيجد الابواب مغلقة) ما هذا..؟

العانس: قرأت افكارك.. فحققت لك رغبتك قبلما تفصح عنها واغلقت الابواب

والنوافذ ماذا دهاك؟ انت تتلوى كمن اصابه الصرع؟ اه.. بالقوة وعنف غرائزك التي زادهما الكبت والحرمان. قوة وعنفا.

المواطن: سيدتي آ.. آ.. نستي.. الواقع.. لا ادري.. حتى.. أي شيء.. انت.

العانس: لابد ان اكون احداهما. فمن غير الممكن ان اكون كليتهما في ان واحد.

المواطن: كوني.. ما تكونين.. فقط.. افتحي الباب ودعيني اخرج.. ارجوك.

العانس: يهمني ان اكون التي تريدها انت. ايهما تفضل السيدة الناضجة الممتلئة تجربة وخبرة ام الانسة الساذجة التي تغرقك في بحر من الاهات والتأوهات قبلما تلمسها. كن صادقا.. او.. او دعني اقرأ رغبتك من خلال نظرتك. آه.. كم اعشق نظراتك الخجول هذه انها تملؤني احساسا باني اعرفك منذ.. منذ.. الم نلتق في مكان ما..

المواطن: ابدا.. لم يسبق لي.. قط ان..

العانس: يكفي للمرأة ان تعرف رجلا واحدا، حتى تكون قد عرفت الرجال جميعا، (بخبث واستفزاز) ام.. ام.. لست رجلا..

المواطن: لست رجلا.. انا.. لست رجلا؟

العانس: لا تغضب يا سيدي فانت رجل.. رجل حقيقي. ولهذا اقول انني اعرفك. فانا خبيرة بالرجال الحقيقيين ابتداء من انسان نياتدرتال الذي لم تحظ باللقاء به. جدتي المأسوف على شبابها حواء، الى الرجل السوبرمان، الذي لا يزال مجرد فكرة. لم يفكر الرب بتحقيقها حتى الان، ومن هنا يمكنني ان اصرف النظر عنك، فانت، في النهاية لست الا نسخة مكررة منهم يا عزيزي.

المواطن: انا لست منهم اطلاقا.. لست من الذين..

العانس: بل انت منهم ولا تختلف عنهم بشيء ولكنك تنفي ذلك لكي تحملني على

خوض التجربة التي تحلم بها.. وتمنى بها نفسك.

المواطن: لا.. لا.. هذه اهانة.. اهانة لي ولـــ..

العانس: اهانة؟ (تقهقهة) يا لك من ابليس خارق الذكاء والمكر اعترف باني قد هزمت. ولكي تمحو الاهانة التي الحقتها بك ستدعوني إلى مبارزتك. وبالتاكيد لن تكون بالسيف او المسدس. فقد ولى زمن هذا النوع من المبارزات ولم يعد يثير سوى الرثاء والضحك. وانما مبارزة بطريقة اخرى مشبعة بروح العصر في غرفة مغلقة.

معطرة بلا شهود وبلا ملابس وانت شاهر سيفك كفارس من فرسان الاحلام والاساطير.. فاسقط على ظهري معلنة استسلامي مستعدة للموت.. تحت طعنات سيفك الجبار..

المواطن: اية مذلة اية اهانة.. يا الهي.. انقذني..

العانس: (تحاول معانقته) اهانة.. مذلة.. حقارة.. ان جبالا من هذه الالفاظ والمشاعر والاحاسيس تنهار او ما تبدأ المبارزة تذوب ككتل من الثلج الهش.. تسقط في بركان من الحمم.. صدقني.. صدقني.. صدقني..

المواطن: (يبعدها عنه بادب) انت تتمادين في اهانتي.

العانس: افهم شعورك جيدا واقدره حق قدره يا حبيبي ان احساسك بالاهانة يظل ينغز فيك. ولن يفارقك.. حتى.. حتى.. حتى.. اه تعال.. ارجوك تعال.. (تلتصق به، يتألم لحالها بجهد للتخلص منها بشكل لا يجرحها بينما هي تستبد بها افكارها، فتتمادي اكثر) انت خجول.. ومتردد وهذا ما يرغبني فيك اكثر.. اه.. تعال تعال لا تعذبني.. لا تخذلني ارجوك.

المواطن: يا سيدتي.. ارجوك.. ارجوك..

العانس: (تلهث) انا التي ارجوك.. انا التي.. اتوسل اليك (تجره إلى الغرفة)

المواطن: (يدفعها) ما الذي تفعلين.. انا.. رجل متزوج.

العانس: (مصعوقة) متزوج؟

المواطن: ولدي اولاد.. وبنات.

العانس: اه.. (بصوت جاف) لماذا خدعتني اذن؟

المواطن: انا؟ هل تكلمت هل قلت شيئا.؟

العانس: تكلمت وقلت وطلبت كل ما فيك كان يتكلم ويطلب حد الصراخ والنباح

المواطن: بل افرطت في الوهم.. فاسستلبتك اوهامك؟

العانس: انت خلقت اوهامي. حركت جمرات مشاعري الخامدة. اشعلت احاسيسي المتجمدة.

المواطن: لم تكن لي يد فيما جرى.. وانا في غاية الاسف و..

العانس: و.. زوجتك؟ جميلة (يوميء ايجابا) اه.. و.. تحبها؟

المواطن: حد الاخلاص لها. حتى في الخيال

العانس: (بيأس) اذن لا سبيل (منفجرة) اه.. صحراء.. صحراء.. عشت صحراء.. واموت وانا صحراء. وحين توهمت بان الاله الرحيم وقد رأف بحالي وارسل إلى سحابة تبللني، تخفف من قسوة يبسي وجفافي. صفعتني حقيقة كونها مرسلة لارض اخرى. ارض دائمة الخضرة والعطاء. كي تزداد خضرة وعطاء.. واظل انا صحراء تحترق يبسا وجفافا ونيرانا.. اه.. ما اظلمك يارب.. ما اظلمك؟

المواطن: (في غاية التأثر والالم من اجلها) سيدتي انا..

العانس: (بوحشية) انت ماذا؟ تشفق علي؟ ترثي لحالي؟ تواسيني؟ اغرب عن وجهي يا هذا. اغرب قبلما امر بحرقك (تدفعه بقوة إلى غرفة المدير) قدم اوراقك له وانتظره ريثما يعود، سيبتهج بك كثيرا، لما سببته لي من

خيبة يا وحش. (تغلق الباب تتهالك على مقعدها) يا.. يـــا قـــاتل (تدخـل العجوز هلعة، تمسد على رأسها بحنان. دون ان ترفع راسها) رفـــض.. (العجوز تطلق اهه. تبقى العانس منكسة الراس) له زوجة.

العجوز: وما العجب؟

العانس: له اولاد وبنات.

العجوز: امر طبيعي.

العانس: (هائجة) ولكنه يموت في حبهم.. لا يخونهم حتـــى فـــي الخيـال.. اه.. خمسة واربعون عاما واشواك الجفاف تفترشني من الداخل. والظما الـــى الحياة يخشبني.. وصحراء حياتي تتسع وتتسع. وسعادتي سراب والحـب سراب. كل شيء سراب. الا قبحي. الا حرماني.. لم تلمس جسدي انـــامل حنان. لم يحبني احد. اقبح رجل قابلته.. اجمل مني واكثر جاذبيـــة.. اه.. اه..

العجوز: في كل مخلوق قوة جذب. في كل انثى شيء مشتهى. حتى انت..

العانس: في لحظة من اشد لحظات اليأس راودني وهم كهذا. لعل الزمن قد خلـــف في بقايا انثى. ركام انثى.. فقلبت لاشهر سلاحي الذي ينوء تحـــت صـــدأ السنين العجاف. فوجدته مهترئا. لا يصلـــــح حتـــى حتـــى لــهدم بيــت عنكبوت.. اه.. ليتني لم افعل. فان الوهم بان لي سلاحا. انا الاخرى، كان يكسبني قدرا من التماسك اما الان فقد.. تحطم.. تلاشى.. اه. حتى حتـــى الوهم تحطم وتلاشى..

العجوز: أي ياس هذا.. يابنيتي.. اي ياس مدمر هذا.. تجـــاوزت الســتين ومـــا انتابني ياس.. كهذا.. قط..

العانس: لانك حلوة. وانا دميمة. انت طرية وانا يابسة. انت امراة.. انثـــى. وانـــا

مسترجلة. بشرتك ناعمة رقيقة (تتلمس وجه العجوز) وانا جلدي متقرن. وجهي يغطيه الشعر. حتى الخيط اخذ يشكو منه، ولا يجدي معه. وغـــدا تفشل الامواس والشفرات.. في حصده وتنظيفه..

العجوز: بنيتي.. بنتي الحبيبة، رحمة بنفسك.. رحمة بي..

العانس: صوتك رقيق. هل انتبهت الى رقة صوتك وعذوبته. بينما صوتي خشـن. ابح. كصوت مراهق بلغ لتوه سن الرشد (تخضها) جسدك ريان وجسـدي جذع شجرة مقطوعة الجذور.. يجول فيها الدود.. لا الـــوم.. النـاس اذ كانوا.. وما زالوا ينفرون مني..

العجوز: لا احد ينفر منك يا حبيبتي.. لا احد..

العانس: بل ينفرون.. ومع احساسي بنفورهم.. شرعت اقابلـــهم بنفـور اشـد.. معتقدة باني اتصرف وفق ما تفرضه على كرامتي كأنسان. ولـــم ادر الا مؤخرا. باني اتصرف وفق ما يفرضه علي مركب نقص رهيب. كامن في داخلي.. تزيده الايام والسنين تعقيدا وفظاعة اقفلت علي عواطفي. دفنـت احاسيس. حتى غدوت عجوزا شمطاء. تثير القرف قبلما ابلـغ الثلاثيـن (ثم فجاة.. بنبرة غريبة) ولكن الاوان لم يفت يجب ان لا ادعـه يفـوت. مهما كان الثمن (بحشرجة) انه.. ما زال.. هنا..

العجوز: هـــ.. هـــ.. هذا.. هنا اين؟

العانس: اريده. من حق نفسي وعواطفي علي. ان لا ادع الدود يـأكلني ان لا ادع الظمأ يخنقني. ان ارتوي.. قبلما تقضي علي مرارة الخيبة والفشل.

العجوز: (بدهشة) ولكن لماذا. لماذا هو بالذات ولا سيما بعدما..

العانس: لن تواتيني الجرأة ما حييت، ان اتعرى امام غيره.

العجوز: او.. تعريت (العانس تومي ايجابا) ولم تثيري أي احساس عنده؟

العانس: بلى (العجوز تترقب. بعد صمت) الاشمئزاز (العجوز تطلق اهة: اد) في البداية. كنت اهدف إلى الايقاع به. هذا الكائن الذي لا سبيل إلى اقتناصه، متحدية المدير الذي لاينى يتهمني بالفشل في كل شيء. ولكن خجله المفرط. والحوار المكشوف. وطول تحديقي به. كل ذلك اثار كوامن نفسي. التي حسبت ان الجفاف قد وادها. ان جفافا عمرد خمسة واربعون عاما، كفيل بخنق الصبير.. ولكن ما اخفيه يبدو اقوى من الصبير.. (هائجة) هل سمعت بما هو اقوى من الصبير في مقاومة العطش والجوع.. والجفاف. (بحشرجة) كنت الهث وراء الامل الواهي الذي لاحت لي تباشيره في افق بعيد.. اجهد للامساك به.. كمن تحاول الامساك بشعاع الشمس في منتصف الليل.. اه.. لا شك اني كنت في غاية البشاعة. (متفجرة) هل جربت ذات يوم ان تنقطع بك اللذة وانت في منتصفها، معلقة من كل شعرة من شعراتك بين الموت والحياة..

العجوز: اعانك الله.. على طول معاناتك.. وشدة عذاباتك.

العانس: حان الوقت لوضع حد لها (تدخل الغرفة. بعد هنيهة) أين انت يا حبيبي.. ماذا حل بك؟ أين اختبات تعال الي.. تعال..

العجوز: (تلتصق بباب الغرفة الموارب.. تبتهل) يا رب اعنها.. انها لا تحتمل خيبة اخرى (طرق شديد على الباب الخارجي. تسرع بفتحه. يدخل المدير في حالة مزرية. ممزق الملابس. مدمى. بلا قناع. اصلع.. بشع) اه.. سيدي.. سيدي المدير.. ما الذي جرى..؟

المدير: (يغلق الباب وراءه بالمتراس) انتهينا قضي علينا.. انتهى كل شيء.

العجوز: كيف.. كيف؟ ماذا حدث؟ ماذا جرى؟.

المدير: (يبحث عن الشراب. يشرب) في التشييع جرى كل شيء على ما يرام.

كنت في المقدمة. محاطا بتقدير ذوي الموتى واحترامهم. وفجأة (يشرب ثانية) اقتحم الجمع شاب دون الثلاثين. وصرخ بهم اتعرفون من الذي هدم مبنى الروضة على رؤوس اطفالنا وابادهم جميعا.. انه نفس الشخص الذي يحرق كتبنا ومخطوطاتنا. انه.. هنا.. بيننا. وهجم علي كالنمر. مزق قناعي.. فهاج الجميع وراحوا يضربونني.. يركلونني. اسقطوني ارضا وداسوا علي بالاقدام (يشرب) اطلقت بضع طلقات.. اصاب بعضهم.. وتراجع الاخرون.. (يشرب).

العانس: (خارجة من الغرفة كالممسوسة) راح.. طار.. ليس له اثر..

المدير: (مفاجا بوجودها) انت هنا يا داعرة (يفرغ فيها مسدسه).

العجوز: ويحك ايها الشقي ماذا فعلت (تحتضنها.. وهي تتخبط بالدم)

المدير: هي التي دفعتني اليهم.. هي التي اجبرتني على..

العجوز: (تنحني فوقها) لم تكن تدري بالذي سيحدث. كانت تامل ان يخلو لها الجو بضع ساعات.. بضع ساعات حسب (ضرب على الباب)

المدير: (بهلع شديد) هم.. هم (يدفع بالكراسي خلف الباب) تحركي.. قومي. انهم يهدمون الحائط فوق رؤوسنا (العجوز تبقى ساكنة.. محتضنة العانس.. بلا حراك) اه.. الحائط.. ينهار.. اه.. لا.. لا.. (يركض هنا.. وهناك باحثا عن منفذ.. يسقط منهارا يدخل مجموعة شباب يبدون له من خلال عينيه الجاحظتين.. شبيهين.. بالمواطن).

قُربَ العَرش.. فَوقَ النـعـش (*)

(*) نشرت في مجلة "عشتار العدد: ٨- شتاء- ربيع ١٩٩٦ بعنوان "اردية الموت"

الشخصيات

- الشخص
- الشيخ
- الاول
- الثاني

بربك لنجلس على الارض

فنروي الاقاصيص الحزينة عن موت الملوك:

كيف ان منهم من عزل ومنهم من في الحرب قتل،

منهم من لازمته اشباح الذين عزلهم،

ومنهم من مات مسموما من زوجته، او قتل وهو نائم:

فكلهم غيلة لاقوا حتفهم.

شكسبير

[ظلام يخيم على المسرح، موسيقى تشبه هزيز الرياح، تتخللـــها اصـــوات العواصف وهزيم الرعود، يشق الظلام، بين آونة واخرى سنا برق يلتمع، فينــــير المكان، ويتوضح الشكل القائم على المسرح. انه بناء غريب. يكتنفه الغمـــــوض. مقام من صخور ضخمة. ذات نتوءات بارزة، مركبة فوق بعضها البعض. بصورة عشوائية بلا تناسق ولا انسجام، توحي بالبدائية والوحشية، واجهتـــــه الاماميـــة قضبان حديد جبارة. متينة وغليظة. كانها مواسير مياه.

خلال التماعات البرق، وقبلما يعود الظلام إلـــى الالتئـــام، يكـــون بوســـع المشاهد ان يرى شخصا ملقى فوق الارض، بلا حراك نائما، او في غيبوبة، وهو في ملابس خاصة للصيد. تتسم بالبذخ، بشكل ملفت للنظر.

تمر فترة مناسبة، تستمر خلالها اصوات الرعود والعواصـــف والتماعـــات البرق.. كما تستمر طوال زمن العرض. تخفت او تنقطع فـــي اوقـــات يختارهـــا المخرج.

الشخص يتململ، صدره يعلو ويهبط. أنفاسه تتلاحق بثقل. وهـــــو يتنفـــس بصعوبة بالغة. تصدر عنه أصوات من يوشك ان يختنق بعد وقت قصير. تتوقـــف الموسيقى تتلاشى الأصوات، يضاء المسرح. يتغير المشهد. ((الرجل يحلم، وقـــت الغسق عراء، ظلام شفيف يوشح، المكان. بضعة فرسان، بملابس صيد باذخـــة. يلوحون برماح طويلة. وهم يطاردون. ثم يحاصرون غزالاً وقبل الامســـاك بــــه، يفلت منهم، يختفي في يسار المسرح. يهرعون خلفه بلا جدوى. يدخل المســـرح فارسان من المجموعة نفسها من جهة اليمين. يحاول الفـــارس الثـــاني اللحـــاق بالاول فيضع رمحه بين ساقيه يجثم الثاني فوقه بكل ثقله، لكن الاول يدفعه عنـــه

ويهرب. يسقطه مرة اخرى. يبرك فوق صدره يدس في حلقه حفنات من الرمـــل. فيصرخ مستنجدا ومستغيثا باصوات مختنقة اشبه بحشرجات شـــخص يحتضـر يحاول النهوض لا يستطيع. يغوص في الرمال. الثاني يهيل فوقـــه المزيـد مـن الرمال وهو يضحك بهستيريا غريبة)) ثم يتبدل المشهد تعود.. اصوات العواصف والرعود، الشخص في مكانه، افاق من حلمه الكابوسي انفاسه تتلاحـــق. صوتـــه يختنق. يرفس يتقلب بضع مرات.. يتدحرج.. الخ..]

الشخص: النجد.. د.. العو.. ن.. الغو.. ث.. آآ، أ. نا. اختنق.. آآ.. أمــوت.. آه لا. لا. (ينتفض. تتوضح نبرات صوته. الظلام ما يزال مخيمـــا.. يبـدو خلاله كشبح.. يتحرك هنا.. وهناك. على غير هدى ولا دراية) اه.. أين انا؟ (يتوجع) اخ.. اخ.. ماذا جرى لي؟ كأن قافلة من البغال داســـتني. اخ. اخ. كل أعضاء جسمي تئن. تتوجع. (يرتجف من البرد. يقفز إلـــى الوراء.. كلما لمع برق. يسد اذنيه اذ ترعد السماء) أي مكان هذا.. يـــا ربي؟ ماذا يكون؟ حصن؟ قلعة؟ اصطبل؟ (يتقدم إلى المقدمة. مســـتندا على الحائط). هيه! من هنا؟ من هناك هيه انت! انت. يامن هنـــاك (لا جواب) انت يا هذا.. يا من في الجوار؟ يا مـــن فـــي أي مكـــان. هـــل تسمعني؟ اجبني. اجبني حسب اجبني.. ارجوك.. ارجو.. ك! ما هذا؟ لا جواب؟ لا احد هنا؟ لا بشر ؟ لا انس ولا جان؟ لا طير ولا حيوان؟ ماذا جرى للجميع؟ هل جرفهم الطوفان؟ (يرتجف) وهـــذا الـــبرد الوحشـــي يخترق العظام يجمد النخاع.. (يبحث هنا وهناك) اما من شـــيء اتدثـــر به! لا شيء البتة؟ (يواصل البحث متلمسا الحائط تارة، زاحفا اخـــرى) حتى لو كان ثمة شيء.. كيف كيف اجده في هذا الظـــلام، (بيـــاس) لا. لا. مستحيل (باحساس شديد بالضيق) أين انا؟ يا الهي اين انـــا؟ لا بـــد

ان يخبرني احد. لا بد ان يجيبني احد. لابد ان اعرف (يصرخ) اجبني يا هذا.. ايا كنت.اجبني اينما كنت.. اجبني.. حسب. ولتاخذك الابالسة.(يضرب راسه بالحائط) أ أنا نائم .ارزخ تحت كابوس؟ ام.. ام يسحقني واقع ابشع من كل الكوابيس؟ انى لي ان اعرف.. انى لي.. يا الهي (يواصل يتلمس الحائط، يبلغ القضبان. يرتد) ما هذه الانابيب المنتصبة هنا .مواسير مياه.؟(يتحسسها) انها قضبان .قضبان حديد(يدق عليها. فيعلو رنين الحديد) قضبان بهذه الضخامة ؟لماذا ؟ ما الحاجة اليها؟ ما حقيقة هذا المكان ؟ معتقل؟محجر ؟ من رماني هنا؟ه-ه.. أأنا موبوء..؟ هل اصابني الطاعون ؟ الجرب؟الايدز..؟ لا.. لا.انا احلم. انا فريسة كابوس شيطاني.. طويل لا بداية له ولا نهاية .اجل.. اجل .لا بد ان يكون الامر قد اختلط علي.. ولم اعد اعي شيئا.. ولكن.. متى افيق. متى اصحو؟و.. و.. اذا لم يكن كابوسا (برعب) يا الهي؟ لماذا انا هنا؟ ماذا فعلت؟ ماذا قلت؟ انا.. انا لم اسيء الى احد. لم اسبب أي اذى لمخلوق؟ ثمة خطا. بالتاكيد. ثمة خطأ كبير بالقائي في هذا المكان الغريب..؟ آه.. من هذا البرد الصقيع انه يجمد الدماء في عروقي (يحرك اعضاء طلبا للدفء) احسب ان ثمة اناسا مختبئين في مكان ما. يتفرجون علي .يسخرون مني (يركل القضبان) يضحكون علي.. فخورين بلعبتهم القذرة هذه .لا يمكن ان اكون وحدي في هذه المتاهة. (يحتد) يجب ان اضع حدا لهذه المهزلة.. الفاجعة. لا يمكن ان ادعها تستمر الى ما لا نهاية (يضرب القضبان، بقوة، بيديه برجليه. يحدث جلبة وضوضاء) هيا.. هيا ليأت احدكم.. ليظهر.. احدكم.هيا هيا (يقبل شيخ، محدودب الظهر، مترنحا، وهو يفرك عينيه، كمن اخرج من نوم لذيذ عنوة، وهو متدثر بمعطف ثقيل .اكبر من حجمه.في

غاية الانزعاج..)

الشيخ: اية ليلة هذه!.لا يجد فيها حتى الكلب سبيلا الى الراحة (يسعل) بالف تعويذة وتعويذة اقتنصت هنيهة نوم ادفيء عظمي الفارغ المرتعد،واريح هيكلي المتداعي. ثم يأتيني شخص غريب الاطوار، ليخرجني من دفء الفراش ويزرعني بالارق، في هذا البرد القارس اية حياة هذه.. تعسا لعمر ينطفيء في حال مثل حالي..

الشخص: (برقة وتهذيب عاليين) أ أ.. أنا.. اسف.. في.. في.. غاية الاسف..

الشيخ: (بحدة) وماذا يجديني اسفك هذا ؟ ان اطنانا منه لا تدفيء لي اصبعا واحدا من اصابعي العشرين. ولكني لن اتعذب في هذا البرد الشاذ وحدي. وان كان لابد ان اتعذب واموت .فلا بد ان تتعذب وتموت معي انت الاخر..

الشخص: (بصوت مرتجف) أ أ أتعذب.. و.. وأ.. اموت؟

الشيخ: ذلك اخف عقاب يمكن ان تناله جراء تهورك وفعلك الطائش. تمزيق سكون الليل وهدوئه. ماذا بك. هل انت مجنون؟

الشخص: م.. م.. مجنون؟ انا.. مجنون..

الشيخ: (يدل) تالله لاصلبنك معي في هذا البرد. هه (يجلس بعناد امام القضبان) لن اغادر هذا المكان حتى تغادر روح احدنا جسده.هه او.. او.. تعيدني الى النوم الذي سلبته.. مني..

الشخص: كيف؟ ماذا بوسعي ان افعل لكي..

الشيخ: أي شيء.. أي شيء! عليك ان تسليني حتى الصباح.. هيا.. هيا قبلما اغضب.. وافقد عقلي.. (يخرج كيس تبغ.. يلف سيجارة) هيا.. سليني..

الشخص: بماذا اسليك يا هذا؟ بماذا..؟ ارقص مثلا..؟

الشيخ: الرقص ينفعك وحدك. يجلب لك الدفء ويرهقك.. فتنام..

الشخص: اذن.. ؟

الشيخ: تكلم.. تحدث..

الشخص: عن.. عن.. أي شيء.. ؟

الشيخ: أي شيء .أي شيء.الموضوع غير مهم .ثرثر حسب.

الشخص: (بامتعاض) أثرثر.. ؟

الشيخ: ثرثر.الغِ. أهذِ. ارو حكايات اصنع اكاذيب .اسرد خرافات. الَف. احك. احك حسب.ها اراك ابتلعت لسانك الذرب قبل هنيهة ايقظت رمال الصحراء وامواتها بصرخاتك. فماذا جرى لك الان ؟

الشخص: انت.. اسمع.. يا هذا..

الشيخ: (ما يزال منهمكا في لف سيجارته)اسمع طبعا اسمع .وماذا طلبت غير ان اسمع جهاز السمع اقوى اجهزة جسمي المعطلة ولعله الوحيد الذي لم يصبه.العطب بعد. فعيناي كليلتان .لا اكاد ابصر ارنبة انفي اسناني تساقطت جميعا. ساقاي ينخر فيهما الروماتيزم.اما البقية فيكفي ان تعرف اني لم اعاشر امرأة منذ ثلاثين عاما. هيا.. هيا.. تكلم. فقد جئت لاسمع لا لكي اثرثر. ولكي اجلب لعيني النوم.. لا لكي اجعلك تنام .هيا.هيا لماذا خرست؟ هل نمت؟ نمت بعدما ايقظتني ؟ أ أ اقوم اجلب السوط واجعلك تنهق كالحمار في

الشخص: (بغضب) تأدب ياهذا.. اتعرف من انا..؟

الشيخ: (يقهقه) ومن تكون؟ الملك؟ الامير؟ من حاشية الملك؟ من خدم الامير

الشخص: بل.. انا..

الشيخ: كن من تكون .فانا غير معني بشخصك قلامة ظفر. وكل ما يهمني فيك هو حديثك.هل هو جذاب يجلب لي النوم الذي نحرته في عيني ام انه

ممل وسخيف.. لا يجذب ولا يشد.

الشخص: ما زلت تتمادى في سوء الادب

الشيخ: وماذا تتوقع من رجل هرم قتلت النوم في عينه واحلته قذى واملاحاً ستطفيء البقية الباقية من النور فيها؟ هه؟ماذا تتوقع؟

الشخص: يا الهي كيف السبيل الى مصالحتك؟

الشيخ: ان تعيد الي النوم.. ولا اقبل عنه بديلا..

الشخص: لو.. لو.. تلقي علي نظرة.. لو..

الشيخ: نظرة؟ في هذا الحندس وبعيني المنطفئتين؟ انت حقا بطران

الشخص: لكي.. لكي.. تعرف.. من انا..

الشيخ: وما قيمة ذلك.؟

الشخص: على العكس ذلك كفيل بتغيير الموقف كله.

الشيخ: ياه.. أنت تعطي لنفسك أهمية استثنائية حقا..

الشخص: انا.. انا كذلك فعلا.

الشيخ: مستحيل(ثم) ومع هذا تعال.. تعال. اقترب من فتحات القضبان دعني أتلمس وجهك. انا لا افتح عيني الا بعدما تعيد أليهما النوم الذي سرقته.. يا.. يا لص.

الشخص: (بغضب) كف عن بذاءاتك يا هذا. وخاطب الناس بما يليق بمقاماتهم.

الشيخ: مهلا.. مهلا.. ما هذا؟ ما الذي يجري. ما هذه المفارقة العجيبة..؟ بائس بلا حول ولا قوة. ملقى كنفاية بشرية. تحت رحمتك.. و.. و.. يجرؤ على شتمك وتوجيه الاوامر اليك، كما لو كنت عبدا من عبيده او خصيّا.. في قصر حريمه. ومحظياته. من انت.. يا هذا.. من انت؟

الشخص: انظر الي.. واعرف بنفسك.

الشيخ: (يخاطب نفسه) من هو؟ ترى من يكون يا سلطان يا بن عبد الملك ايكون

احدهم؟ وحتى لو كان احدهم. فانه بعدما رموه هنا مذلا مهانا لم يعد احدهم فلماذا الخشية منه؟ بل.. بل لماذا هذه الوقاحة منه؟ من اين يستمد هذه القوة في مخاطبتك؟ لا بد ان في الامر إن.

الشخص: (يرتجف من البرد) هيا.. هيا.. تطلع الى.. انظر الى..

الشيخ: يا الهي!! انه ما يزال يأمر.

الشخص: هيا.. هيا؟.. والا ندمت طيلة حياتك؟

الشيخ: بل بل يتهدد ويتوعد. تنازل يا سلطان وتصدق بنظرة على هذا الدعي الذي يرغي يزيد ويعجعج كأرملة عجوز تطحن الريح..

الشخص: واخيرا..

الشيخ: (يضع سيجارته بين شفتيه دون ان يشعلها ينهض) تعال. اقترب اقترب. اقترب اكثر (يتلمس وجهه من خلال فتحات القضبان) وجه كوجه أي مخلوق سوى انه ناعم وترف بالرغم من ان البرد يكاد يغطيه بقناع من الصقيع.. اتحسس فيه اثار النعمة والتغذية الجيدة.

الشخص: آمل ان تكون قد عرفت من انا.

الشيخ: انت.. انت.. شاب دون الثلاثين.. يكاد البرد يمتص ليونتك وطراوتك.

الشخص: (يرتعد تصطك اسنانه) المهم.. هل تعرفت علي؟

الشيخ: في هذا الظلام لا استطيع التعرف على اصابعي. لحظة.. معي علبة ثقاب.

الشخص: اشعل عودا قبل ان يجمد وجهي على هذه القضبان الصقيعية اللعينة.

الشيخ: الان.. الان. في النور تعيش الحقيقة وتعلن نفسها. في الظلام. تعشعش الاكاذيب وتدفن رأسها (يبحث عن علبة الثقاب في جيوبه) اما كان الافضل لك ان تظل معشعشا في الظلام.. دافنا رأسك.

الشخص: ستعرف ذلك بنفسك .واذ تعرف ارجو ان تكون رجلا ولا تبول على ملابسك

الشيخ: (بلا غضب).. نتحدث بلغة الملوك. ممن استعرت. او سرقت هذه اللغة؟
الشخص: (بقوة) هي، لغتي، وانا ملك.
الشيخ: ملك؟ ها ها ها ملك وملفوظ هنا كآبة نواة؟ (يشعل عودا .ولكــن تطفئــه الريح) الريح متواطئة معك.. تتستر على حقيقتك..
الشخص: لا ترتجف. اشعل عودا آخر .تر الحقيقة تعلن نفسها ،في النور..
الشيخ: تتكلم بثقة غريبة .ياهذا..؟ (تسقط العلبة من يده) كل الدنيا تتكاتف معك.. ها قد سقطت العلبة .كيف اعثر عليها في هــذه العتمــة؟ ارجــو ان لا تكون الرياح قد قذفتها بعيدا
الشخص: ابحث عنها بلا خوف.. تجدها.. قد تكون بين قدميك.
الشيخ: صدقت. وجدتها (يشعل عودا .يغطيه بكفيه .يقربه من وجــه الشــخص) مستحيل .لا يمكن (يرتجف. يسقط العود وينطفيء)
الشخص: قلت لك .لا تخف ولا ترتجف..
الشيخ: (يشعل اخر بارتباك شديد) س.. سيدي.. الا.. الامير..؟
الشخص: قلها بصوت شجاع.. لا بصوت مرتعد.. سيدك الامير..
الشيخ: لا.. لا لايمكن.. أ انها خدعة انها.. (ينطفيء عود الثقاب)
الشخص: تقدم مني ثابت الجنان وامعن النظر في وجهي .لابد ان تكون قد رأيتني في مناسبة ما.. او طالعت صورتي في مكان.. ما..
الشيخ: احلم.. لاشك.. اني احلم.. (يشعل عودا اخر) و.. ولكنه هــو.. اقصــد.. اقصد.. انت هو.. هل يمكن؟ هل اصدق..؟
الشخص: هل عرفتني الان؟
الشيخ: ا.. ا.. ا.. اجل يا سيدي.. اجل.
الشخص: لست كاذبا.. ولا مدعيا.. ولا..
الشيخ: (بخوف) اشهد ان لا . ياسيدي.

الشخص: (باحساس بالانتصار) وهل تاكدت بنفسك.. اني امير البلاد.

الشيخ: كل التاكيد.. يا مولاي.. كل التاكيد.

الشخص: (مهاجما) واذن..

الشيخ: (مترددا) و.. واذن ماذا؟

الشخص: اما تخشى عقابي وانتقامي.. ؟

الشيخ: مـــ.. مـــ.. ممن.. يا سيدي.

الشخص: منك.. ومن كل من سبب لي هذه المسخرة

الشيخ: لا يد لي فيما.. جرى لك.

الشخص: حقا؟ لماذا اذن ترتعد فرائصك..

الشيخ: (مستردا تماسكه) انت واهم يا سيدي (يشعل سيجارته)

الشخص: بل انت..

الشيخ: لم ابل على ملابسي.. ان كان هذا قصدك.. انها ما تزال يابسة.

الشخص: (ساخرا) من يدري..

الشيخ: (باستهانة) اتريد ان تتاكد بنفسك.. ان تتحسسها بيدك.؟

الشخص: شجاع.. انت رجل شجاع.. اعترف بذلك.

الشيخ: قد لا اكون كذلك. ولكن لا احد يحسب حسابا لاسد مقلوع المخالب والانياب. ملقى به خلف القضبان .ناهيك عن امير مخلوع. مقلوع الاظافر والقواطع .منزوع الجاه والسلطان.. و.. داعا..

الشخص: (باستهزاء) اما تريد ان اعيد لك النوم الذي سرقته من عينيك؟ هل تنازلت عنه..؟

الشيخ: لو اعاد الملوك، بعض ما سرقوا ويسرقون، لما ظلوا ملوكا..

الشخص: كم سليط هو لسانك.!

الشيخ: مادام في مأمن.. فهو حر ان يكون كيفما يشاء.

الشخص: ليس طويلا.. سيقطع ذات يوم.
الشيخ: (يضحك) ان فكين خاليين من الاسنان لا يقطعان شيئا.
الشخص: لو لم اكن في هذا الحال.. لكافأتك على جرأتك.
الشيخ: (يقهقه باستخفاف) لو لم تكن بهذه الحال.. لما قلت ما تقول.
الشخص: سيء النوايا.. انت رجل.. سيء النوايا.
الشيخ: كثيرا ما تكون الطيبة والنوايا الحسنة.. ضربا من الغباء.
الشخص: وحكيم ايضا.. شيخ حكيم.
الشيخ: لن يخدعني.. اطراؤك.
الشخص: لا اروم خداعك قط صدقني. فانت بكلك.. هكذا نغمة جديدة على اذني. تشدني اليك بقوة. لانها مختلفة تماما عما اعتدت سماعها من نغمات متشابهة حد التطابق.
الشيخ: مادام القدر قد ساقك هنا .فستسمع وترى ايضا امورا كثيرة تختلف عما كنت ترى وتسمع هناك. (يتحرك مغادرا .ينفث دخان سيجارته)
الشخص: أ.. أ.. ايمكن ان اتوجه اليك برجاء .؟
الشيخ: (توقف) رجاء؟ الي؟ قبل هنيهة كنت تهدد وتتوعد بافتراسي وقطع لساني.. سبحان مغير الاحوال.. ما اغرب طبائع الملوك (له) تفضل
الشخص: أ.. أ.. أتتكرم على بغطاء.. يقيني شر هذا البرد..
الشيخ: (مبتعدا) سابحث لك.. عما يدثرك.. (يختفي)
الشخص: (باحساس بالتفوق) ذلك هو الطريق اليه، الكلام الطيب. المعسول وحتى الرجاء والتوسل.. لعلي.. اقنعه باخراجي من هذا الجحيم (يهرول في مكانه طلبا للدفء) الجليدي.. لا بد من كسب وده.. باي ثمن.. انه.. انه وبالرغم من كل بذاءته.. رجل طيب. سرعان ما أستجاب لي.. وراح.. يأتيني بما يدثرني.. ربما مخالفا حتى تعليمات

رؤوسانه والتزاماته.. والطيبة كما يقول هو نفسه ضرب من الســذاجة والغفلة.. (يتوقف) لو.. لو.. اتمكن من جذبه قريبا من القضبــان فــي متناول يدي.. ثم.. ثم.. الف ذراعي حول عنقه .ادق له عنقـــه.. انــه عجوز طاعن في السن.. رخو العظام جوفاؤها، يكفي ان.. اضغط علــى رقبته فافصل راسه عن جسمه، واخطف منه المفتاح.. و.. (يتوقف) لا بد من خروجي من هنا.. باي ثمن.. بـــاي طريقــة.. كــل الطــرق.. مشروعة.. مادامت تحقق لي هدفي.. و.. ولكن.. يا ترى.. هل اتمكــن منه..؟ انه بالرغم من كبر سنه. يبدو صعبا، وليس التغلــب عليــه ولا خداعه.. بالامر.. السهل.. الميسور. اه كيف ؟ على ان احاول احــاول واجرب.. (وقع اقدام الشيخ مقتربا. يظهر حــاملا بطانيــة. وفانوســا زيتيا)

الشيخ: يحسبنا البعض بعضا من هذه الاحجار مشاعرنا متحجــرة. احاسيســنا متحجرة.. قلوبنا متحجرة، ارواحنا متحجرة بيد إنا لسنا كذلك. او علــى الاقل لسنا كذلك.. دائما.. وعلى طول الخط. كما يقال.. (يضحك دونمــا سبب واضح.. يشرب من زجاجة صغيرة يخفيها بين طيات معطفه) خــذ ياسيدي خذ.

الشخص: (يسحبها من بين فتحات القضبان. ثم يتفحصها.. يقلبها) اه.. كـــم انــا ممتن لك ايها الشيخ الطيب الجليل.. ليباركك الرب

الشيخ: نظيفة يا سيدي .بالية وممزقة لكنها نظيفـــة. لا قمــل بيــن طياتـــها ولا برغوث.

الشخص: قمل.. برغوث.. لا شك انك تمزح.. ان هذه المخلوقات.. قد انقرضت.

الشيخ: لا كائن حيا ينقرض .كل ما هناك انه يتخذ اشكالا اخرى. حسب. ويحيـــا تحت جلود واسماء.. جديدة..

الشخص: (يلتف بالبطانية) الان بوسعي ان اسامرك حتى الصباح، لو.. لو تقترب منـي

الشيخ: اقترب؟ الي أي مدى؟ بالرغم من تلهف بعض الناس لمجالسة الملوك، جنبا الى جنب، بلا فواصل ولا حواجز، فاني افضل ان اترك بيني وبينهم مسافة!..

الشخص: او تخشاهم الى هذا الحد؟

الشيخ: بعضهم لا يخلو من الطيبة .ولكن اكثرهم نيران تحرق من يقترب منهم.

الشخص: اه.

الشيخ: لا تأس ولا تأسف. فانا اسمعك واراك وانت تسمعني وتراني وقد حدست ان ليلتنا ستطول. فوضعت اناء الشاي فوق النار..

الشخص: انت طيب.. وكم بودي ان.. ان.. اصافحك.. وحتى اقبلك، شاكرا..

الشيخ: تقبلني.. ؟ (يضحك)

الشخص: اعانقك على الاقل.. بدونك كانت ليلتي ستصبح ليلة في جهنم وقد.. ارسلك الله، ملاكا تؤنس لي وحشتي.. وتبدد وحدتي..

الشيخ: لم افعل ما يستوجب كل هذا.

الشخص: بل.. فعلت. فعلت ما يعجز لساني عن التعبير، ويحدوني امل اقوي انك تفعل الاكثر.

الشيخ: الاكثر (يضحك) كأن اخرجك من هنا..

الشخص: (مصعوقا) ها.؟ كيف..كـ.. كـ..

الشيخ: لا تندهش.. لست قارىء افكار.. ولا كاشف نوايا.. كل من يحل هنا. يحلم.. او يامل..

الشخص: (يطلق اهة) اه..

الشيخ: الم تكن.. تحلم. او.. تأمل.. ان..

الشخص: ذلك ما الهمني الله سبحانه وتعالى. بيقين وضعه في صدري، بان حياة جديدة ستكتب لي على يديك . وتكتب لك على يدي.

الشيخ: (قهقهة) لعلك تحسبني رجلا خرفا. اضاعت السنون عقله. وبات طفلا. طائشا تخدعه بضع كلمات منمقة.. وبضعة وعود كاذبة..

الشخص: بل.. بل.. انت مبعوث العناية الالهية. وانك بعدما عرفتني ستقدم خدمة لبلادك، تخلدك الى الابد. وتكتب اسمك بحروف من نور.

الشيخ: الابد؟ الابد على مسافة خطوات وربما اشبار مني، قاب قوسين او ادنى.. وليته يحل الان وبلا خلود. ولا حروف من نور .او طين

الشخص: (ييأس) يعني؟

الشيخ: يعني ان خيالك قد جمح بك بعيدا .بعيدا جدا، اكثر مما ينبغي.

الشخص: تعسا لي.. ولخيالي.

الشيخ: خيال اليائس جموح دائما. مرة اوشكت على الغرق تعلقت، وانا في بؤس ويأس شديدين بقشة ،اشد بؤسا مني. ويأسا. متخيلا انها ستتحول، بقدرة قادر الى مركبة انقاذ عملاقة او حتى طائرة خرافية، تقلع من وسط المياه وتنقذني.

الشخص: وقد.. انقذتك فعلا.

الشيخ: انقذتني؟

الشخص: طبعا بدليل انك ما تزال على قيد الحياة..

الشيخ: لقد افقت من نومي.. كنت احلم يا سيدي.

الشخص: اتريد ان تقول اني، انا الاخر، احلم؟

الشيخ: اقوى الناس هم اولئك الذين لا يفقدون القدرة على الحلم، مهما ساءت حياتهم واحاطت بهم الظلمات.

الشخص: وما جدوى الحلم حين يعجز ان يستحيل واقعا.. او حتى يقترب من

الواقع.

الشيخ: جدواه.. انه.. انه يخلق واقعا بديلا ولو قصير العمر..

الشخص: توهمت.. انك لن ترد لي طلبا.. ولا تقول لا.

الشيخ: قد قلت لك يا سيدي خيال اليائس طائر.. بملايين الاجنحة..

الشخص: اذن.. فانت حقا تقول لا.

الشيخ: ذلك ما ينبغي ان اقوله.

الشخص: وحتى بعدما عرفت من انا.. حق المعرفة..

الشيخ: ولا سيما بعدما عرفت من انت. حق المعرفة.

الشخص: (بحدة) ويحك. اويجرؤ احد ان يقول لامير البلاد وولي عهدها.. لا.

الشيخ: (بهدوء) يجرؤ. مادام قد قال لمن هو اعلى من امير البلاد وولي عــــهدها نعم. من يقل للاعلى نعم.. لا بد ان يقول للادنى لا.

الشخص: الاعلى، الادنى، ماهذا الكلام؟ من الاعلى مني هنا

الشيخ: هنا..؟ لا احد.. ولكنه هناك.. (يشير بعيدا).

الشخص: (بنزق) من؟ من هو..

الشيخ: (بهدوء) مولاي.. صاحب الجلالة الملك.. المعظم..

الشخص: الملك؟ شقيقي؟

الشيخ: معاليك هنا.. بامر من عظمته.. شخصيا.

الشخص: مــ.. مــ.. متى جاءك المفدى.

الشيخ: بعد منتصف الليل بقليل.. اقصد انه.. ان عظمته..

الشخص: (بحدة) تكذب.

الشيخ: سامحك الله..

الشخص: الملك لا يغادر قصره. بعدما تغيب الشمس مهما كانت الاسباب..

الشيخ: صدقت ، سيدي، فهو لم ياتني بشخصه المعظم. انما جــاءني امــر مــن

شخصه المعظم.

الشخص: و.. وماذا في الامر.. و.. و.. ماذا يقول

الشيخ: انه مقتضب جدا .شحيح جدا. مثل عطايا الملوك لمن لا يسودون (نبرة مغايرة) يمكث هذا الشخص، عندك بامر مني.

الشخص: ف.. فقط؟

الشيخ: بلا اية تفاصيل او شروح، شأن الهام والخاص جدا.. من اوامره دائما.

الشخص: (يردد) الشخص.. الشخص حسب.. بلا لقب بلا احترام؟ بلا ادنى تقدير؟

الشيخ: تلك هي التسمية التي يطلقونها على من ياتون به هنا. فهم، هناك، بعدما يجردون الانسان من مسؤولياته ومناصبه، ينزعون عنه القابه.. وصفاته الاخرى.

الشخص: و.. ويسمونه الشخص.. مجرد شخص (منتفضاً) اتقصد.. انهم.. قد..

الشيخ: عفوك سيدي. ليس من حقي ان اقصد أي شيء.

الشخص: (يحاول اقناع نفسه) انها لعبة.. لعبة سمجة.. منهم.. هناك..

الشيخ: هه.. عسى.. ولعل..

الشخص: بل هي كذلك.. اسمع ياهذا. انت في حلٍ من الامر كله.

الشيخ: (بسخرية) ومن يحلّني من تبعات الامر بعضه.

الشخص: (بحماس) انا.. انا.. احلك من مسؤولياته كلها.. ومن تبعاته برمتها..

الشيخ: (متهكما) وهب الامير مالايملك.

الشخص: هيا.. هيا.. اخرجني.. وانا اجزل لك العطاء. بشكل لا تحلم به.

الشيخ: لا احسب الزمن سيعفني لنيل شيء منه..

الشخص: ها؟

الشيخ: ينقض على عقاب الملك، كما ينقض الصقر على عصفور مكسور الجناح.

الشخص: اقول.. انه يمزح.. الملك يمزح..

الشيخ: عملت في خدمة ملوك كثيرين. لم يحدث ان مزح واحد منهم.. معي.

الشخص: (بحدة) انه يمزح معي. معي انا. ماشأنك انت؟ هل تطالب الملك ان يمزح مع الرعاع؟.. من انت؟ من تكون حتى نطالب الملك بالمزاح معك

الشيخ: يا سبحان الله.. يامغير الاحوال.. قبل هنيهة كنت ملاكا هابطا من السماء.. ومبعوثا من العناية الالهية.. والان.. من اكون؟ من انا.. واحد من الرعاع.. حسب.. (بلا انفعال) طبائع الملوك. حقا طبائع الملوك.

الشخص: (بشيء من الارتباك) أ.. أ.. أنا..

الشيخ: انت ملك ياسيدي.. ومن نسل الملوك.. معذور.. ومغفور لك دائما..

الشخص: كلامك ينطوي على شكوك. لما اقول. بل. وتكذيب صارخ.. وانا لا اطيق احدا.. يشك في اقوالي أو.. أو و.. يكذبني.. اوحتى يخطئني

الشيخ: اطمئن يا سيدي، فلا أحد بعد الليلة.. وربما بعد اللحظة، يكذبك او يخطئك..

الشخص: ماذا تقصد؟

الشيخ: لاشيء سيدي.. لاشيء (يهم بالمغادرة)

الشخص: بل تقصد. وتقصد شيئا خطيراً.. جدا.. لقد بدأت افهم لغتك.

الشيخ: لغة الرعاع لا يفهما الملوك.

الشخص: أنت تقصد. ان هذه الليلة هي الأخيرة من حياتي، ولن يتاح لي بعدها اللقاء بأحد.. ليكذبني أو يخطئني..

الشيخ: ما أحسبك الآن ،الا تتمنى من كل قلبك ان تكون مخطئا ، ان تكون قادرا على تكذيب نفسك، في استنتاجك.. وفهم قصدي.

الشخص: ولكن ذلك ما تقصد.. ما تقصد بالضبط. اليس ذلك ما تقوله

الشيخ: لك ان تفهم من كلامي ما تشاء ولكن ليس لك ان تفترض على لساني ما تشاء

الشخص: (يرى الشيخ يذهب).. لو.. لو.. تسمح لي.. بلحظة.. لحظة واحدة (الشيخ لا يستمع اليه، ولا يتوقف) لقد.. وعدتني بالشاي. انسيت.. ام لست ممن يحافظ على وعده..

الشيخ: اللعنة.. لقد نسيت.. ساتيك.. بالشاي.. سافي بوعدي (يذهب)

الشخص: لقد اسات اليه.. واخطات بحقه.. لا ينبغي لي ان انساق وراء غضبي واهدم ما انا ، بصدد بنائه.. اه. ما اغباني.. لقد قطعت شوطا جيدا في كسب مودته.. و.. وثقته ايضا.. ثم تهوري وتطرفي.. اه.. ارجو.. ان لا اكون قد.. قد.. (يقبل الشيخ حاملا عدة الشاي) ما تزال متجهم الوجه

الشيخ: تفضل سيدي. (يهم بالرجوع)

الشخص: لو. لو تسمعني لحظة.. اسمعني حسب.. انا. انا (لنفسه) اه.. لكم يشق على ذلك. ولكن لابد. لابد مما ليس منه بد.. انا.. انا.. اطلب منك العفو.. ايها الطيب.

الشيخ: (يتوقف) العفو مني؟

الشخص: لم يسبق لي لن طلبت عفوا من احد.. والان اطلبه منه.. ايها الطيب. اعذرني.. وافهم حالي.. ان وجودي هنا، في مكان لا ادري ماهو. لا اعلم أين هو.. ولسبب لا اعرف ما هو منبوذا. مرميا بأهمال. تحت رحمة البرد والوحشة، على هذا النحو القاسي، يحطم اعصابي يمسخني. يحيلني الى حيوان لا يعرف ماذا يفعل ولا ماذا يقول.. ف.. فمعذرة.. سيدي الكريم.. الف معذرة.. (يكاد يبكي).

الشيخ: كان الله في عونك.. سيدي. اعانك الله في محنتك.

الشخص: ستزول انا واثق انها ستزول.

الشيخ: ارجو ذلك.. من كل قلبي.

الشخص: مازلت لا تصدقني.. ان ذلك مؤلم حقا.

الشيخ: سيدي الكريم، لقد اعتدت منذ خمسين عاما الا اصدق سوى الملك نفسه وبامر من الملك نفسه.

الشخص: أأنت تعمل في خدمة الملك منذ خمسين عاما

الشيخ: في خدمة البلاط يا سيدي. فلا ملك ظل ملكا اكثر من بضعة اعوام.. اما البلاط.. فهو قائم منذ عشرات السنين.. الملوك يتغيرون والبلاط باق.

الشخص: شقيقي يخطط لمئات السنين.

الشيخ: ما كل ما يتمنى المرء يدركه (صمت) على اية حال، هو امن في عرينه المحصن. وما يزال في سنوات حكمه الاولى.

الشخص: من يضمن؟ (ثم) لا ضمان.. لاحد ولا امان، في هذا الزمن المجنون، المتقلب، الموار بالمفاجات.

الشيخ: (يشرب) دائما ثمة امواج اخرى تلطم الشطآن..

الشخص: الا.. قل لي ايها الشيخ الطيب.. من انت.. اعني.. اعني ما اسمك؟ ما عملك ؟

الشيخ: انا سلطان وعملي سجان.

الشخص: سلطان.. و..و.. سجان؟

الشيخ: ما الغرابة.. كل سلطان.. سجان..

الشخص: ها؟

الشيخ: سجان ومسجون في الوقت نفسه. ربما كان والدي، اذ سمّاني سلطان. يحلم ان اصبح سلطانا ذات يوم. سلطاناً حسب. ولم يدر بخلده اني

ساكون سجانا .سجانا حسب. او بالاحرى سجانا.. مسجونا بلا سلطة ولا سلطان.. ولا هم يحزنون.

الشخص: (يخاطب نفسه) اذن.. فانا في.. في السجن.

الشيخ: الم تكن تعرف؟

الشخص: حدست، حسب. لكني رحت اكذب حدسي. واخنق ظنوني وشكوكي (يعاين المكان متفحصا) لا اعرف في طول البلاد وعرضها. سجنا كهذا.

الشيخ: او يعرف مولاي.. سجون البلاد.. كل.. كلها.. ؟

الشخص: (ساهما) كلها. كلها. الظاهرة منها التي يعرفها الناس جميعا، والخفية منها، التي لا يعرفها احد. ولم يرها احد ومن شاء له سوء خظّه ان يراها شاء له سوء الحظ نفسه الا يعود منها.. ابدا..

الشيخ: (نبرة خاصة) ما عدا شخصكم الجليل.. كان الله في عونكم.

الشخص: لا تسيء فهمي يا هذا لست ربيب السجون وما شابه (بغرور) انا.. انا.. انا المسؤول عنها. وعن امن وسلامة المملكة ومواطنيها.. منذ عهد والدي المغفور له.

الشيخ: (بالنبرة نفسها) كان الله في عون المملكة ومواطنيها

الشخص: كلامك كثيرا الالتواء والمخابيء ها ؟

الشيخ: مسكينة مملكتنا.. فقد غدت مع مواطنينا.. وسلامتهم في مهب الريح..

الشخص: مؤقتا. مقامي هنا لن يطول. ان هي الا لحظات ويأتي شقيقي الملك نفسه. ويعتقني من هذا الكابوس معتذرا عن لعبته..

الشيخ: قادر ربك على كل شيء قدير. وهو وحده صانع المعجزات..

الشخص: ثمة شك.. يشوب كلامك..

الشيخ: استغفر الله.. لا يشكّ في قدرة القادر.. الا الكافر..

الشخص: (يتامل المكان) اجدني امام لغز. لغز حقيقي. لم ار هذا السجن الغريب ولم اسمع به.

الشيخ: انه من السجون الخاصة، الخاص الخاص، لا يعلم بها سوى الملوك و

الشخص: وهل انا من الرعاع والصعاليك؟

الشيخ: معاذ الله.. ان جدكم الاكبر. رحمه الله. لم يكشف سره الا لولده. والدكم الملك المغفور له. وهو لم يعطِ السر الا لصاحب الجلالة شقيقكم..

الشخص: ولمن يا ترى سيعطي السر هو الاخر .وهو لا ولد له ولا بنت.

الشيخ: (بسرعة وكحقيقة مسلم بها) لصاحبة الجلالة الملكة الشابة..

الشخص: (زاعقا) زوجته؟ ولكنني انا ولي العهد والملك المقبل. وانا من ينبغي ان يعرف اسرار المملكة وخفاياها. لا تلك الغريبة عن شجرة العائلة.. وجسم المملكة وروحها

الشيخ: لا احد اولى باسرار الرجل اكثر من الانثى التي تشاركه الفراش والآهات والهمسات واللمسات التي تسيل معها الاسرار، لتستقر في.. في (يشرب) في.. في.. (اشارات ذات مغزى)

الشخص: عادت اشاراتك الخرساء.. تخنق كلامك الذي..

الشيخ: عفوك سيدي .انه لساني .قد اعتاد من فرط العزلة والغربة ترديد عبارات لا معنى لها ولا قصد وراءها .وداعا (يهم بالمغادرة)

الشخص: (بعتاب وتوسل) اتتركني لقسوة الوحدة. مرة اخرى؟

الشيخ: (نشوان) شرعت انامل الكرى الرقيقة تداعب اجفاني. لو لم استجب لها خاصمتني الليل كله مثل المراة الشبقة التي لا تستجيب لها. فتخاصمك العمر كله.

الشخص: جشعي يدفعني الى طلب المزيد من كرمك (يتوقف الشيخ) قدح اخر من الشاي ادفيء احشائي المتجمدة..

الشيخ: (يخض الاناء) ثمة قدر منه في الاناء.. ساسخنه لك

الشخص: (يتامل مكانه) اذا كان هذا السجن بهذا القدر من الاهمية والخطــورة.. كيف يوكل امره الى شيخ متهدم مثله. لعله رجل غير عــادي.. (يعــود الشيخ باناء الشاي يقدمه له وهو يتثاءب) ما زلت تحت تاثير النعاس..

الشيخ: تصعب علي مقاومة الدعوة الى النوم في ليلة زمهريرية كهذه الليلة.

الشخص: قدح من هذا الشاي الساخن اللذيــذ يمنحــك الــدفء والقــدرة علــى المقاومة.. ايضا.

الشيخ: استمتع به وحدك يا سيدي. قدحي ملان وهو يمنحنــي دفئــا اقــوى و.. مقاومة اضعف.. (يضحك)

الشخص: (متضرعا) ارجوك ايها الشيخ الطيب لا تدع شرنقة الوحدة تخنقنـــي.. الحديث معك يبعد عني المخاوف ويمنحني الشجاعة.. فــلا تبخــل بــه علي..

الشيخ: حين كنت اطلب منك الحديث .كنت تلوذ بالصمت. والان.. ها ليكن (يعــود اليه مشفقا وهو يتثاءب) بوسعي ان اغفو وانا جالس (يجلـــس) هــا.. عما نتحدث؟

الشخص: نتحدث.. نتحدث حسب.

الشيخ: ها؟

الشخص: نتحاور.. نتجادل.. نتناقش.. نتشافه.. نتلاسن.. نتكلم.. نتكلــم فقــط.. ارجوك .ارجوك..

الشيخ: حسنا.. حسنا. ولكن ماذا نقول..

الشخص: أي شيء.. أي شيء.. يخطر على بالك .يخطر على بالي.. المـــهم ان تسمعني صوتك.. واسمع صوتي.. هيا.. هيا.. نتكلم اجل نتكلم هيا..

الشيخ: يا سيدي ليس الكلام امرا عسكريا. تصدره الى جندي. مـــن قبيــل ســر

فيسير قف فيقف. اقتل فيقتل. ارم فيرمي. الكلام امر اخر. انـــه.. انــه شيء ملتصق بالروح. وليس فعلا خارجيا نؤديه اعضاء خارجة منـــك. كالقدمين او اليدين. او حتى اللسان والشفتين.. الكلام فعل داخلي ينبثق من القلب

الشخص: ولكنك امرتني بالكلام. سبق وامرتني.. هل نسيت؟

الشيخ: (ببساطة) كنت اعاقبك.

الشخص: تعاقبني؟

الشيخ: لقد افسدت نومي فقررت معاقبتك.

الشخص: بـــ.. بـــ.. بالكلام؟ بالتكلم؟

الشيخ: صورة من صور العقاب .قد تكون اقساها وابشعها.. ان ترغم احدا علـــى كلام لا يريده. او ترغم على الاستماع الى كلام لا تحبه ولا تريده.

الشخص: اه.. في داخلك يختبيء جلاد.

الشيخ: جلاد؟

الشخص: انا الذي كنت احسبك حكيما..

الشيخ: وما العجب.. لا احسبني مختلفا عن سواي.. داخل كل واحد منا يحيا جلاد وحكيم.. ها انت نفسك تجلدني اذ تطلب مني ان..

الشخص: انا.. لا اريد الكلام عقابا لاحد.

الشيخ: تريده متعة لنفسك. لغرض ما في نفسك. وهنا يكمن العقاب الذي تنزلـــه بالاخرين، دونما تعلم او حتى تقصد

الشخص: كل ما ابغيه ان اعطل دماغي ان اوقف عقلـــي. ان اعتقـــل خيـــالي.. ان.. ان الغي ذلك الشيء الذي لا اعرف ما هو. الذي يضع الوســـاوس والاوهام. حين اشغل نفسي بالكلام امتنع عن تذكر الحقائق والوقـــائع.. اقطع كل الوشائج بالماضي.. بالمستقبل.. وابقى في الان، في اللحظة..

الشيخ: الان، اللحظة، سرعان ما يصبحان ماضيا.
الشخص: ولهذا السبب لا اريد ان انقطع عن الكلام والاستماع الى الكلام.
الشيخ: ولكن الكلام ليس قرقعة آلية. وانت نفسك ليس آلـــة.. تظـل تقرقــع او تستمع الى القرقعة..
الشخص: اريد ان اتكلم.. اريد ان استمع.. الصمت يرعبني.. يجرني الى متاهــات ماضٍ. كل ما فيه الم. وحسرة وندم على اشياء فعلتها كــان ينبغــي الا افعلها. وعلى اشياء لم افعلها.. كان ينبغي أن افعلها الصمت يقذف بـي الى مستقبل مجهول يحرقني في اتونه.. اه.. اه.. ساعدني.. ســاعدني ايها الشيخ الجليل.
الشيخ: وماذا بوسعي ان افعل .؟
الشخص: ابقني في الان. فالان.بالرغم من كل ما فيه من قسوة وما يحبل به مــن مجهول اشد قسوة، فيه بارقة امل.. فيه شــعاع شــمس.فيــه انســان يسامرني، يصدقني القول بلا خوف ولا نفاق بلا طمع ولا جشع بلا ثــأر ولا انتقام.. هيا.. هيا تحدث ايها الشيخ الطيب اردم المـــاضي.. اقتــل المستقبل. حنطّني في الان، حنطّ فـــي الان.لا تدعــه يفلــت منـــي.. لا تدعني افلت منه..
الشيخ: (بعجز) يالهي .ان ماتطلبه هو المستحيل هو العقاب الاقسى والامر..
الشخص: لا .العقاب لا.ارجوك. كل شعرة في جسمي ترتعد مــن هــذه الكلمــة.. تحدث ايها الطيب.. تحدث.. ارجوك.. اتوسل اليك.. ان روحي تنفذ مـن مسامات جلدي.. وحديثك وحده القادر على ابقائها بين جنباتي
الشيخ: لا حول ولا قوة الا بالله (يضرب كفا بكف. بيأس وشفقه) عما اتحدث عما اتكلم.. يالهي هـــ.. هل نتحدث عنك.. عن شقيقك المفدى الذي..
الشخص: (ملدوغا) لا.. لا. ما يخص العائلة، ينبغي ان يظل داخل العائلـــة. تلــك

وصية جدي الاكبر. نقلا عن جده الاكبر. واذا كان هؤلاء قد خرقوها.. وخرجوا عليها، فانى لن افعل مهما كان استياني منهم وغضبي عليهم..

الشيخ: (باستهزاء) وفي.. الوفاء لاناس لا يستحقون الوفاء.. عين الغباء

الشخص: (بانفعال) ليكن حديثنا في موضوع اخر.. بعيد.. بعيد. لا يمس العائلة بتاتا.

الشيخ: مثلا..؟

الشخص: مثلا؟ (يتوقف) الامثلة كثيرة.. انت ادرى بها.. ليكن حديثنا عن.. عن هذا السجن.

الشيخ: هذا السجن؟ سجن العائلة؟

الشخص: يفرض نفسه علي بقوة الف شيطان، يهيمن على كل جزيئة في تفكيري يسلبني من نفسي. متى تم بناؤه؟ ولماذا؟ لاي غرض؟. ومن ضحاياه؟. والاهم.. كيف لم ادر به؟. انا المسؤول عن السجون والمعتقلات كافة..

الشيخ: اما متى تم بناؤه.. فعلم ذلك عند ربي والراسخين في العلم. اذ انا حين ولدت وجدته قائما. لعله بنى قبلما اولد. ابي كان الحارس ،ثم حدث له ما يحدث للاحياء.. فورثته عنه.

الشخص: ورثته عنه؟

الشيخ: ابناء الملوك يرثون العروش.. والجاه والسلطة. في الدنيا والاخرة. وابناء الفقراء يرثون السجون.. اما كنزلاء مقيمين. او كخدم دائميين.

الشخص: الامر الذي يذبحني من الوريد الى الوريد. كيف لم ادر به. لماذا لم يحدثني احد عنه.. لماذا.. لماذا..

الشيخ: ربما اقول.. ربما، لانه مخصص لاقامة المقربين من الملك (يشرب)

الشخص: مثلي؟

الشيخ: مثلك. مثل غيرك. ممن يحومون حول نيران العرش. مثلما تحوم الفراشة حول نار الشمعة.

الشخص: نيران العرش ونار الشمعة!! شتان ما بينهما. الثانية ارأف بالفراشة واكثر شفقة.

الشيخ: ولكن الاولى اشد جذبا. لاسيما لمن هم في مناطق الجذب الشديد، الاباء الابناء، الاشقاء، ممن ينافسون الكواكب والنجوم في موضع قدم او مقعد في النظام الفلكي السماوي الالهي، الممنوح لهم من السماء (يشرب) هبة ازلية.

الشخص: بل يسطون ويغتصبون حق غيرهم.

الشيخ: (مستمرا) وهم في سباقهم الدموي ذاك يسحقون ما يسحقون ويدوسون من يدوسون. فيخربون نظام الافلاك الموروث. فينالهم غضب السماء الذي يعكسه الملك، حامي حمى السماء والارض عقابا حسبما يروق له.

الشخص: انا لم افعل ما يغير نظام الافلاك الخرافي الذي تتحدث عنه.. فانا الوريث الشرعي للعرش.. بعدما..

الشيخ: (وقد شرع ينتشي) بعدما يغيب الملك الشرعي الحالي في يوم من الايام. بشكل من الاشكال (يشرب) ولأجل وأد ذلك اليوم. ودفن من يفكر باستقدامه. حفر هذا القبر .(يشرب)

الشخص: القبر؟

الشيخ: السجن، بديله. وايضا لأجل الابقاء على مسيرة العرش بلا انحراف ولا خروج عن السكة الحديد الموضوعة لها. (نال منه السكر بلهجة خاصة) إلى الامام. لا يمين.. لا يسار.. الامام حسب.

الشخص: (باستهانة) وهذا السجن، ينهض بهذه المهمة الخطيرة؟

الشيخ: هذا السجن اداة من مجموعة هائلة من الادوات. انه كابح قـــوي جـــدا.. يمنع الخروج من الطريق المرسوم. بنفس القوة التي يمنع الدخول الـى الطريق المرسوم.

الشخص: كل هذه المهام وحارس لا يقوى على طرد ذبابة..

الشيخ: ليس الحارس هو هذا الماثل امامك. فثمة حراس عديدون. لا يحصون..

الشخص: لا ارى سواك..

الشيخ: انهم غير مرئيين. او بالاحرى تراهم ولا تحسبهم حراسا. وهنـــا تكمـن قوتهم السحرية. وطاقتهم الخرافية في الفتك والبطش.

الشخص: لغز ؟ لغز اخر؟ من الغازكم اللعينة.

الشيخ: ثمة الصحراء التي تحيط بالسجن. احاطة مياه البحر بالقـــارب الصغـير. وثمة الرمال المتحركة التي تبتلع الفيلة والجمال. وثمة الضواري التـي تفترس نفسها ان لم تجد من تفترس. وثمة الســر الرهيـب (يشــرب) الذي لا يعرفه سوى جلالة الملك. وهذا العجوز الذي لا يقوى على طرد ذبابة.

الشخص: السر؟ أي سر؟

الشيخ: لا.. لا. اذ اكشفه لك، لا يعود سرا ولا رهيبا .ولا هم يحزنون.

الشخص: اسمع. لقد سئمت كل هذا اللغو الفارغ والثرثرة اللامجدية وقد..

الشيخ: سئمت؟ بهذه السرعة؟ وكنت قبل هنيه. تلهث وتشحذ المزيد منها ؟

الشخص: سئمت. مللت. طفح بي. وسوف اختنق. اخرجني من هنـــا.. اخرجنـي حالا..

الشيخ: الى اين يا سيدي؟ هلا سالت نفسك الى اين..

الشخص: الى صحرائك القاتلة، الى ضواريك الفتاكة، الـــى الجحيـم.. اخرجنـي حسب اخرجني قبلما تخرج روحي من بدني الذي شرع يتفتت.

الشيخ: (بهدوء لا يتناسب مع انفعال المقابل) الشاي.. شايك برد يا سيدي.
الشخص: (محتدا اكثر) اتسخر مني ياهذا؟ اخرجني.. انا امرك ولابـــد ان تطيــع امري..
الشيخ: ما من سجان نصف عاقل يطيع امر سجين.
الشخص: لست سجينا افهمني انا ضحية من ضحايا مزاج الملك.
الشيخ: كل المسجونين وثلاثة ارباع البشر هم من ضحايـــا الملــوك وامزجتــهم الزئبقية.
الشخص: ياالهي كيف السبيل الى اقناع هذا الحجر الماثل امامي ان الامــر عنــي مختلف.
الشيخ: الشخصان اللذان حملاك الي ملفوفا برداء اسود مغمى عليك او مســتغرقا في النوم. او مخدرا. كجثة بلا حراك، لم يمنحاك أي امتياز..
الشخص: (باهتمام) شخصان؟ اكانا اثنين؟ من هما؟ هل تعرفت اليهما...
الشيخ: كانا قطعة من الليل الحالك. ملبسين بالسواد من قمة الراس حتى اخمــص القدمين (يشرب).. ربما كانا رجلين.. او امراتيــن.. او كــان احدهمــا رجلا. وكان الاخر امراة. او.. او.. لم يكونا.. لا رجلين ولا امراتين..
الشخص: ويحك وماذا يمكن ان يكونا في هذه الحالة؟
الشيخ: كانا مخلوقين مجرد مخلوقين يدبـــان علـــى اثنتيــن. دب.. دب. دووب. دووب
الشخص: وصوتهما ؟ اعني نبراتهما الم تكشف عن حقيقهما؟.
الشيخ: كانت تكشف لو نطقا. ولكنهما كانا صامتين. كانـــهما حجــران اســودان متحركان .او صخرتان سوداوان متحركتان. او حجر وصخرة المــهم لا نأمة ولاهمسة
الشخص: وتطيع مخلوقين نكرتين. لا تعرف حقيقتهما . ولم تسمع حتى صوتــهما

وتعصى امري.. وانا امير البلاد. وسيدها القادم.

الشيخ: انا اطيع الامر الذي حملاه الي .وهو امر صريح مزين بتوقيع جلالته وختم بلاطه. اللذين قد اشك في كفي هاتين ولا اشك فيهما.

الشخص: اه.. يا الهي. لماذا يفعل بي اخي كل هذا ؟ لو اعرف. لو اعرف حسب.

الشيخ: لعلك عارضته في امر او خالفته في راي.. او

الشخص: على العكس كنا دائما في احسن حال واتم وفاق. كل ليلة قبلما اوي الى منامي. وكل صباح قبلما اغادر اقدم له طقوس الطاعة. اجدد لجلالته الولاء والعهد واقسم بين يديه اغلظ الايمان. باني طوع بنانه ورهن اشارته. لن اخون الامانة .ولا اضمر له شرا. ولا انوي به غدرا. مادمت حيا..

الشيخ: طبائع ملوك. ماذا بوسعي ان اقول غير ذلك.. (يشرب) وهي غالبا ماتكون حبلى بالوساوس.. والتوجسات والمخاوف..

الشخص: (كمن يكلم نفسه) لاسيما حين يقع احدهم اسير زوجته. ويصبح لعبة بيدها.

الشيخ: لا احسبك تقصد سيدي الملك.

الشخص: بل اقصده. اقصده هو بالذات. فمنذ ان اقترن بها بات يرتاب في كل شخص في كل شيء. حتى أقرب المقربين اليه. اجزم انها هي نفسها وراء هذه اللعبة المقيتة.

الشيخ: اراك مصرا على تسميتها باللعبة.

الشخص: وماذا اسمي هذه الحالة الشاذة التي اوقعوني فيها. لا اجد لها اسما آخر..

الشيخ: مادمت موقنا ان ثمة امرأة وراءها. فلا بد ان تجد او تخترع لها اسما آخر (يشرب) سمها.. (يفكر) مكيدة. مثلا. فالمراة نادرا ما تلعب.

الشخص: حقا. وكثيرا ما تكيد. نفس ما اشيع حين وفاة جلالة الملكة الوالدة. لمجرد انها عارضت زواجه منها. مع انها في النهاية رضخت واستكانت. ولكنها لم تغفر لها.

الشيخ: استغفر الله العظيم.. انا لا اقصد شيئا من هذا القبيل.. ياسيدي..

الشخص: (نبرة خاصة) وها.. قد حان دوري..

الشيخ: انت؟ اعني..اعني سموكم الكريم..

الشخص: لاني رايت ان مصلحة الاسرة والمملكة تقتضي ان اقف الى جانب أمي.

الشيخ: ارجوك سيدي الامير. لا تستولد ثرثرة جوفاء يطلقها لسان سانب كل هذه الكوارث والمصانب. القليل القليل منها كاف ان يلغي وجودي

الشخص: لقد ابصرتني بحقيقة كانت غائبة عني.. او.. او اخشى بمواجهتها. وهب اني عارضته. او اختلفت معه. فهو اختلاف عائلي. داخل الاسرة الواحدة الموحدة المتماسكة. لا يستوجب نبذي بهذه الصورة المزرية..

الشيخ: هم كهذا، لا يجدون غير السجون منتجعا لمن تختلفون معهم ويقلقون راحتهم. وهم يختلفون مع اقرب الناس اليهم. وان لم يجدوهم فمع انفسهم(يشرب) ملوك. هم ملوك. وليسوا مثلنا. نحن عامة الناس..

الشخص: وانتم، عامة الناس. الا تختلفون فيما بينكم.

الشيخ: نختلف. ولكن سرعان ما نعود نتصالح. بلا عقوبات ولا سجون ولا هم يحزنون.

الشخص: ما اسعدكم. انا اغبطكم على حالكم هذه. اه.. ليتنا كنا مثلكم.

الشيخ: مثلنا.. نحن.

الشخص: انتم اسعد الناس. مادمتم لا تملكون سجونا ولا معتقلات.

الشيخ: تلك مضايف الملوك ومن يقتدون بهم.. يستضيفون فيها خصومهم. واعدائهم.

الشخص: خصومهم. اجل. اعدائهم. اجل. لا اشقاؤهم وابناء امهاتهم وابائهم.

الشيخ: لا ثوابت عند الملوك. الا مصالحم. ما اسرع مايغدو الاشقاء وحتى الاباء والابناء خصوما واعداء. ويغدو الخصوم والاعداء. اقرب اليهم من الامهات والاباء. وقد تعود المياه الى مجاريها ويعود الاقرباء الى مرابعهم. مثلما كانوا.

الشخص: (برجاء وامل) حقا؟ حقا يعودون كما كانوا..

الشيخ: اذا غفر لهم الملك. اوهبت عليه عاصفة ورمته خارج جاذبية كرسي العرش.

الشخص: واذا لم يحدث. لا هذا ولا ذاك هل يرسلهم الى.. إلى المقصلة؟

الشيخ: او يرسل اليهم.. المقصلة.

الشخص: (برعب) هه ه.. هه ه..هنا.. في السجن؟

الشيخ: ليست المقصلة الشكل الوحيد. ولا الرداء الاوحد. للموت حين يتقرر.

الشخص: (يعقد الخوف لسانه) ها.. ها.. ها..

الشيخ: للموت الذي يقرره الملوك، اردية وازياء واشكال وهيئات بعدد شعر الرأس. ولا يرتدي ايا منها الا لمرة واحدة، ولثانية واحدة.. او اقل، على قدر زمن المهمة حسب. فتخيل..

الشخص: اللهم.. رحمتك!!

الشيخ: قد يختفي في ثنايا اكلة شهية. تقدم بعد جوع وحشي. او يذوب في شراب زلال يقدم بعد ظمأ قاتل. او يرتدي زي زوجة وفية. او يتخذ هيئة..صديق مخلص. او ام شفوق.. او اب حنون.. او..او..انه مهووس بالتلون والتنوع، وفق مقتضيات الزمان. ومبتكرات العصر التكنيكية. ومستجداتها ومراعاة. طقوس الزيارة وحالاتها.

الشخص: اذن.. يستحيل التعرف عليه.. او حتى الحدس به..

الشيخ: لكي يستحيل تجنب زيارته..

الشخص: ياله من بغيض.. ما اشد ما أبغضه.

الشيخ: هو لا يحفل بمشاعر من يزوره. سيّان عنــده ان اسـتقبلته بحفـاوة. او قطبت له وجهك وادرت له ظهرك. انه موظف مسلكي مثالي، بارد حتى النخاع مثل جامعي الضرائب والتبرعات الاجبارية (ثم) من الخير لك ان ننام بعض الوقت..سيدي..

الشخص: بعد كل هذا الحديث المرعب عن ذلك البغيض الذي لا اجرؤ على ذكـره، وعن ازيائه وأحابيله. ومكره وخداعه.. اتحسبني قادرا.. على اغمـاض عيني. ترى الا يرتدي زي النوم.. مثلا..

الشيخ: يرتدي. ويرتدي زي اليقظة ايضا. الا انه خلال النوم، يكون اكثر رقــة.. ونعومة. واخف ظلا.. اذ لا يطيل زيارته كثيرا. زيارة خاطفة.. حسب.

الشخص: تتحدث عنه كما لو كان هرا اليفا.. الا تخافه؟.

الشيخ: في الايام الاولى، كنت ارتعد خوفا، اذ اراه. اقصــد اذ ارى الآثــار التـي ..يخلفها عقب كل زيارة. جسد مخنوق. او مطعــون، او مســموم، او مقطع.. الاوصال.. او..او..اما هو نفسه، فلا يمكن لاحــد ان يــراه او يتحدث عن رؤيته له. ثم، على اية حــال. ان مــهمتي تقتصــر علــى الاخبار عن آثار الزيارة وانكار الزياة نفسها.

الشخص: بالرغم من يقينك بوقوعها..

الشيخ: تجنبا لوقوعها علي. فانا بالرغم من كل شيء. ما زلــت احــب الحيــاة، واتعلق باذيالها.. واخشى ذلك البغيض.. كما تدعوه.. انت..

الشخص: مع انك تعاشره منذ زمن طويل.

الشيخ: اعاشره؟ ومنذ زمن طويل؟؟ ها ها ها ..اتق الله يــارجل. لــو عاشــرته لحظة واحدة، لما كنت تراني امامك. هو يعاشر الاخرين.. وهم ليســوا

انا.. بكل تاكيد. ها ها ها (يغمره.. احساس بالنشوة..يشرب.. يغني)

حين يكون هو موجودا،
اكون انا غير موجود.
واذ اكون انا موجودا،
يكون هو غير موجود.

(يسعل) عفوا.. سيدي. فصوتي أحش،. واداني سيء(يسعل) انها حكمة قديمة، قراتها منذ زمن بعيد.. او.. او.. ربما قد سمعتها من شخص ما. في مكان ما. من؟ ..أين؟ لا ادري. لا اتذكر. ذاكرتي لم تعد تحفظ شيئا.. الا بمقدار ما يحفظ الغربال الماء.(يسعل) انه الزمن.. الزمن اللعين التعس الذي افقدني كل شيء..(يشرب) المهم انها تعجبني.. ويحلو لي ان اردها بين الحين والحين(يسعل) و.. واغنها.. حين.. حين(اشارة تناول الشراب) تغمرني النشوة(ثم فجأة) احسبتني قد اطلت.. وآن لي ان اقول.. لسموك.. وداعا..فـ.. فـ.. وداعا!!

الشخص: كنت ارجو ان تقول.. الى اللقاء.
الشيخ: لم يقع لي لقاء مع نزيل غادرني.. قط.
الشخص: (بالم دفين) اه...
الشيخ: يؤسفني ان اضطر لفراقك(يسعل) لم يسبق ان تحدث الي نزيل بهذا القدر من الحميمية.(يسعل) اعتن بنفسك ياسيدي..
الشخص: (بحرارة) كي أليق بـ.. بـ.. بالبغيض. ولا اخيب امله. اذ يخصني.. باحدى زياراته السرية.. الثقيلة..

الشيخ: احدى زياراته؟(يضحك) هي زيارة واحدة(يسعل) لا..سـابقة عليـها.. لا تالية لها.. ها ها ها ولكنك تعجبني.. ياسيدي.. يعجبني الرجل.. محتفظـا بروح التهكم.. رغم كل شيء..وفي احلك الظروف(يبتعد).

الشخص:(بسرعة) لو.. لو.. تتريث. يا.. يا..(الشيخ يتوقف. الشخص. يـهم ان يقول شيئا.. ولكنه.. يتردد)أ..

الشيخ: انا.. انتظر.. سيدي الامير..

الشخص: (يحاول التغلب على تردده) كنت اود.. لو لـو..(يعجـز) لا لاشـيء. لاشيء.. اذهب ولتصحبك السلامة.. ايها الرجل الطيب.

الشيخ(يهز رأسه بلا مبالاة) طبائع ملوك!(يواصل سيره مبتعدا)

الشخص:(بقلق واستعجال) بل.. بل ارجوك. تمهل. تمهل ارجوك(الشيخ يتوقـف) هـ.. هـ.. هل لي ان اطلب منك شيـ.. شيـ.. شيئا..

الشيخ: (بلا تردد) تفضل.. سيدي

الشخص: أ أ أنا.. انا في الحقيقة.. اه.. يا الهي..لا اعرف كيف اقـول.(يضـرب القضبان براسه) لا اجرؤ ان.. ان..

الشيخ: قل سيدي الامير. ما عليك الا ان تقول.. وستجدني.. ان شـاء الله.. فـي خدمتك. قدر ما استطيع (يسعل)

الشخص: أنا.. ايها الشيخ، جـ.. جـ.. جا..

الشيخ: (بسرعة) جائع؟

الشخص: بل. بل اتضور جوعا. هـ. هـ.. هل اجد عندك.. مايؤكل. حتى ولـو كسرة خبز..

الشيخ: لدي عشاني. لم اتناوله بعد. ساقاسمك اياد(يذهب. يغني)

إن يجيء قبل صياح الديك موتي
ويفتح باب بيتي
ساناديه.. تمهل سيدي.
فعلى الارض خمور لم اذق اطيبها.
وذنوب جمة. لم اقترف اجملها.
فاذهب اليوم. وذرني لغد[1].

و.. واذا جاء في الغد، في الموعد المحدد؟ اه.. انـــها لكارثـــة(يضحـــك) يالله!! ساعزف له اللحن نفسه. فيتركني ويرحل. وهكذا دواليك كل يـــوم الاسطوانة نفسها. واظل اضحك عليه. حتى يمل تماما.. ها ها هـــا هـــا (فجأة بنبرة باكية) ترى من يضحك على من؟ أ أنا اضحك عليـــه عليـــه؟ ام الموت يضحك عليّ؟ ومن منا الذي يضحك اخيرا...

الشخص: خمور.. وذنوب.. و.. وضحك على الموت. بماذا يخرف هذا العجـــوز. أمجنون هو؟ مجنون ام فيلسوف...

الشيخ: (مقبلا باناء) تفضل سيدي. هذا كل ما استطيع تقديمه (يخطفه بسرعة)

الشخص: الا قل لي ايها الرجل الطاعن في السن. اتعاقر الـسمر دائما(ياكل بنهم)

الشيخ: ليس قطعا. في وجبات الافطار.ها ها ها ها

الشخص: (يأكل) انت انسان ظريف حقا. لن انساك ابدا.

الشيخ: سيدي هل تسدي الي فضلا. لن انساه ما حييت؟

الشخص: اطلب ماتشاء ايها الطيب. وان شاء الله لن اخيب لك رجاءا.

الشيخ: انسني.

الشخص:(مصعوقا) ها؟

الشيخ: أنسني.. امحني من ذاكرتك تماما.. اول ماتغادرني.. ايا كانت وجهتك.

الشخص: (ضاحكا) حتى.. اذا ارتقبت العرش..

الشيخ: وخاصة.. اذا ارتقبت العرش.

الشخص: عجيب امرك..! أ أنت جاد..

الشيخ: اسعد الناس واكثرهم امانا.. من يسقطون من ذاكرة الملوك..

الشخص: (مداعبا) ساتذكرك.. رغما عنك..

الشيخ: (بلا مبالاة) لا سلطان لي على الملوك.. (يبتعد.. يغني)

السادة الملوك.
((ينجرون خشب التابوت.
وانا هنا.. في الغربة
لا احيا ولا اموت..))(٢)

(ثم بايقاع خاص) مات الملك. عاش الملك..! ترى كم حياة تنطفيء. وكم موتا يورق.. اذ يموت الملك.. او يعيش الملك..(مبتعدا) مات، عاش. عاش، مات. مات، عاش. عاش، مات.. (صوته حسب) تذكرني، سيدي، اذ ترتقي النعش..

وانسني، يا مليكي، اذ تعتلي العرش..

(بالايقاع نفسه) عرش.. نعش.. عرش.. نعش.. مات. عاش...

الشخص: (وحده، مقادا نبرته) عرش.. نعش.. عرش.. نعش(ثم)ما.. الفرق؟ كلاهما موت. احدهما سريع عاجل. والاخر بطيء مؤجل.. لكنه ولكنه آت بلا ريب. اثر زيارة غادرة. لا قدرة على ردها. ولا سبيل إلى تجنبها. ولو تركوا لي الخيار لنبذتهما كليهما واخترت الحياة.(مفكرا) غدا اقول للمفدى خذها. خذ ولاية العهد. انا متنازل عنها. اعطها لمن تشاء.

اعطها لنفسك اعطها لزوجتك. اعطها. اعطها للشيطان. والوصية مزقها (يحكم لف البطانية حول جسمه) فقط دعني اعش.. ابعد زيارة رسولك اللعين عني. لا تدعه يتسلل الي في وقت لا اعرفه. في هيئة لم ار مثلها.. ولا عهد لي بها. متنكرا تحت اشد الاشكال اغراء وجاذبية. العرش.. ش ش. (يتكوم على نفسه) العرش النعش.. النعش ش ش.. (ينام. تمر فترة مناسبة. موسيقى مختارة. تتسلل خيوط الفجر. الامير يشخر. وقع اقدام. يظهر الشيخ ثانية! يتبعه. او. بالاحرى. يسوقه اثنان، متلفعان بالسواد. من قمة الراس حتى اخمص القدمين. فتحتان للعين. اخرى للشفتين. الثاني اعتيادي. ليس فيه ما يميزه، الاول قصير. في حركاته ونبرات صوته. ليونة كانه انثى)

الاول: (يستعجل الشيخ. يدفعه) هيا. هيا.. أ أنت عذراء تزف قسرا. ام تراك تخطو.. فوق الاشواك.؟

الشيخ: على مهلك. على مهلك. انه مرمي هناك. بلا حول ولا قوة.. لن يطير.. فلم الاستعجال؟

الثاني: (في نبرات صوته) حشرجة. تدل على كبر عمره، قياسا الى صاحبه) لعلك تنتظر طلوع النهار.. هيا.. هيا.. اسرع..

الشيخ: لا بد ان اتأكد من توقيع البلاط. وختم الملك..

الثاني: نقصد توقيع الملك.. وختم البلاط.

الشيخ: لا فرق. لا فرق(يعرض الورقة امام ضوء الفانوس) مضبوط. ختمه وتوقيعه. (ثم) بهذه السرعة ولم تمض عليه سوى ليلة..؟

الاول: (بحدة وترق) ليس هذا من شانك.. هه..

الشيخ: صدقت. شؤون الملوك من شؤون الملوك وحدهم.(ثم) لقد انست اليه كثيرا. ترى اين تذهبان به الى العرش ام الى النعش..؟

الاول: انت كثير الفضول هه د. لا تدس انفك القبيح فيما لا يعنيك هه د..

الشيخ: انه فضول. مجرد فضول. لا ينفع ولا يضر.

الاول: هيا. هيا.. افتح الباب.. واغلق فمك الكبير..

الشيخ: (يتوقف) اغلقا فتحات عيونكما.. او اديرا ظهريكما.

الاول: ماهذا؟ امجنون انت.. كيف تجرؤ على اصدار الاوامر الينا؟

الشيخ: انها اوامر الملك.. دام ظله..

الاول: الملك..؟

الشيخ: المفتاح في موضع سري للغاية.. ولا ينبغي ان يطلع عليه احد..

الاول: ولكن المفدى..

الثاني: (يسد فاه بسرعة) لا تجادل. بذلك تقضي اوامر الملك.. امتثل لما يـلمرك به الحارس الامين هذا.(يديران ظهريهما.)

الشيخ: (يتاكد انه لم يعد بوسعهما رؤيته. يغيب هنيهة.. يعـود حـاملا المفتـاح يشرع بمعالجة فتح الباب.) كلهم هكذا.. يقضون عندي ليلة.. او بعـض ليلة. ثم يتركونني للوحدة. والارق. و.. الخمر.

الثاني: هكذا تقتضي مشيئة الملك ورغبته. من يسـأل الملـك عـن مشـيئته او رغبته؟

الشيخ: رغبات الملوك مياه، تجري كما تشاء، تقذف الناس والاشياء، على هـذه.. الضفة.. تارة.. وعلى تلك تارة اخرى.. ليت شعري.. على ايـة ضفـة سوف يرسو هذا البائس.

الثاني: على الضفة التي حددها له الملك.. منذ زمن..

الشيخ: منذ زمن؟ منذ متى.. ياترى..؟

الاول: لو كنت مكانك. لرددت الى جوفي. هـذه الاسـئلة التـي تفـوح بالشـك والريبة(يضربه) هيا.. هيا.. قبلما تشرق الشمس..

الشيخ: (يتالم) اخ. (يتماسك) انت يارسول الملك المخنث، تمتلك مؤهلات فـــذة.. ستطلع بك ذات يوم الى.. العرش.

الاول: وانت ايها العجوز الخرف. تملك في جوف فمك حبلا يتدلى، لا لسانا مـــن لحم ودم. وقياد وزمام.. ينبغي ان تحرص عليه.

الشيخ: الزمن. الزمن واحداثه وتقلباته، جعله خرقة بلا فائدة(يدفع الباب).. هـــذا هو.. خذاه. حيث امروكما..

الاول: (منتفضا) امرونا؟

الثاني: نائم. انه نائم.

الاول: نائم؟ ام يتظاهر بالنوم.

الشيخ: بل نائم فعلا. دعاه يستمتع بنومه بعض الوقت.

الثاني: اراك.. متعاطفا معه..

الاول: لعله واحد من مريديه

الشيخ: عملي يقتضي ان الغي قلبي. او.. او اطفيء نيران عواطفه. ولا اتعـــاطف مع من يلقى به عندي

الاول: اذن لماذا تحرص على راحته ونومه..

الشيخ: لان من يتنازعه العرش والنعش. لا يقتنص هنيهة نوم الا بشق الانفس.

الاول: (بطيش وعدوانية) اخرس ياهذا. اخرس. ابلع لسانك المـــهذار هـــذا(يـــهم بصفعه. يمنعه الثاني..)

الشيخ: (يعجز) ساخرس. يتوجب علي ان اخرس(يعقد يديه خلف ظهره يبتعد)

الثاني: الى.. اين.

الشيخ: الى حيث اخرس.. في النوم فقط، يتحقق الامان. إذ يخرس كل مـــا فـــي الانسان. اللسان. الاذنان.. العينان..

الاول: كذبت. الانفاس تظل تتردد. والعروق تبقى تنبض. والخيال يحلـــق..ثمـــة

حالة اخرى، يخرس فيها كل مافي الانسان. حالة واحدة وحيـــدة (يـــهجم عليه من الخلف. يطعنه بقوة) هي.. الموت..

الشيخ: (يسقط مضرجا بالدم) انت رسول الموت.. يا رسول الملك قاتل جبان.

الاول: (ينهال عليه طعنا بالسكين) خذ المزيد.. خذ.. لعلك تعترف بشجاعتي خـــذ. هه.. خذ.. خذ..

الشيخ: (وهو يلفظ انفاسه) بهذا القدر من الغدر.. تصلح ان.. تـــ.. تكـــون.. و.. و.. ســـ.. سو.. ف.... تـــ.. تـــ.. كون.. (يخمد)

الثاني: ما.. ت.

الاول: قتله طول لسانه.. ما كنا لنأمن جانبه. (يعالج انتزاع السكين)

الثاني: ما هذا؟ قدر؟.. وطعام؟ هل.. أقام له وليمة؟

الاول: ارايت (بحقد) الكلب. انه من مريديه وانصاره (يحـــاول انـــتزاع الســـكين) سكيني غارت اكثر مما ينبغي.. هيا.. اطعنه.. قبلما يفيق.. هيا.. هيـــا.. اسرع. ولا تدع الفرصة تضيع.

الثاني: (يشير سكينه يتردد في طعنه) لو امرنا احد رجالنا الخاصين..

الاول: في مهمات كهذه ، يتوجب على اليد اليسرى الا تعلم بمـــا تفعلـــه اليمنـــى هيا.. هيا.. فيم ترددك؟ (يعالج انتزاع سكينه) سكينتي اخترقت عظامـــه. وغابت حتى المقبض استجمع شجاعتك وانقض عليه، والا نغص علينـــا عيشنا الى الابد. (الثاني ما يزال مترددا) اسرع يا حبيبـــي اســـرع انـــها فرصتنا الوحيدة.. لن تتهيا لنا سواها، ما حيينا.. صدقني.. هيا.. هيـــا.. والا قتلنا الندم. (الثاني يندفع نحو الامير، يطعنه)

الشخص: رررررحما.. ك (يتحشرج صوته) آآآخ.. الر... حمة...

الثاني: (يواصل طعنه) معذرة.. شقيقي العزيز. الكرسي.. لا يتسع لثلاثة..

الاول: (وقد انتزع سكينه من جسد الشيخ وهي تقطر دما. ينقض علـــى الثـــاني

بسرعة خاطفة. يطعنه بقوة) و يضيق.. باثنين.. ايها الملك الكريم.

الثاني: (يسقط فوق جثة الامير. بحشرجة) يا خا.. خا..

الاول: (يقفز فوق الجثث يخطف الفانوس يفرغ ما فيه من زيت فوق الجثث الثلاث. يشعل النيران. يشعل فيها النيران. فتتصاعد السنة اللهب)

بصمت.. بصمت..

بلا نأمة.. ولا همسة.

بلا حركة.. ولا كلام..

وانتم نيام..

احترقوا.. بصمت.. بصمت تام..

وانتم.. نيام..

يا سادتي.. الكرام.

---

(١) و (٢) من المتعلقات بالذاكرة

مع الفجر جاء.. مع الفجر راح(*)

(*) نشرت في مجلة (المشهد) العدد ٨/٩- شتاء وربيع ٢٠٠٢

الشخصيات

- العجوز
- الزوجة
- الطفل
- الرجل

[مطبخ، في بيت متوسط الحال، اثاث متواضع، مدفأة مشتعلة، ساعة جدارية تشير إلى السابعة مساء، منضدة فوقها كيس ورقي ممتليء، مائدة حولها بضعة كراس فوقها اوان مع بقايا طعام... بان ثمة من تناول العشاء قبل قليل.

مستلزمات اخرى ضرورية، طباخ ثلاجة، رفوف فوقها قدور، صحون، اقداح. الخ...

يواجه النظارة، في عمق المسرح، شباك عريض، مفتوح الستائر، بجانبه باب مفتوح يشاهد من خلاله الباب الخارجي الرئيس، بين البابين ممشى بعرض مترين، بجانب الباب الخارجي، باب غرفة النوم، يشكل البابان زاوية قائمة، تملأ ضلفة الباب الخارجي المفتوحة، امرأة، ترتدي "روبا" طويلا وهي تحادث شخصا يقف خارج الباب، ثمة ظلام شفيف في الخارج، يجعل التعرف على الشخص، بوضوح امرا غير يسير.

على اليسار باب موارب يؤدي إلى داخل البيت، لا يلبث ان يفتح بهدوء تظهر سيدة عجوز فوق عربة مقعدين. تغطي نصفها الأسفل بدثار ثقيل (بطانية).. تتوقف في منتصف الباب، واذ ترى الامرأة والرجل، تتراجع قليلا ثم تتقدم بحذر، حريصة الا تدعهما يشعران بوجودها، ترخي السمع لحديثهما... وهي تمور بغضب مكبوت، من بين طيات ملابسها، تخرج علبة دواء، تأخذ منها قرصاً، تضعه تحت لسانها..]

* * *

الرجل: (صوته حسب) وقتما تشاءين، ولو بعد منتصف الليل..

العجوز: (من بين اسنانها) بـ بـ بعد منتصف الليل؟ اه.. ايـــها الوغـد.. (تتقدم بحذر، لتسمع بشكل افضل وانتباه اكثر)

الامرأة: (صوتها حسب) ان شاء الله... ان شاء الله.

العجوز: ان شاء الله؟ اه.. يا سافلة.. هذه مشئية الشيطان! انه.. انه لا يســاوي قلامة ظفر من اظفار زوجك العشرين..

الرجل: (بصوت عال) في امان الله، خالة ام رشيد.

العجوز: (من بين اسنانها) إلى جهنم.. انت وخالتك الكلبة!

الرجل: (بصوت خافت) مع.. السلامة.. سحر..

سحر: مع السلامة، لطيف، بلّغ الوالدة تحياتي.. وشكرا.. شكرا جزيلا.. (يختفي الرجل وهو يلوّح لها، تظل واقفة هنيهة تلوّح له بيدها)

العجوز: (تقتحم المطبخ بعربتها، منفعلة، تصدم المنضدة متعمدة، يسقط الكيس الورقي.. يتناثر ما فيه من تفاحات حُمُر في ارجاء المطبخ) الــف مــرة اقول لها لا تقبلي شيئاً من هذا النذل.. (تسحق بعضــها تحــت عجـلات عربتها بعصبية.. صوت سيارة وهي تبتعد. سحر، تسدّ الباب الخــارجي، تغلقه. تدلف المطبخ وهي سيدة جميلة، شــابة، فــي حـدود الخامسة والعشرين..)

سحر: (تنزع الروب تعلقه، تفاجأ بالتفاحات على الارض، تطلق اهة عفويـــة) آه (ثم) لاعليك أمي لا عليك. سألمّها الآن (تعيدها إلى الكيس تقضم تفاحــة) الذنب ذنبي. وضعت الكيس على الحافة (تنتبه ان العجوز ترنـــو اليــها. تقدّم لها واحدة) أما تريدين تفاحة.. انها هشة.. وحلوة (العجوز ترمقــها بازدراء. سحر تلقي المسحوقات في سلة المهملات. تضع الاوانـــي فـــي

المغسلة. تفتح عليها الماء بعهد هنيهة تتصاعد الابخرة، تشرع بغسلها باستمتاع وتلذذ) جزاك الله خيرا يا لطيف. جعلت الدفء يسري في عروقنا ثانية..

العجوز: (بغلظة) أين الولد؟

سحر: (ببرود) كالعادة.. امام التلفزيون.. يشاهد "الكرتون"

العجوز: ظننت.. انه اخذه معه..

سحر: لو تقتصدين.. في ظنونك.

العجوز: اليس ذلك ما يفعله، بعد كل زيارة.

سحر: ليس حين يتأخر.. هذه المرة تأخر..

العجوز: ولماذا تأخر؟ (سحر تواصل عملها) ما الذي اخره حتى الان؟

سحر: السخان طبعا. لم يكن اصلاحه هينا. تطلب الكثير من الجهد والوقت.

العجوز: (تنظر إلى الساعة الجدارية بنبرة ذات مغزى) اكثر من من ثلاث ساعات!!

سحر: انتظر حتى يطمئن على جريان الماء الحار. في الانابيب المسدودة المعطلة.

العجوز: والامس؟.. والامس الاول.. و..

سحر: (بنبرة طبيعية) الصدأ اكل الخزان، وهرأ معظم الانابيب ولم يكن بالامكان، تبديلها وتنظيفها في يوم او يومين..

العجوز: ولا في اسبوع.. او اسبوعين.. على ما ارى..

سحر: ليس عدلاً ان نمعن في استغلاله. انا طلبت منه ان يأتينا في اوقات فراغه حسب.

العجوز: (بنبرة خاصة) و.. دائما، بعد مغيب الشمس.. او في الليل.

سحر وهل يغلق باب رزقه، في النهار؟ في زحمة اعماله والتزاماته مع الناس..
العجوز (بسخرية) لا.لا. بكل تأكيد.. لا.
سحر: (ببرود) يختار الوقت الذي يناسبه.
العجوز: (بغضب متصاعد) وماذا عن الوقت الذي يناسبنا.. نحن؟
سحر: نحن؟ نحن كل الاوقات بالنسبة الينا سواء (تواصل عملها بلا اهتمام)
العجوز: (بحدة) لا.. ليست سواء.
سحر: بل سواء.. قد باتت سواء.. بعدما ارغمتني على ترك وظيفتي..
العجوز: ماذا تقصدين بـــ..بـــ. ارغمتني..
سحر: الم تفعلي؟ الم تهدديني بطردي انا وطفلي الرضيع من البيت..
العجوز:(بغلظة وقسوة) البيييت... بيتي.
سحر: والطفل حفيدك، وانا أم حفيدك وزوجة ابنك.. وانت تعرفين ان لا مأوى لي يأويني.. ولا أحد لي يحميني.. بعدما قتلت قذيفة مجنونة كل أهلي.
العجوز: وهل اترك حفيدي وزوجة ابني الشابة، تسرح وتملرح، على هواها في غابة من الرجال الذئاب، في وظيفة تمتص كل وقتها وقواها ولا تدر علينا ما يسدّ حتى تكاليفها..
سحر: اه.. لا جدوى.. لا جدوى.. من أي شيء.. (تنصرف إلى عملها)
العجوز: هكذا انت.. كلما صفعتك الحقيقة تهربت..
سحر: يا عمتي، يا امي.. العزيزة. قتلنا سنوات في هذا الحديث اللا مجدي وها قد نفذت اوامرك.. اطعتك واطيعك.. حتى في اخطائك.. تركت عملي، النسمة الوحيدة من التغيير التي كانت تهبّ علي.. وصرت احيا رتابة ايامي وتكرارها الممل حتى النخاع.. فماذا تريدين مني بعد..؟
العجوز: (بقسوة) احترمي البيت الذي يأويك ويطعمك.

سحر (مصعوقة) ها؟

العجوز: لا تدخلي اليه كل من هب ودب. بتهكه وقتما يشاء والى حين ما يشاء.

سحر: كل من هب ودب. من؟ من تقصدين...

العجوز (مستمرة) للبيوت حرماتها ومحارمها. ولا ينبغي ان تداس على هذا النحو الفظ.

سحر: ولكن.. ولكن.. من؟ من تقصدين؟ لطيف؟ (العجوز. تدير عربتها. لا تجيب. تلاحقها) اجيبي.. الطيفا تقصدين.

العجوز: (تصرخ بحدة) اجل.. لطيف.. لطيف..

سحر: (غير مصدقة) و.. و.. لكن.. لطيف. ليس بغريب.. انه.. انه ابن خالتي.

العجوز: (بنبرة خاصة) وخطيبك السابق؟

سحر: لا.. لم يكن يوما خطيبي.

العجوز: الم يخطبك...

سحر: خطبني.. خطبني.. قبل ابنك.. و.. رفضت.. رفضت وانتهى الامر.

العجوز: لا. لم ينته. الموقف.. تغير.

سحر: أي موقف؟.. ولماذا تغير؟ او.. او.. يمكن ان يتغير.

العجوز: غياب الزوج عن البيت، يغير اشياء كثيرة. ولهذا السبب صار يكثر من زياراته ويطيل في مكوثه.

سحر: و.. ولكن هذا افتراء.. انت تفترين. يا..

العجوز: احذري.. يا..

سحر: انت تعرفين انه يأتي من اجل السخان، الذي غربله الصدأ وتهرأ.. تماما.. ولم يعد ينفع شيئا وبات من المستحيل قضاء هذا الشتاء الصقيعي. بدون ماء دافي.. في البيت.

العجوز اه.. ما اكثر اعذارك وحججك، وما اشدها حضورا!!

سحر: وأنت.. أنت نفسك أشدّ مخلوقات الكون تذمرا وشكوى من البرد.. تصبّين لعناتك على الارض والسماء كلما لامست اناملك قطرة ماء..

العجوز: ولم يكن ثمة، غير لطيف.. تستنجدين به.. لكي..

سحر: لطيف أو سواه (ثم) أي ابليس يمكن ان يمنحنا الدفء ولا يطالبنا بالالاف. ثم.. ما الضد من لطيف.. انه الاقرب الينا من الجميع..

العجوز: بل هو الابعد من الجميع.. ورشيد نفسه كان لا يرتاح اليه..

سحر: رشيد صديقه.. بمثابة اخيه، من خلاله تعرف علي.. ولولاه لما عرفني ولا تزوجني.. انها انت التي لا ترتاحين اليه..

العجوز: انا لا اطيق حتى رؤيته..

سحر: لماذا.. بم اساء اليك؟

العجوز: (بجفاء) لي اسبابي.

سحر: أية أسباب، انها اوهام. مجرد اوهام.. لا ادري أي شيطان حشا بها رأسك.. لكي تقليني فوق نار شكوكك، وتعذبيني..

العجوز: اما لي عينان تريان.. واذنان تسمعان..؟

سحر: تريان ماذا؟ تسمعان ماذا؟ انها نفسك.. المثقلة بالشكوك والريب التي ترى وتسمع. أو بالاحرى.. تلفق وتختلق.. (تنفعل كثيرا فيسقط من يدها، قدح، متميز بالوانه وحجمه، يتهشم) آه،

العجوز: (تصرخ) قدح رشيد (تسوق عربتها نحوه، تلتقط، بصعوبة، قطعة، ترنو اليها بأسى) انه.. انه.. القدح الذي كان رشيد يحبه.

سحر: (دون ان تلتفت نحوها) انت.. التي تحبينه..

العجوز:لم نختلف يوما.. حول شيء.

سحر: ذلك ما تعتقدين..

العجوز: (تتناول قطعة اخرى، تضعها بجانب الأولى) هل أخبرك خلاف ذلك؟

سحر: (باحساس بالضيق) آسفة يا عمتي، لم أتعمد.. سقط عفوا.

العجوز: (تتأمل ما بيديها)، زوجي اهدانيه.. منذ اكثر من خمسين عاما..

سحر: (كمن تكلم نفسها) اذن.. وجب التخلص منه..

العجوز: (تتناول قطعة اخرى) سوف يفتقده كثيرا اذ يعـود.. ويحـزن... ينفطـر قلبي.. حين ارى ابني الوحيد.. يتألم ويحزن.

سحر: سآتيكما.. باحسن منه..

العجوز: (تضع القطع إلى جانب بعضها البعض. فتخفق) لا. لا سبيل المكسـور.. لا يرجع إلى حاله ابدا..

سحر: (بانزعاج شديد) والنتيجة يا عمتي؟ لقد تهشم.. وانتـهى الامـر.. مـاذا بوسعي ان افعل..؟

العجوز: لا شيء.. لا شيء.. لقد فات الاوان.

سحر: (بضحجر شديد)اوووه...

العجوز: ينبغي الا تزعلي من الحق..

سحر: اذا كان ما تسمينه بالحق.. حقا.. فعلا..

العجوز: ليس لائقا أن يشرب، من قدحه.. احد.. غيره..

سحر: إلى م ترمين (ثم) اه.. يا الهي.. ماذا جرى لك.. ماذا دهاك هـذه الليلـة.. حتى تقطعيني.. بسكاكين كلماتك.. بهذه القسوة.

العجوز: (تصرخ) لقد فاض بي (تجول بعربتها في ارجاء المطبخ بأنفعال) لم اعـد اطيق زياراته المتكررة (تسقط كيس التفاح ثانية) لم اعد اطيـق هدايـاه القذرة (تسحق التفاحات).. ولا احتفاءك واهتمامك به.. كلما جلء.

سحر اهتمامي واحتفائي!! اه.. لا تدعي غضبك اللا مشروع يضع على لسانك كلمات.. تجرحني.. تطعنني في اقدس مشاعري..

العجوز: ما معنى وقوفك على خدمته ساعات وساعات... هو يجردك بنظراته الخبيثة. وانت تقدمين له الطعام والشراب. كما لو كنت جاريته او.. او..

سحر احذري.. يا عمة.. احذري ان يشتط بك السوء الذي تمور به نفسك إلى هذا المدى.. والا ندمت.. ندمت طوال حياتك..

العجوز: انت تخرجينني عن طوري.. تخرجين اشد الناس حلما وصبرا عن طوره..

سحر: كل هذا بسبب عشاء بسيط قدمته له! الرجل يعمل منذ ساعات.. هل اتركه يخرج دون لقمة يلقيها في جوفه.. وقد نال منه الجوع والتعب؟

العجوز: (بحدة) القي في جوفه. السم.. ذلك ما يليق به (يزداد انفعالها)

سحر: سافعل.. سأفعل حين يأتي. اهدئي فقط اهدئي.

العجوز: يأتي؟ تالله لن تطأ قدماه عتبة داري.

سحر حسنا.. حسنا.. لن يأتي.. سأطلب منه الا..

العجوز: أقتله قسما بالواحد الأحد.. أقتله. (تجول بعربتها في هيجان).

سحر: (مشفقة عليها) حسنا.. حسنا... افعلي به.. ما تشائين.. فقط اهدئي اهدئي قليلا.. الانفعال يضر بقلبك (تبحث في ادراج الدولاب.

العجوز: انت تدفعينني إلى الانفعال دفعا..

سحر: انا.. سامحك الله (تواصل البحث) أين علبة الدواء؟ يا الهي؟

العجوز: تعرفين ان قلبي المريض لا يتحمل الانفعال..

سحر هل معك علبة دوانك (العجوز لا تجيب) اين هي.؟ لقد وضعتها بنفسي في احد الادراج.. (تعثر عليها) اها.. حمدا لله.. (تسرع بها اليها) خذي.. خذي قرصا.. ضعيه تحت لسانك..

العجوز: (تدفع يدها) لا.. لا اريد...

سحر: ولكنك تقضين على نفسك.. بعنادك هذا..

العجوز: انت التي تقضين علي..

سحر: (وهي تعيد العلبة إلى مكانها) انا؟.

العجوز: ما تفتأين تزرعين روحي باليأس من عودة ابني.. لا نك تعرفين ليس ثمة ما يقضي على الام، مثل الغياب الابدي، لابنها الوحيد..

سحر: (بألم دفين) و.. هل.. عاد؟

العجوز: (بحدة) سيعود.

سحر اننا ندخل السنة الخامسة.

العجوز: حتى ولو دخلنا السنة العاشرة.. فأنه عائد.. عائد..

سحر: (ترفع يدها نحو السماء) ليسمع الرب الدعاء.. ويعيده الينا..

العجوز: الرب يسمع دعاء المؤمن بدعائه.. انت غير مؤمنة. اصلا. بعودته.

سحر: انا اصلي ليل نهار من اجل عودته.. طيلة هذه السنوات الطوال.. الشداد العجاف. التي اذوق فيها المر والهوان.. واعيش حتى اظفاري هذه الحياة الذليلة..

العجوز: اخ اخ. من كلامك الذي يقطر ياسا.. ولكن لا. لا. لن توثري على قيد شعرة. لن تحمليني بأسك القاتل هذا.. ان اشك لحظة واحدة بأيماني المتعاظم.. بانه عائد الي.. عائد.. لا محالة.

سحر: يا عمتي، كل الذين اخذوهم عادوا. الاسرى عادوا.. المعوقــون عــادوا.. الجرحى عادوا. الا هو.. اخ.. الا هو.

العجوز: انه هو.. ذلك الوغد.. الذي سممك باكذوبة موته..

سحر: بل هي الحرب يا أمي الحرب الوحشية الطاحنة الضروس. التـي لا تبقـى ولا تذر. تطحن الابناء والازواج والاباء. وتكوي بنارها الجهنمية قلـوب المفجوعات والمفجوعين من الاحياء.. الاحياء الاموات.. آه.. ما أقسـى ان نكون من الاحياء الاموات..

العجوز: (بعناد الاطفال) لا.. ولدي حي.. ولدي عائد.. يمنح روحـي حيويتـها.. يعيد إلى البيت حياته.. يعطي قلبي عافيته.. عائد على الرغـم منـك.. ومنه.

سحر: (ترفع يديها إلى السماء) يا رب.. أعنا. يا رب كن في عوننـا. (تنـادي) علي.. علي تعال يا ولدي كل شيئا قبل ان تنام (تنشف يديها تخرج)

العجوز: اهربي كلما جاء ذكر رجلك كالنعامة التي تدفن رأسـها كلمـا لاح لـها الصياد.. لم أر امرأة تضيق بالحديث، حتى الحديث عن زوجها كما تفعـل هذه الحقيرة.. بسببه، كل ذلك بسبب هذا الوغد.. لابد ان احسم المسـألة برمتها، الليلة قبل الغد.. (تبحث في ارجاء المطبخ) لن ادع هـذا الكلـب يلغ في شرف ابني وشرفي إلى الابد لقد وعدها بالعودة بعـد منتصـف الليل اه بعد منتصف الليل.. حين يحيل النوم الجميـع جثثـاً، الا هـو.. وهي.. ولكن لا.. لن انام.. لن انام.. سأجعلها اخـر ليلـة فـي عمـرك القذر.. اذا كانت رجلاي عاجزتين.. فيداي سـالمتان.. وقويتـان.. أيـن الفأس.. ماذا حل بها.. انها هنا.. في المطبخ في مكان ما. كانت هنـا.. على الدوام.. ماذا حل بها (تتوقف عن البحث.. اذ تدخل سحر)

سحر: (في قلق واضطراب) عمتي الولد.. ليس في البيت.. أين ذهب؟

العجوز: (من بين اسنانها) معه.. مع لطيف.. قلت لك ولم تصدقي..

سحر: مستحيل. ليس من دون اذني

العجوز: هو على يقين انك لا تعترضين (بسخرية) اخذه معه في.. نزهة!!

سحر: ليس في مثل هذا الوقت.

العجوز: (بنبرة خاصة) يختار الوقت الذي يناسبه! والليل انسب الاوقات.

سحر: لا.. لا يمكن.. لا يمكن..

العجوز: لا تقلقي سيعيده اليك.. بعدما يغسل دماغه...

سحر: يغسل.. دماغه..

العجوز: او بالاحرى يلوثه.. يطمس فيه كل اثر وحتى ذكر او ذكرى لابيه ليحل نفسه محله.

سحر: ارجوك امي.. ارجوك.. كفي منشار لسانك عني.. اما يكفيني ما انا فيه؟ (تتناول روبها، ترتديه)

العجوز: (مستمرة) ولكن هيهات، شتان ما بين الثرى والثريا. علي ولد اصيل ابن رجل اصيل.. لن يبدل حذاء ابيه بألفٍ من امثال لطيف..

سحر: (تغطي رأسها) نار القلق على الولد.. تحرقني.. وانت.. اه.. (تحكم روبها حول جسمها.. وشدة رأسها)

العجوز: إلى.. اين؟

سحر: ابحث عن الولد.. هل اتركه يضيع في هذا الليل.. (تتوجه نحو الباب.)

العجوز: (من بين اسنانها) ان من يضيع، ان من ينبغي ان يضيع، هذه الليلة.. هو.. الوغد.. أو.. أنت.. أو.. كلاكما.. ان اقتضى الامر..

وسترين (صوت ضربات كف متتالية على الباب. تقفز سحر نحو الباب. تفتحه. يمرق علي.. وهو طفل دون الخامسة. يؤدي حركات من يسوق سيارة وهمية)

علي: (يتمايل في سيرد، يسرع، يبطيء) فـــن ن ن ن..فـــن ن ن طـــوووط.. طوووط.. (ثم فجأة اذ يرى التفاح في ارجاء المطبخ، ياه!! مـــن أيـــن لنا.. كل هذه التفاحات (يلتقط واحدة. يقضمها) لذيذة.. من عمو لطيـــف ها؟ من عمو لطيف؟

سحر: (ترد الباب، تسرع نحوه) تعال يا ولد.. أين كنت حتى الآن؟

العجوز: مع لطيف.. طبعا.

علي: اجل (يمضغ) مع عمو لطيف في السيارة

العجوز: الم اقل لك؟ هل صدقت الآن؟سحر: (بحدة) متى خرجت لم ارك..

علي: كنت مختبئا.. داخل السيارة..

العجوز: مختبئا ام هو الذي اخذك.. قل الحقيقة يا ولد ولا تكذب.. هو الذي اخـذك معه؟

علي: لا.. انا دخلت السيارة واختبأت خلق مقعده. حيـــن كـــان يـــأكل.. دون ان يدري.. وحين علم بوجودي، ارتبك واضطرب وكاد يصطدم..

سحر: يا ساتر.. كنت ستودي بنفسك وبه. بتصرفك الارعـــن.. تعـــال.. تعـــال.. اغسل يديك (تغسل له يديه ووجهه) إلى أين يقودك ولعك المجنون هـذا بالسيارات؟

العجوز: إلى التهلكة! (سحر ترمقها بامتعاض) هو الذي زرع فيه هذا الجنـــون.. يغذيه ويشجعه عليه كل يوم. بلا ذمة ولا ضمير.. ولا أي خوف علـــى الطفل.

علي: احبها.. يا ماما.. انا احب السيارة. قولي لبابا.. حين يعود.. "اشتر سيارة لعلاوي

سحر: هيا.. هيا.. كل شيئا. لكي تنام.. لقد تأخر الوقت.

علي: شبعان ماما عمي لطيف.. اشترى لي لفّة..

العجوز: (بحدة) لطيف ليس بعمك. ولا تقبل منه شيئا. أي شيء

علي: (بدهشة) ها؟ حـ.. حـ.. حسنا يا جدتي.. (يقضم التفاحة)

العجوز: والق هذه التفاحة من يدك.

علي: (يتوقف عن المضغ) ها...

العجوز ارمها.. يا ولد..ارمها في سلة الاوساخ..

علي: (يرميها)لـ.. لـ.. لماذا.. جـ.. جـ.. جدتي (تدمع عيناه ويختنق صوته)

سحر: ليس هكذا يا عمة.. ما ذنب الطفل على اية حال.. تعال.. ولدي تعال.. (تحضنه.. وتخرج به.. نحو غرفة النوم)

العجوز: لقد شوهه النذل شود الطفل البريء بخدعه واساليبه القذرة.. هذه حصيلة زياراته المتكررة.. هي.. هي الحقيرة.. من تتحمل المسؤولية كلها.. هي التي تدفعه.. اليه.. انها تخطط معه. بخبث.. لقلع الاب كليا من ذاكرة الطفل.. ولكن.. لا.. لا.. سأقلعه هو اقلعه. ليس من البيت حسب. وانما من الوجود كله. (تبحث في ارجاء المطبخ) آن الأوان كي اطهّر بيتي من هذه القذارة.. قبل ان تستشري اكثر.. ولكن أين تلك الفأس؟ آها. واخيرا.. (من خلف الطباخ)، تخرج فأسا بحجم مناسب، تخفيها بسرعة تحت البطانية اذ تشعر بقدوم سحر).

سحر: هل اعد.. لك العشاء؟

العجوز: (بجفاء) لا.

سحر اتنودين ان اقودك إلى غرفتك.. (تومىء ايجابا تدفع عربتها نحو الباب الايسر. تسقط رأسها على كتفها في اعياء) نمت.. بهذه السرعة؟ (تخرجها، تعود بعد هنيهة تصب لنفسها بعض الطعام.. تهم ان تأكل. تتوقف.. تنهض، تعيد الاكل إلى الثلاجة. تطفيء اضواء المطبخ وضوء الممر.. كذلك. تدخل غرفتها.. في الجانب الاخر. يهيمن الظلام على المسرح، فترة. ثم يسمع صوت عجلات عربة العجوز)

العجوز: (تفتح ضوء المطبخ. ثم تطفئه بسرعة) الافضل ان اتربص له في الظلام ولا أدعه.. يراني.. (ثم) و.. ولكن.. كيف سأراه.. (تفتح ضوءا خافتا) في الممر) هكذا افضل، اراه بوضوح اذ يدخل ولا يراني، اول ما يخطو نحو غرفتها.. وقبل ان تفتح له الباب، او يطرقه.. انهال على رأسه بالفأس، اهشمها.. إلى جهنم وبئس المصير ولن يلومني أحد. اذا اكوم جثته القذرة امام غرفة نومها.. بل ساكون موضع ثناء واعتزاز الكل.. انا العجوز المقعدة الضعيفة.. منحني الله القوة والقدرة والعزم والارادة.. ان اطهر بيتي واحمي شرفي من ان يلحق به العار.. والدنس.. (تغلق الستارة ثم تفتحها) لا. لاترك كل شيء على حاله.. كما تركته هي.. (تبحث عن مكان تختبيء فيه) ذلك حسن، تحسبني نائمة.. غارقة في النوم.. لا.. ساذر الملح في عيوني ولن انام.. (تسد باب المطبخ. الا شقا ضيقاً) هنا.. لا ينتبه لوجودي. (تلقي نظرة على الباب الرئيس، مغلق؟ اذن كيف سيدخل؟ يطرق الباب؟ يدق الجرس؟ ام أم زودته بمفتاح، يفتحه ويدخل.. كصاحب الدار.. اه.. لن اتحمل صوت خرخشة الباب،وهو يولج المفتاح سأفقد اعصابي ويصيبني الجنون واهجم على الباب. قبل ان يفتحه.. واذ ذاك يكون بوسعه الفرار.. وينجو.. مما

اعددت له.. سأفتحه.. واتركه مواربا.. (تتوجه نحو الباب. تخرج من جيبها المفتاح تتلمس الباب تصعق) يا الهي.. انه.. انه مفتوح.. غير مغلق.. تركته اه مفتوحاً.. كي يتسلل إلى فراشها كالافعى.. اه يا فاجرة لقد سدته لكي تخدعني.. اه.. لقد صدقت كل ظنوني، وتحققت كل شكوكي.. بل بل هي دون افعالك الدنيئة.. (تفتح الباب بسهولة) اذن هذه هي الاشارة التي اتفقا عليها.. ان يكون الباب مواربا حسب.. بدفعة يسيرة منه، يمرق.. ولكن لا.. انا واقفة لك بالمرصاد يجب ان اعيده إلى وضعه السابق.. كما كان بالضبط والا.. شعر ان تغييرا قد حدث.. فيعود ادراجه. في الوقت الذي اريده هنا.. افترسه باسناني. (تعيد الباب إلى وضعه السابق، ترجع. تختبيء خلف المطبخ..) اه.. لقد شرع نبضي يتسارع، ما هذه الحرارة التي تلفح وجهي (تتلمس وجهها) هل اصابتني الحمى فجأة؟ و.. قلبي.. ان دقاته تتعالى.. لا.. يا قلبي لا تضعف.. كن قويا.. ففي انتظارك.. امر جلل. بل اجل الامور واشرفها.. اه.. اه.. كن امينا.. كعهدي بك.. لا تدق على هذا النحو.. فينتبه الخونة إلي.. (تتناول قرصا آخر من علبة الدواء) أعرف ان الاكثار منه.. مؤذ.. ولكن ما العمل (تضعه تحت لسانها) اه.. ما بال يدي ترتعشان.. كيف اقوى على حمل الفأس (تمسك الفأس بكلتا يديها، تضرب بها الهواء، بضع مرات) هكذا بل اقوى.. اقوى واعنف و.. اقسى، ضربة واحدة لا اخت لها ولا شقيقة.... ضربة واحدة.. ويتطهر البيت من الرجس الذي يعشعش فيه او عدة ضربات متتالية.. لا تتيح له فرصة للهرب.. او.. الانقضاض علي.. بل.. بل.. لا تتيح له فرصة للتنفس حتى.. تهشم جمجمته، هكذا.. (ضربات متتالية كأنها تضرب شخصا ماثلا امامها (طرق خفيف

على الباب من الخارج) اه جاء.. الوغد جاء (تسد باب المطبخ، الا الشق الضيق) ادفع الباب ايها الوغد انه مفتوح.. عشيقتك تَركته لك مفتوحا، كما اتفقتما.. (يفتح الباب برفق شديد يدخل شخص بهدوء وحذر. يسدّ الباب خلفه. يتوجه مباشرة، نحو غرفة سحر.. من بين اسنانها) ما هذا لقد غير ملابسه.. جاء متنكرا..

(الشخص يعالج فتح باب غرفة سحر. بسرعة خارقة، تدفع عربتها نحوه، تنقض بالفأس على رأسه، تندّ من الشخص صرخة قوية.. اخ..) اخ؟ اخ فقط؟ خذ المزيد ايها النذل.. مت ايها الوغد.. (يسقط الشخص على الباب فيفتح، تقفز سحر من فراشها.. نحو الباب)

سحر: اه.. يا الهي.. رررشيد.. ررشيد.. (ترتمي فوقه)

العجوز: رررشيد.. إ.. إ.. إ.. بني؟ (تنهض واقفة على قدميها. تسقط فوق الجثة)

سحر: اه.. ايتها التعيسة..

المائدة المستطيلة (*)

إلى.. صباح الانباري

المسكون بعشق المسرح والمكتوي بناره

(*) نشرت في جريدة ((الزمن)) _ نيسان _ ٢٠٠ _ بغداد

الشخصيات

- الشابة
- المجموعة
- الصبي
- الرجل ١
- المرأة
- الفضولي
- الرجل ٢
- الملتحي
- الموظف
- الملتحون
- مجموعة السود
- مجموعة الزرق
- الوفد
- المقعد
- مجموعة الجمهور
- مجموعة الفنيين
- الشاب
- الشيخ
- جماهير- مراهقون- نساء- رجال- شباب- اطفال الخ الخ

[المسرح خال. موسيقى موحشة. تجوب فضاء المسرح شابة برداء وردي فضفاض. في رقصة باليه غاية في الجمال والعذوبة وقوة التعبير يتردد صدى صوتها في ارجاء المسرح بنبرات يابسة خشنة تحذيرية تمتزج بالموسيقى فتزيدها وحشة]

الشابة: الكارثة مقبلة. اسمعها. اسمع وقع اقدامها تضرب شغاف قلبي. الكارثة زاحفة. لزوجة دمائها تسد مسام جلدي. الكارثة قادمة. نتانة روائحها تخنق انفاسي.

[تندفع مجموعة رجال ونساء. شباب وشابات. شيوخ وعجائز. مجللين بأردية. بعضها اسود سوادا باهتا وبعضها ازرق زرقة غامقة. بشكل يصعب التمييز بينهما. وهي تغطيهم من قمة الرأس حتى اخمص القدمين، عدا فتحات العيون والافواه. يطاردون الشابة في هستيريا محمومة. تسبقهم اصواتهم اللامتآلفة في نشاز بين... يؤدون رقصة غير متناسقة لفترة]

المجموعة: اغربي يا نذيرة الشؤوم. يا اكذوبة الزمان الخنوع. [يحاولون القبض عليها تفر من بين ايديهم كنقطة ضوء، في حركات رقصية]

الشابة: الجريمة واقعة، تمتليء بها الاردية السود والزرق. اراها مكشرة عن انيابها من تحت الاقنعة، بوسعكم خنقها. بامكانكم.. وادها. لا تقولوا قد فات الاوان. دائما ثمة اوان لمن ينشد الخير والنور والامان.

المجموعة: لملمي نقيقك المسموم وتواري. يا ضفدعة المستنقعات الاسنة كفي عنا طنينك يا ذبابة المزابل الموبوءة. يا بصقة الموتى في المقابر الملعونة (يهاجمونها)

الشابة: (هاربة كغزالة. لا سبيل الى صيدها) لا احد يدفنن راسه. لا احد يغمضّن عينيه. لا يبرين نفسه. الكل شاهد. الكل يرى. الكل يسمع.. الكل مسؤول..

المجموعة: (يتهستروون اكثر، يرشقونها بالحجارة) موتي يا انفاس الدمار يا رسالة الخراب.

الشابة: هواء العالم يكفي لاكثر من رئة. رحم الارض يتسع لاكثر من بذرة. لا تسجنوا هواء العالم. لا تقلعوا رحم الارض. ليتدفق اكثر من نبع للحياة.. لتتفتح اكثر من زهرة.

المجموعة: لا. لا. العالم ضاق. الارض عقمت. لو هرتان تعاركتا على لحمة. لابد لاحداهما ان تقتل الاخرى. هكذا حال الدنيا. كذلك كان وهكذا سيبقى..

الشابة: الهرة تفترس الهرة. والكلبة تاكل الكلبة. كما اللص يفتك باللص. والحاكم يغدر بالحاكم. والملك يبطش بالملك. ان سطور التاريخ وحروفها ونقاطها، شواهد وشهود. ولكن العالم يغتني بالعالم مثلما الشاعر يضيء بالشاعر ويزدهر..

المجموعة: (في هيجان شديد) الكل يذبح. الكل يقتل. لا استثناء ولا شذوذ. تلك هي القاعدة. ذلك هو القانون. فالحسي عواءك وانفقي، يا كلبة الازقة.. والطرقات.. يا نابشة المقابر وآكلة الأموات.

الشابة: العالم لا يعادي العالم. مثلما قطرة الندى لا تعادي اختها. والشاعر لا يخاصم الشاعر. مثلما ورقة الزهر لا تخاصم الجذر. فاستمعوا الى

صوت الضمير. اصغوا الى ضمير العقل. استجيبوا لعقل الروح. انتبهوا لروح القلب.

المجموعة: لا. لا صموا اذانكم. صبوا الرصاص في اذانكم. لا تصغوا الى فحيح الافعى. لا تتراجعوا عن القرار. لا تخلوا بالعهد. الى الامام لا تراجع. الى الامام. فنحن الموعودون بالعيش الرغيد في الزمن الآتي السعيد.

[يتفرقون باحثين عنها عبر رقصاتهم التعبيرية هنا وهناك.. يظلم المسرح واذ يضاء يكون المنظر قد تغير. ساحة عامة. ناس غادون رائحون. حركة مستمرة. باعة متجولون. ينادون على بضاعتهم. يندفع صبي. يلوح بجرائده، ويزعق]

الصبي: اخر الاخبار. احدث الانباء. اخبار التحدي الاعظم. اخبار المبارزة الكبرى..

رجل: (بفضول) من يبارز من؟ من يتحدى من؟ قولوا لي اخبروني..

الصبي: اشتر جريدة بمئة دينار. تعرف كل شيء. مئة دينار فقط.. يا بلاش؟

الفضولي: هاك. اعطني واحدة (ينقده الثمن. الصبي يناوله الجريدة، ويبتعد. مناديا على جرائده يقلب الجريدة) تعال يا هذا دلني على الخبر. اقرأ لي الخبر اقرأ لي الخبر. فانا لا اعرف القراءة. (تدخل امراة ملفعة بالعباءة تخطف منه الجريدة)

المرأة: هاتها اقرأها لك، واح واح، ايمكن؟ لا.. لا.. مستحيل.. غير معقول.

الفضولي: ماذا؟ ماذا هناك؟ ايتها السيدة! اخبريني قولي لي..

المرأة: لا. لا. هذا معناه نهاية العالم. تعال يا ولدي تعال.. اعطني كل جرائدك واجلب لي المزيد. روح هات المزيد. كل الصحف والمجلات ذات الصلة.

(تفرس عباءتها على الرصيف. تنشر فوقها الصحف. تصرخ) الى. ايـــها الناس الى منتا دينار منتا دينار فقط. واعرف كل شيء..

الفضولي: ولكن من يتحدى من؟ من يبارز من.

المرأة: ادفع منتي دينار.. واعرف كل شيء انها مبارزة العصـــر انـــه تحـدي القرن الحادي والعشرين. انها فاتحة الالفية الثالثة (يتجمع حولها انـــاس يشترون) ترى من ينتصر؟ من يهزم؟ من يغلب؟

الفضولي: هاك.. اخبريني.. اخبريني حسب.. ولا تدعي لهفتي تقتلني..

المرأة: الشاب الاسود يتحدى الشيخ الازرق. قطبا العلم والمعرفة يتصارعان.

رجل: ماذا؟ ماذا؟ الازرق والاسود؟ العملاقان الاكبران؟ ان هذا جنون. ماذا جـرى لهما. يجب منع ذلك. لابد من منعهما.

المرأة: تعال هنا. ما شأنك انت؟ انهما حران يفعلان ما يريدان.

الرجل: انهما خطيران. كلا الرجلين، خطير في علمه ودهانه. ســيقضي احدهمـــا على الاخر في لمح البصر. اية خسارة.. اية خســـارة كـبرى.. للبـلاد. للكون. للانسانية.

الفضولي: و.. و.. ولكن كيف سيتبارزان بالسيف؟ بالسكين؟ بالمسدسات؟ امـــوت شوقا لمعرفة ذلك..

الرجل سيتصالحان. انهما مثل ديكة المزابل. تتقـــاتل علـــى حبـــة قمـــح امـــام الدجاجات. واذ تبلغ منها اوطارها.. تفش.

المرأة: لا هذه المرة.لا.

الرجل[٢]: وما معنى هذه المرة؟ انهما هكذا منذ سنين شدَ رخ. شدَ.. رخ.. شـــدَ.. رخ...

المرأة: هذه المرة خرج الامر من ايديهما. ويتوجب عليهما النزال الى اخر رمق..

الفضولي: ولكن من سيقتل من؟

الرجل[٢]: لا يهم. المهم ان يسدل الستار على هذا الصراع الذي استهلك سنوات من عمرنا. أنصار الأسود يتباهون. ومريدو الأزرق يزهون.ونحن بين هذا المد والجزر.. لم يعد بوسعنا التثبت من مواقع إقدامنا..

المرأة: ستثبت أقدامنا في مواقعها ثبات أعمدة المعابد. بعدما يقضي احدهما على الآخر

الفضولي: ولكن كيف؟.. كيف؟ هل سيخنق احدهما الا خر.. هل..

الصبي: (وقد عاد بمجموعة كبيرة من الصحف والمجلات) ها ها ها. هل همـا هران. انهما عالمان.. عالمان كبيران. خطيران يا عمي..

المرأة: لقد اعد احدهما للاخر دواء او بالاحرى سحرا وضع فيه كل خبرته ومكره ودهائه!

الفضولي: سمّ؟ ايكون سمّا؟

المرأة: (تصيح) آخر تفاصيل المبارزة الكبرى. ادفع ثلاثمائة دينار واعرف.

الصبي: (يقاطعها) لا يا امي لقد طار السعر الى خمسمائة دينار (يصرخ) اعرف اسرار السم القاتل. اعرف خفايا السّم الفتاك. الذي يعده كل منهما لقتل الاخر منذ سنوات..

الرجل[١]: سنوات للقتل. يا خسارة الزمن!!

المرأة: طبعا يا سيد.. انهما عالمان وليسا لصين يقتل احدهما الاخر. غيلة بطلقة من الخلف. لا تستغرق سوى ثانية، خالية من كل جمال وكل تشويق.

الفضولي: هل ذكر في الجريدة من الذي سوف ينتصر؟

المرأة: ذلك ما يجب ان تعرفه بنفسك.
الفضولي: كيف؟ كيف؟ انا..
المرأة: تكهن. توقع. احدس. لقد وهبك الله عقلا لتستخدمه. فاستفد منه.. استتر به.. راهن على فوز احدهما.. ضد الاخر..
الفضولي: واني لي ان ادري؟ هل انا. استغفر الله العظيم علام الغيوب.
الصبي: حاول يا استاذ حاول لن تخسر شيئا.. (يهمس في اذن امه)
المرأة: بل تربح كل شيء (تصرخ) واحد الى عشرة. هات الفا واربح عشرة الاف
الفضولي: واذا لم اربح... اعني.. اعني.. اذا خسرت.
الصبي: تخسر الفا فقط.
الفضولي: والله..انها لصفقة. هاك. هاك.. اخر خمسة الاف بقيت عندي.
المرأة: على أي الحصانين عفوا، العالمين تراهن.
الرجل[١]: اعوذ بالله. العالم يصبح حصانا. اي زمان تعيس هذا
المراة: بل يغدو وسيلة للعيش يا استاذ؟
الرجل[١]: (يغادر بغضب) الموت ارحم من وسائلك القذرة هذه..
المرأة: رح مت اذن (للفضولي) ها.. يا سيد على أيهما تراهن؟
الفضولي: (بسرعة) على الفائز طبعا على الفائز.. هاهاها. وهل من عاقل يراهن على الخاسر..
الصبي: ولكن ايهما هو الفائز؟ حدد. الأزرق ام الأسود؟ يجب ان تحدد.
الفضولي: أ.. أ.. لنقل الأسود او لا. لا. الازرق.. بل.. بل الأسود.. او او لا اعرف اختاري انت، أيتها السيدة، أحدهما.. من تشاءين منهما.

المرأة: حسنا. حسنا.. تنحَ ودع غيرك يتقدم.. (تصرخ) هيا.. هيــا.. الاســود ام الازرق؟ الواحد بعشرة. العشرة بمئنة. هيا. هيا. اسرع. موعد المبــارزة يقترب والوقت يهرب. اسرع.. اغتنم الفرصة. انــها فرصتــك الوحيــدة للثروة والمال.. ان لم تنتهزها قضيت كل عمــرك فــي الفقــر والعــوز والندم.. هيا.. (يزداد المراهنون للصبي)) انصرف انــت لبيــع الجرائــد وارفع السعر. كل ربع ساعة مئة دينار.

الصبي: جرائد.. جرائد. ستمائة دينار فقط. ادفع الان.. اشتر الان خير لك مــن ان تدفع، بعد قليل، الف دينار.. هيا.. هيا اشتر.. اشتر.. هيا.. هيا..

المرأة: راهن تكسب. غامر تربح. لا تخــف. لا تــتردد.تقــدم اقتحــم. راهــن.. المستقبل يفتح لك ابوابه. ابواب السعادة والرفاه. فلا تتأخر هيا.. هيــا.. (يتجمع اعداد غفيرة على الصبي وعلى المرأة.. تتكوم امامــهما الاوراق المالية. يقبل عليهم رجل ملتح. يتبعه مجموعة رجال ملتحين في اعمــار مختلفة..)

الملتحي: (يتوقف) ما هذا؟ ما الذي يجري؟ تعالوا لنرى.. ماذا هنا؟

الصبي: صحف ومراهنات.. اتريدون صحفا؟ ام المشاركة في المراهنات؟

الملتحي: مراهنات امام الملأ وفي وضح النهار؟ هل ثمة موافقة رسمية؟ اجــازة قانونية؟ تخويل من الجهات العليا؟

الصبي: هذه الامورتدخل ضمن الالعاب والتسليات البريئة.. يسمح بممارستها ليلاً ونهاراً

الملتحي: ها؟ هل الأمر كذلك؟ (ثم) لا بد ان يكون كذلك والا لما رأينا ما نــرى.. (يخترق صفوف الناس مقتربا من المرأة)

الفضولي: قل لي ايها الرجل. انت تبدو واثقا جدا.. وعارفا بخفايا الامور..
اخبرني وقاك الله عذاب الدنيا والاخرة. من منهما سوف يفوز؟

اصوات: تنحوا يا هؤلاء.. وانتم يا اولئك.. الشيخ يبارك لعبتنا.. افسحوا الطريق!

الملتحي: (باستنكار شديد)امرأة؟ امرأة تقود الامة. اعوذ بالله؟

المرأة: اية امة! اية قيادة؟ انها لعبة نرفّه بها عن انفسنا ونكسب بعض المال الحلال.

الملتحي: لا.. لا. هذا لا يجوز بتاتاً. هذا مخالف للمألوف تماماً. مناف للقيم كليا. الا تعساً لأمة توكل امرها الى امرأة.

اتباعه: (من الملتحين، بصوت واحد) تعساً وبعداً.و.. وسحقاً.

المرأة: اه.. قلبي يخبرني ان عاصفة هوجاء ستهب علينا. تعال يا ولدي تعال (تهمس في اذنه. فينطلق هذا.. سريعاً)

الملتحي: اتركي موقعك يا امة الله أنزلي والزمي دارك. فذلك اولى بك واجدر. يا الله. ماذا جرى لهذا الزمن الغريب. هل مسخ فيه الرجال تيوساً. فقبعوا في الحظائر واطلقوا نساءهم تدير لهم امورهم؟؟

الملتحون: (كجوقة) تعسا لهذا الزمن! تعساً وبعداً.و.. وسحقا.

الملتحي: اذهبي يا امراة وقري في بيتك. واتركي اموال الناس وديعة عندنا نجري عليها مستحقات الفرائض والصدقة ثم...

المرأة: مستحيل (تحتضن النقود بقوة) انت مجنون.. انت لا تعي ما تقول.

ملتح: انزلي يا امرأة كما أُمرت.. والا فأننا.. (يهجمون عليها)

الصبي: (داخلا يصرخ) لا احد يمسّ امي. احذركم جميعا. تعال يا سيدي تعال.

الموظف: (داخلا في اعقاب الصبي في صراخ واحتداد) ما هذه الفوضى؟ ما هذا الاخلال بالنظام ما الذي يجري هنا؟

الرجل: مراهنات نتسلى بها.. نقضي الوقت ونكسب.. ولكن يبدو انها ستتحول الى معركة.

الفضولي: (يقدم له جريدته) اشتر جريدة تعرف كل شيء يا سيدي! ابيعك اياها بنصف السعر. اراهن على الرجل الاخر

الموظف: (يدفعه بعيدا، بغضب وتحكم) هذا مخالف للقانون. هذا مخل بالنظام.

ملتح: انها تسلية بريئة.. والناس احرار فيما..

الموظف: (يقاطعه) لا حرية لا حد في الاخلال بالنظام. لا حرية البتة في الحاق الاذى بالنقد الوطني على هذا النحو المزري المهين. هل حصلتم على موافقة الجهات المسؤولة؟

الملتحي: يشهد الله وابنائي هؤلاء (يشير الى الملتحين) اني قد قلت لهم ذلك. ابصرتهم وارشدتهم الى حقيقة ان امورا كهذه لا ينبغي لها ان تجري الا بموافقة الجهات العليا ومباركة السلطات والمسؤولين. اليس كذلك.. يا اولادي.؟

الملتحون: ما قلت الا الحق. ما نطقت الا بالصدق.. لا فض فوك.

الملتحي: (متوددا الى الموظف) عفوا سيدي. عفوا وعذرا لطفا. من جنابكم؟ اعني.. اعني من انتم؟ ما عملكم؟ اقصد.. اقصد.. ما موقعكم؟ (الموظف يهمس في اذنه مع اشارات خاصة يصرخ) أنعمْ واكرم قد جئت في الوقت المناسب فهذه الحرمة..

الموظف: (يقاطعه) هذه السيدة الجليلة. ستكون ساعدي الايمن.

الملتحي: ها؟ (ثم فجاة) ونعم الاختيار يا سيدي. اخترت واحسنت (يشير الى مريديه)

الملتحون: نعم الاختيار. اخترتم أحسنتم الاختيار.وفقكم الله.. وبارك الله لكم اختياركم.

الموظف: (يفكر.يبتسم) يبدو ان لك اتباعا ومريدين.. مطيعين؟

الملتحي: منذ اللحظة. انا وهم مريدوك اتباعك المخلصون. وخدمك المطيعون. ياسيدي (يهمس الموظف في اذنه يصرخ) انعمْ وأكرم اللهم زد وبارك (اشارة لجماعته يتوجهون الى المرأة) سيدتي انا واتباعي في خدمتك ورهن اشارتك (ينحنون)

الموظف: (للمرأة) هل منحت هؤلاء المواطنين. اصحاب الاموال. ضمانات..

المرأة: (بدهشة) ضمانات؟ اية ضمانات يا سيدي؟

الموظف: ضمانات. صكوك. وصولات. سندات. أي شيء يثبت حقوقهم.

اصوات: لا.لا. دفعنا كل ماعندنا ولم نستلم أي ضمان.

الموظف: "(مشيرا الى تل الاموال) كل هذه النقود ولا وريقة تثبت حق اصحابها. كيف؟

المرأة: لا.. لا.. دفتر صكوك عندي.. ولا اوراق او وصولات.. ولا..

الموظف: أي دفتر يصلح. اية ورقة تنفع (يتناول جريدة يقتطع منها قطعا صغيرة، للملتحي) خذ ايها الشيخ ثبت كل مبلغ هنا.. واسم صاحبه.. ثم وقع..

الملتحي: امرك فوق الراس والعين. تعالوا يا اولاد. فقد صار لنا عمل نؤديه.

الموظف: الي ايها الناس الي. واحد بعشرة. مئة بالف. (يسحب المرأة) تعالي معي ودعيه معهم. الالف بعشرة آلاف. المئة الف بمليون. مليون يا ناس.. مليون دينار. (يتدافع الناس للوصول اليه) واحدا.. واحدا يا ناس.. اصطفوا.. اصطفوا..

المرأة: هات هات فلوسك وخذ الوصل منه. اجل اجل من الملتحي. ولكن على مهلكم يا ناس لا تسحقونا لا تهجموا علينا هجوم الذباب على صفيحة دبس. النظام. النظام اه.. اه سأختنق. تعال ايها الشيخ. تعال ساعدنا اعنا.

الملتحي. لبيك ايتها السيدة العظيمة! لبيك (لاتباعه) ويلكم الا تسمعون السيدة تستغيث بنا. السيدة تستنجد بنا. اعينوها. اعينوها (يشرع الملتحون يفرقونهم بالعصى).

الملتحون: اصطفوا يا حمير. اصطفوا يا بغال. طوابير.. طوابير.. هيا.. هيا.. اصطفوا..

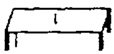
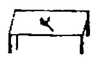
المرأة: سيدي. الناس في تزايد مستمر. والمكان ضيق لنخرج إلى الفضاء. إلى الساحة.

الموظف: إلى الساحة يا ناس. إلى الساحة الكبرى للمراهنات.. تعالوا. اتبعوني. لا. لا. تتوقفوا.. راهنوا.. راهنوا.. انها فرصتكم..

احدهم: بماذا نراهن لم يعد لنا فلس واحد راهنا بكل ما نملك.

الموظف: راهنوا بأي شيء. نقبل كل شيء. كهربائيات. تحفيات. عقارات. اطفال. نساء. ملبوسات. مخزونات. مأكولات.. كل شيء. كل شيء.

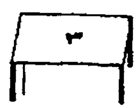
(يخرجون واصواتهم تتردد تمر الشابة مرور الشبح بردائها الوردي الذي تلطخ بالدم.. تهجم مجموعة السود والزرق من سائر جوانب المسرح. عبر رقصات تتسم بالعنف. يتساقط بعضهم على بعض. يدوس بعضهم على بعض. ينهضون بلا مبالاة يواصلون بحثهم عنها بسعار اشد)

المجموعة: لقد اصبناها. ولكننا لم نقتلها. انها هنا. غير بعيدة مختبنة في مكـــان ما. كالفأرة الجبانة التي تقرض المركب الشامخ. ابحثوا عنـــها جدوهـــا. (يقلبون الاشياء. يبحثون في كـــل مكـــان. يخرجـــون. بنفـــس العنـــف والحركات الصاخبة، مصحوبين باصوات ضاجة. ضربات على الدفـــوف كما في حلقات الدراويش. ثم تهدأ. رويدا رويدا. وتأخذ مسحة جنائزيـــة. من يمين المسرح تدخل مجموعة الاسود الباهت. ومـــن اليســـار تدخـــل الموسيقى الجنائزية.. مستمرة. تتعالى بمرو الوقت. السود يحملون لوحا خشبيا مستطيلا بقوائم  رقـــم ١ الـــزرق يحملـــون الرقم "٢" 

كل يضعه في مواجهة الاخر. من عمق المســـرح يخـــرج مجموعـــة الفنـــانين (المؤلف. المخرج، العاملون) يحملون

الرقم "٣" يضعونه في الفراغ الكائن بين ١ و ٢"





يبقى القسم الامامي المواجـــه للجمـــهور خاليـــا. تتبـــادل المجموعات فيما بينها نظرات الحيرة والعجز عن حل هـــذا الاشكال تتطوع مجموعة

من المشاهدين في ازياء مختلفة تستوعب مع ازياء مجموعـــة الفنييـــن. الازياء الشعبية والرسمية لسائر طبقات وطوائف وقوميـــات المجتمـــع. وهم يحملـــون الرقـــم ٤"  يضعونـــه فـــي الفـــراغ المـــائل فيتشكل الشكل الاتي:

١  < [تنطلق موسيقى خاصة بانغام متباينة. ثم يشـــرع كــل فئة تدفع لوحها حتى تتداخل الاجزاء

الاربعــة فـــي شـــــكل واحـــــد  وتتوحد الموسيقى اذ ذاك في لحن واحد .يبدأ الجميع رقصة موحدة على انغام اللــحن الموحــد لفترة. ثم تنسحب كل مجموعة الى موقعها . تخفت الانارة على المسرح ،يخرج السود من مخبأهم متلصصين ، يتلفتون هنا وهناك. واذ يتـــأكدون مـــن غياب الزرق. يلقون بغطاء من قماش اسود علــــى المــائدة.. يختفــون بسرعة يدخل الزرق. بنفس الطريقة يلقون بغطاء ازرق فـــوق الغطـــاء الاسود. دون ان ينتبهوا لوجوده. يختفون.بسرعة. يدخل الزرق بنفـــس الطريقة يلقون بغطاء ازرق فوق الغطاء الاسود دون ان ينتبهوا لوجـوده يختفون ضربات ايقاع خاصة تعود الانارة. تدخل المجموعتـــان فـــي ان واحد. يجن جنون السود اذ يرون الغطاء الازرق يسحبونه بعنف يتهستر الزرق اذ يرون الغطاء الاسود. يجرّونه يمزّق كل منهما غطـــاء الآخـــر. بحركات راقصة عنيفة. ثم يدخلون في عراك بالايدي. بـــالارجل. يشـــتد العراك مع تصاعد الموسيقى بتساقط العديد من المجموعتين...)

الشابة: (صوتها فقط) ان هي الا البداية. سيسيل دم كثير. سيسقط خلق كثـــير.. (يتوقف العراك)

الكل: (بصوت واحد) هي عادت.. تشمت بنا (تسرع مجموعتا الفنيين والجمــهور. تفرق بينهم. يفرشون النصف الايمن مـــن المنضــدة بـــاللون الاســود والنصف الاخر بالازرق. يعود كل مجموعة الى مكانها تهدأ الموســيقى.. وتتناغم.. فيرقصون.. فرحاً)

الشابة: (صوتها) الهدوء الذي يسبق العاصفة. الصحوة التي تمهد للفاجعة. كل يشحذ سكين الغدر. كل يتربصّ للطعن.

الكل: (بصوت واحد) اخنقوا هذا النعيق.. اقتلوا البومة (يتداخل السود والزرق. يندفعون معا للقبض عليها. يفرغ المسرح. تدخل مجموعة الفنيين. يحملون كرسياً ازرق من طراز قديم. وتدخل مجموعة الجمهور بكرسي اسود من طراز حديث. تضع كل مجموعة كرسيها على طرف من المنضدة، في مواجهة الاخر بصمت. ثم ينسحبون الى مواقعهم. يشتد ايقاع الموسيقى ويصخب.. يعود السود والزرق مخضلين بالدم وهم يحملون الشابة. تريد كل مجموعة الاستئثار بالجثة واخذها لها..)

السود: نحن قتلناها.. ونحن الاولى بها.. (يسحبونها نحو موقعهم)

الزرق: نحن اوقعنا بها ونحن الاحق بها.. (يسحبونها نحو موقعهم)

(تنشق الجثة الى نصفين تعلق كل مجموعة النصف الى موقعها وفي مواجهة القاعة)

السود: هذا مصير من يعادينا (يدقون المسامير في نصف الجثة)

الزرق: هذا جزاء من يقف ضدنا (يدقون المسامير في النصف الاخر)

السود: كل من يقف ضدنا فهو عدونا (يرقصون)

الزرق: كل من ليس معنا فهو ضدنا (يشتركون معهاً في رقصة موحدة. فوق المنضدة لفترة)

السود: (يعودون الى مواقعهم، يفاجأون بكرسي الازرق) الازرق الخرف. جاء بكرسيه المنقرض

الزرق: (يشيرون الى كرسي الاسود) الاسود الارعن لا يستحي من استاذه الذي علمه.

السود: انه في عناد البغل لا يقتنع انه بات خرقة. تمسح بها الامهات مؤخـــرات اطفالهن.

الزرق: ما ان انقطع الحليب من حلقه حتى امتلأ بالبصاق. يقذفه في وجه الاعلــى منه فلا يسقط الا على وجهه.

السود: يا هؤلاء، يا من تحنطتم ولم تعودوا تشعرون بحركة الزمن من حولكـــم. ان الدنيا قد تغيرت، الجنين الذي يتكون في ارحام نسائكم بل النطفة التــي في اصلابكم سيخرج منها بشر خير منكم الف مرة.

الزرق: ربما.ولكن ليس نغلكم الذي به تتباهون. فهذا الولد العاق الناكر للجميـل المتنكر للاصل والجذر. لا يعدو اكثر من فقاعة فارغة

السود: ما اكثر ما تتشدقون ان ضبعكم العجوز قد ركله الزمن ،ولفظه التاريخ وان القدر قد اختار شابنا الهمام. ومنحه هبة لنا وللمســـتقبل ، متوجـا دون منازع الى الابد

الزرق: سنرى عاقبة كل هذه الاوهام التي تشحنون بها نفوسكم الخاوية عنـد اول مواجهة..

السود: اذن الى المواجهة. الى الفعل. حيث تبيض وجوه وتسود وجوه!!

الزرق: اجل الى الفعل.. الى المواجهة.

مجموعتا الفنيين والجمهور: (صارخين من عمق المسرح. ومن القاعـــة) لا. لا. مواجهة ولا مقابلة (يبهت السود والزرق، يترقبون) الا بعد وصول هيئـة الحكماء.

السود والزرق: (معا) الحكماء مقبلون فقد أرسلنا في طلبهم وفدنا المشترك (وقـع خطوات) ها هي وقع خطواتهم. لقد وصلوا (يدخلون حاملين رجلا مسـنا مقعدا)

الوفد: المدينة فارغة لم نعثر الا على هذا المقعد. بعضهم في ساحة. المراهنات الآخرون فرّوا.

الكل: يفرون وقت الحاجة اليهم؟ كيف؟ بأي حق؟

الوفد: الجواب عنده (يشيرون الى المقعد)

المقعد: لقد قالوا ان بلدا يدفع فيه العلماء الى قتل بعضهم بعضا. بلد ملعون ونحن نرفض ان نكون شهود جريمة. تلطخ قرننا الجديد بعار لا يمحى مدى الدهر.

الكل: خسئوا! قَتْلُ المجرم ليس جريمة. ان قرننا الجديد، يخط وجوده ويرسم ملامحه منذ لحظة ولادته بسطور من نور. الى الجحيم بهم. وبكل من لا يرى.. رأينا. حسبنا هذا الحكيم العاقل، الذي استجاب لنا وجاء يؤازرنا ويشهد لنا.

المقعد: انا لم أجيء راغبًا. فقد حملني هؤلاء حملاً. ورضخت لهم. لا تجنبا لأذاهم ولا حتى تعلقا بذيول حياتي الغاربة. وانما تعلقا بأمل اني قد امنع وقوع جريمة.

الزرق: جريمة؟ تقولها ملء الفم.. بكل وقاحة؟

السود: تقذفها في وجوهنا، بلا خوف؟

المقعد: كم كنت افرح لو كان لها اسم آخر. ثم ممَّ اخاف؟ علام أخاف؟ ان كل حياتي السابقة والباقية لا تساوي قلامة ظفر أي من العالمين اللذين تنوون ذبحهما. وسنوات عمري التسعين لا تعادل ساعة واحدة من علم الحكيمين الجليلين اللذين تخططون لقتلهما.

الزرق: (مشيرين الى السود) هو من يذبح.. تذبحه سكين رعونته وغروره!

السود: (يشيرون الى الزرق) هو من يُقتل، يقتله جهله المتجذر فيه.

المقعد: (يبكي) كلاهما مذبوح.. كلاهما مقتول.. وكلكم خاسرون. كلكم مهزومون.

الزرق: هم المهزومون ونحن المنتصرون.

السود: نحن الغالبون وهم المغلوبون.

المقعد: لا منتصر ولا غالب هناك قاتل وذابح. والقاتل أيضا مقتول، يقتلـه النـدم على قتله صاحبه وخله الأمين. والذابح أيضا مذبـوح، تذبحـه سـكين الإحساس بفداحة الخسارة وبشاعة الجريمة.. (ينتحـب) عـودوا إلـى رشدكم.. يا انتم. انهما معا كانا سراجنا فلا تحكموا علينا بالظلام الأبـدي. لا تلقوا بنا في عتمة القبر ونحن أحياء هما معا معا كالزيت والشـعلة. لا حياة لاحدهما دون الآخر. لا نفع في احدهما الا بوجود الآخر.

السود: (واحد من السود بهمس مسموع) فيما يقوله العجوز قـدر مـن الحكمـة والصواب.

آخر: (بهمس اعلى) بل فيه كل الصواب والحكمة. مـا ضرنـا لـو تركناهمـا.. لحالهما.

السود: ثمة افعى.. تسعى بيننا.. فحيحها يملأ الاذان.. ابحثوا عنها.

ازرق: (واحد من الزرق بهمس مسموع) كلامه غير خال من الحق والحقيقة.

آخر: (بهمس اعلى) بل هو الحق والحقيقة لماذا نفرط بهما..

الزرق: فاحت خيانة من بعضنا.. نتانة روائحها تزكم انوفنا.

السود: اقتلوا الافعى.. (يجهزون على الاسودين)

الزرق: اخنقوا انفاس الخيانة (يجهزون على الازرقين)

المقعد: اه يا الهي!! كم من الدماء ستسيل كم من الارواح ستزهق..

الزرق: انت يا جراب النتانة، من تزرع بيننا الخيانة.

السود: من كلماتك الحبلى، ايها الثعبان العجوز. تتوالد الافاعي وتتناسل.

المقعد: (بنبرة حزينة) لم اقل سوى. دعوا المصباحين ينيرا الدرب. دعوا السراجين معا يضيئا. فيبددا ظلمات الحياة. دعوا البدرين معا يشعا ويمزقا عتمة الليل.

السود والزرق معا: كلا. كلا. والف كلا. قد ضقنا ذرعا بهذه الثنائية حسبنا عالمنا.. وكفى

المقعد: (بنبرة تشبه نبرة الشابة. يردد) هواء العالم يكفي لاكثر من رئة. رحم الارض يتسع لاكثر من بذرة. وليتدفق اكثر من نبع للحياة.. ولتتفتح اكثر من زهرة.

السود:.واع.. واع.. انه يردد اقوال الكافرة.. انها تعيش فيه..

الزرق: انها حية.. تتنفس خلاله..

السود: التفت الى اليمين، وانظر ماذا فعلنا بها.

المقعد: (يلتفت يصعق) يا الهي!

الزرق: التفت الى اليسسار..لترى ماذا فعلنا بها.

المقعد: (يلتفت. يصرخ منهارا) ابنتي.. (يتهالك فوق المنضدة بمواجهة الجمهور)

الكل: ابنتك؟ لقد حل دمك. ايها الحيوان النافق.

السود: نحن من ننال شرف قتله (يهجمون عليه)

[تجره كل مجموعة بعنف. فينشق الى نصفين تعلق كل مجموعة النصف الى جانب نصف جثة الشابة. يتدفق من العجوز دم غزير. كشلال ماء.. يستحمون، تحته، بنشوة عارمة ورقصات فرح، يملأون اكفهم. يعبون يعودون الى اماكنهم.. مخضلين بالدم.. يلطعونه يمتصونه من على ارديتهم..]

السود: الى التحدي ونقش سطور المجد.. الخالد.

الزرق: الى المواجهة. وتحقيق النصر الاكيد.

مجموعتا الجمهور والفنيين: (من داخل القاعة ومن عمق المسرح، بصوت صاعق) لا.. لاتحدي ولا مواجهة بلا هيئة حكماء. (تخرج مجموعة الجمهور من القاعة. تخرج مجموعة الفنيين من عمق المسرح. يرقصون فوق المنضدة، متداخلين مع السود والزرق. ثم يعود السود والزرق الى اماكنهم. بينما تجلس مجموعة الجمهور. إلى جانب السود وهم يوجهون نظراتهم إلى الزرق وتجلس مجموعة الفنيين إلى جانب الزرق وهم يراقبون السود المجموعتان في مواجهة الجمهور. ينسحب السود والزرق الى الوراء. خلف الكواليس. موسيقى هادئة يدخل الزرق بعالمهم الازرق وهو شيخ طاعن في السن. يسير بصعوبة يسندونه ليحافظوا على توازنه. ويدخل السود بعالمهم الاسود. وهو شاب في مقتبل العمر. ولكن لا يكاد يقوى على الوقوف على قدميه وقد غارت الدماء عن وجهه واصفر لونه. يسندونه بصعوبة ليمنعوه من السقوط)

السود: (نظراتهم على عالم الزرق) جاء العجوز ملبيا نداء موته.

الزرق: (نظراتهم على عالم السود) حضر الميت الذي يسير على قدمين مستعارتين.

السود: لقد فرغت عروقه من الدماء.. وبات جذعا منخوراً

الزرق: جثة محشوة.. في جلد اصفر.. مثل قصبة مأروضة.

(يتواجه العالمان عبر المنضدة الطويلة. ينظران الى بعضهما نظرات اشفاق وحنان. يمدّ كل منهما يدا مرتجفة نحو صاحبه. تقفز مجموعتا الجمهور والفنيين تمنعهما)

مجموعة الجمهور: لا لا مصالحة ولا سلام. وانما حرب مستعرة حتى يحترق احدهما في اتونها.

مجموعة الفنيين: لا. لا وئام ولا وفاق حتى يندثر احدهما، ويخلي مكانه للآخر...

المجموعتان: (معاً) لا بد ان تستمر اللعبة وتتواصل حتى النهاية.

السود: (يضعون دورقا زجاجياً مليئاً بسائل بلا لون. وكأسا. امام عالمهم الاسود) هيا.. هيا. املأ له كأس الموت. ارم به في مزبلة التاريخ.

الزرق: (يضعون امام عالمهم الازرق، قارورة خزفية. وكوزا) اسقه من السحر الذي توجت عمرك بصنعه.. هيا.. هيا.. لاترحم هذا الارعن ولا تشفق عليه (العالمان يرنوان الى بعضهما البعض بالم وحسرة، مجموعتا الفنيين والجمهور تنتفضان)

المجموعتان: (معا) ما هذا؟ انهما يتغازلان. امنعوهما. اعصبو عيونهما.. انهما يخالفان قواعد المنازلة وشروطها (السود والزرق. يمتثلان للامر. مجموعة الفنيين تصب من دورق الشاب في الكاس. مجموعة الجمهور تملأ الكوز) هيا هيا اشرب (مجموعة الفنيين تسقي الازرق مجموعة الجمهور تسقي الاسود) بلا خداع ولا غش انت لا ترى. نحن نرى ونراقب. نراك ونراقبك. (الشيخ يتململ.. يتهالك على المنضدة.. الشاب يترنح)

السود: (بفرح عارم) مات الضبع العجوز. فطس.. خلا لنا الجو. (يرقصون)

الشاب: اه لا.. واحسرتاه على معلمي.. انا.. لم.. (يسقط)

الزرق: مات الارعن.. الى جهنمم وبئس المصير.. بقينا وحدنا السادة (يرقصون)

الشيخ: (بانفاس متقطعة) اه.. وافاجعتي.. بأنبغ تلاميذي.. انا.. انا.. لم.. (تخمد انفاسه تماماً.، يقع الكل في حيرة شديدة. يتبادلون في صمت، نظرات الدهشة)

مجموعتا الفنيين والجمهور: ما هذا الذي جري؟ امر لا يصدق. لا يصدق البتة. في ثانية واحدة.. و.. و.. بقطرة واحدة لم تكد تمس الشفتين الا قليلا.. و.. ويموت كلا الرجلين؟ العالمين.. العملاقين.. انها.. انها.. لمعجزة (يهجم بعض من السود والزرق على الاثنين يصرخون) لا. لا احد يمس شيئا. لابد من تحليل هذا السمّ الفتاك الذي اعداه (بحذر شديد يأخذون الكأس والكوز. يخرج الجميع تاركين الشيخ متهالكاً على المنضدة امام قارورته والشاب امام دورقه. يدخل المراهنون يتقدمهم الموظف والمرأة والملتحي، باكياس النقود يجرونها جراً).

الموظف: ما النتيجة؟ من الفائز؟ لقد خرج المتخاصمون ولم ينبسوا ببنت شفة؟

المرأة: اه.. الشاب. يا عيني. قد مات. من راهن عليه قد خسر.

الملتحي: والشيخ ايضا.. لقد خسر انصاره..

الموظف: وحدنا ربحنا (يهربون باكياس النقود. يدخل الفضولي. شبه عار يبكي)

الفضولي: راهنت بكل ما املك من مال واثاث وعقار وحتى الملابس.. نصفه لصالح الشيخ والاخر لصالح الشاب. ان خسر هذا ربح ذاك. ولكن ان يخسر كلاهما.. ذلك ما كان حتى الشيطان قادرا على التنبؤ به. اه.. ما قيمة حياتي بعدما خسرت كل شيء.. الموت بات ارحم.. لا لحق بهما (يشرب بعد تردد من الدورق. ينتظر ان يموت ثم يشرب ثانية) ما هذا..

انه.. انه ماء. ايكون الشاب قد رأف بالشيخ فسقاه ماء بدل السـم؟ اذن كيف مات (يشرب من القارورة) ماء هو الاخر.. ماء. اه ان احدهما.. لم يسق صاحبه سوى الماء. يالهما من مخادعين زنيمين متواطئيـن مـع الموظف (يدفع الشاب) انهض.. انهض ايها الكذاب. اعـد لـي اموالـي (يسقط الشاب فيتحسسه) ميت.. انه ميت.. فعلا (يـهجم علـى الشـيخ، يتفحصه) اه هو الاخر ميت. كيف. كيف.. ماتا (يضحك بهستيريا) ها هـا ها اذا كان كل منهما قد خسر حياته، وهما من هما من العلم والمعرفـة والحكمة، بجرعة ماء، فما العجب، ان اخسر انـا... مـالي واملاكـي.. وملابسي.. في لعبة رهان.. ها ها ها ها ها ها (يضحك ويبكي لفـترة.. مؤديا رقصة غريبة، دون ان يتوقف عن الضحك والبكاء معا..)

هو.. هي.. هو (*)

(*) نشرت في جريدة "العراق في ٢٠-١٢-١٩٨٨ بعنوان "هل تخضر الجذوع"

الشخصيات

- هي: سيدة جميلة مطلقة
- هو: زوجها السابق.
- هو: خطيبها.
- الطبيب: طبيب العائلة.

[حديقة منزلية منسقة، تؤطرها شجيرات الاس، المتشابكة العالية، بعض الشيء بضعة جذوع لاشجار مقطوعة، مصبوغة، مستخدمة كحوامل لأصص خزفية، في بعضها زهور وفي بعضها نباتات متسلقة.. الخ..

البيت يرتفع عن الحديقة ببضع درجات فسحة مناسبة. ثم باب موارب، شباك عريض يطل على الحديقة ستائر رقيقة شفافة، تخترقها اشعة الشمس. فتلقى اضاءة مشرقة تكشف الغرفة ومحتوياتها بوضوح.

انها غرفة انيقة مطلية بلون فستقي، مقاعد مريحة بلون زيتوني. لوحات زيتية، مكتبة مزدانة بالكتب فوقها مزهرية. زهور قرنفل بيضاء، في الزاوية القريبة من الحديقة منضدة صغيرة فوقها جهاز هاتف. مذياع بجانب المكتبة ثمة لعب اطفال، مبثوثة هنا وهناك.. الخ..

هي؛ سيدة في حدود الثلاثين ذات جمال ورشاقة بملابس العمل المنزلي سروال اسود ضيق بلوزة خضراء فاقعة، تقص ذوائب شجيرات الاس تشذب اغصان الزهور، ترتب باقة ورد. يبدو عليها الشرود وانشغال الذهن، ربما بسبب انسجامها مع عملها او بسبب انشدادها إلى الموسيقى الهادئة المنبعثة من المذياع من الغرفة والمنسابة عبر النافذة. يرن جرس الهاتف، فيطغى على انغام الموسيقى تضع باقة الزهور فوق شجيرات الاس تلقي بالمقص تسرع إلى الداخل. بخفة وبلا صخب. حريصة ان لا تحدث أي ضوضاء. تفتح بابا مواجها للجمهور بحذر. تلقي نظرة سريعة داخل الغرفة. لا تدخلها. تطمئن إلى امر ما فيها.. تغلق الباب ثانية.. تتوجه نحو الهاتف.. بالامكان رؤيتها. بكل انفعالاتها

وحركاتها عبر الستائر الرقيقة وكذلك سماع صوتها بوضوح تام]

* * *

هي: الو.. نعم؟ من؟ جلال؟ اهلا.. اهلا وسهلا. لحظة جلال لحظة واحدة. صوت الراديو عال. لا اسمعك بصورة جيدة (تضع السماعة جانبا تذهب الى المذياع تخفض صوته، تعود تسحب كرسيا قرب الهاتف. تجلس) مساء الخير.. كيف حالك.. ا. شكرا.. بخير.. بخير.. اجل.. اجل.. اسمعك بوضوح.. طبعا.. طبعا.. عرفت صوتك.. لا.. لا.. لا. تسرح بخيالك بعيدا (تضحك) فقط لانه ليس ثمة من يخابرني الى البيت سواك.. اجل.. اجل.. انت الوحيد.. ها؟ ما الذي يحدث لي عند أسمع صوتك؟.. يا له من سؤال.. حسنا.. حسنا.. اهتز مثل مراهقة يداهمها الحب للمرة الاولى وعلى حين غفلة.. ها ها ها لا.. لا.. كنت مكتئبة بعض الشيء ها الان؟ الان طارت كآبتي.. تلاشت احترقت في حرارة صوتك ونبراته النارية؟ انا؟ انا الاخرى احترق ولكن كالعنقاء.. كلما احترقت انبعثت من جديد.. لاحترق مرة اخرى.. واعود اكثر اصرار على الاحتراق.. ها.. شاعرة.. من؟ انا؟ انا شاعرة؟ يا لك من كذوب حبوب.. ها صوتي وما بال صوتي هو الاخر؟ نعم؟ يشبه صوت فيروز؟ فيروز مرة واحدة؟ اتقي الله يا رجل.. او ه.. او ه.. كفاك مجاملة اني لصوت مخلوق أي مخلوق كان. ان يبلغ بعض تلك المرتبة الملائكية التي تتبوؤها القديسة فيروز، بعذوبة صوتها ورقته. ناهيك عن صوتي الشبيه بصوت فقيدنا الكبير علي مردان في ايامه الاخيرة بشكل محدد ها؟ اوه لست مطالبا ان تنافق على هذا النحو الفظيع. نعم؟ اذن اعرف ان ابغض ما بي إلى نفسي هو صوتي.. ورحم

الله امرأ عرف قدر نفسه وقدر صوته.. بالله ليكن كما تحب، كما تحـــب.. يمكن ان يكون نقيق الضفدع مثل تغريد البلبل في اذن الحبيـــب (تضحـك بطلاقة، وكمن تتذكر امرا تكبت ضحكتها محاولة ان لا تدعها تعلــو) هــا؟ وضحكتي سمفونية؟ اذن فانت لا تعرف ما هـــي السـمفونية اساســا. ولا تحترمها ناهيك عن تذوقها، اوه كفى كفى بالله عليك لا تهن هؤلاء العباقرة الخارقين بهذا الشكل الممل المنفر، اوه.. اوه.. يا لك من مجامل شنيع هــا الا تسمعني؟ اقول (ضاحكة) انت مجامل بلا ضمير لا.. لا.. تسمعني حقـــا ام تصم اذنيك عن سماع ما لا يسرك؟ لا.. لا.. لا استطيع ان ارفع صوتـــي اكثر (تضع يدها على فمها كمن تخشى ان يسمعها احد في البيت) وممـــــن اخاف يا رجل؟ لا لا انها شلير اجل.. اجل.. لم يغمض لها جفن الا اليوم لم تغادرها هذه الزائرة الثقيلة. تجثم على هيكلها الهش الرقيق مثل الطنطـــل، تعصرها.. وتجعلها تسيح عرقا.. حتى تكاد تغرق في بحر مـــن العـــرق.. طبعا.. طبعا وهل اتركها بلا طبيب؟ هو هو الطبيب نفسه، الدكتور مصطفى ولماذا طبيب اخر؟ انه طبيبها منذ كان عمرها اياما. وحسب لا لا اسمع يــا جلال.. (تتغير ملامحها يتهدج صوتها.. اذ تتكلم بانفعال مفـــاجيء) اذا كنت بهذا القدر من الاوهام والشــــكوك فـــالافضل لنـــا .. كلينـــا ان. لا لا تقاطعني ارجوك.. اسمعني.. اسمعني.. بل.. بل.. اسمعني انت لتسـمعني. انت اولا.. لابد ان تسمعني.. يجب ان تسمع ما اقول وتعيه جيدا ولا تنساه ابدا ما دمنا ما نزال في بداية الطريق. او بالاحرى لما نبتديء طريقنا بعد. حسنا.. حسنا.. انا هادئة هادئة تماما (تحاول ان تكون طبيعية) اسمع يـــا جلال اوه.. اوه.. دعني اتكلم لقد اتفقنا ان لا تقاطعني.. افضــــل افضـــل بكثير (تحقق قدرا ما من الهدوء.. تتكلم بترو.. وبـــلا انفعـــال كبـــير) ان

واحدا من اقوى الاسباب التي دفعتني للافتراق عـــن زوجـــي. هـــو ذلـــك المستنقع الدبق الخانق من الشكوك الذي كان يغرقني فيه كـــل يـــوم هـــو واهله وانا لا اسمح لاي كان. اجل. اجل .. حتى انت.. حتى انت. لابـــد ان اكون صريحة وواضحة معك.. ها معك بالذات؟ ماذا تعني معك وحـــدك؟ لا.. لا.. انا هكذا مع الجميع.. مع الكل.. صريحة وواضحة.. ها؟ قاسـية؟ ربما هكذا جبلت. لا..لا.. طبيعية جدا اوه حسنا حسنا.. ليكن تعال تعـال أي وقت تشاء. لا لا لا استطيع تركها وحدها. مستحيل. أي كـــلام هـــذا.. لا.. ولا حتى اخذها معنا. انها مريضة الا تدري معنى ان تكون طفلة مريضــــة لا. ولماذا المبالغة. ان حالتها سيئة. تعال وانظـــر بنفســك لا لا. نقضـــي الامسية في البيت. اجل اجل بجوارها وانا على استعداد ان اقضي عمـــري كله بجوارها. انها كل ما تشدني الى الحياة. لا لا لا اعدك بشـــيء. تعـــال تعال. وسوف نرى. بل تعال تعال فانا بحاجة اليك. الـــى الحديـــث معـــك. احساسي بالوحدة يخنقني وقلقي عليها يشويني، وانا بحاجة الى احد يكون معي لا بالتأكيد ليس أي احد. اجل انت انت بالذات. هل ارتحت هل اشـــبعت لك غرورك؟ لا.. لا.. لا شرط ولا شروط. كل شيء يتوقف على شلير على حالتها هي يالله .. من يدري عسى ان يكون وجودك شـــفاء لـــها، عســـى ولعل. هيا.. بعد ساعة..؟ لا.. لا.. لا يهم اكثر اقـــل. فـــي الوقـــت الـــذي يناسبك. انت تاجر والتجار امورهم ليست بايديهم. هـــا بـــايدي مـــن؟ الا تعرف؟ حقا؟ بايدي البيع والشراء الأخطبوطية. حسنا.. حســـنا.. اكـــون بانتظارك الى اللقاء.. الى اللقاء (تضع السماعة، تبهت هنيهـــة، لا تقـــوى على منع، نفسها من الاستياء والنفـــور.. تتكلـــم بانفعـــال وامتعـــاض..) غريب.. غريب امر بعض الرجال، وربما كل الرجال.. لا يرون في المـــرأة

التي تتجاوب معهم الا مرآة تعكس ما يعتمل في دواخلهم هم. وما يتوقون اليه من التنقل من واحدة الى اخرى، بالسرعة والخفة التي يبدلون بدلاتهم. وينوعونها.. ترى الا لايدركون ام لا يريدون ان يدركوا.. ان المرأة تحرص على جسدها اكثر مما يحرص الرجل (صوت بكاء الطفلة من الغرفة) استيقظت؟ باية سرعة؟ أي نوم هذا؟ (تسرع نحوها بقلق واضطراب، تعود بعد هنيهة قصيرة. وهي اكثر قلقا واضطرابا).. كأنها تحلم.. او.. او.. تهذي.. اهو هذيان الحمى.؟ لو.. لو يتوقف هذا العرق الغزير (تندفع نحو الهاتف، تدير رقما بانفعال) الو عيادة الدكتور مصطفى؟ اعطيني.. الدكتور رجاء.. ها؟ لاتستطيعين؟ لماذا؟ لا.. لا الدكتور لا يزعل انه طبيبها.. اه.. كوني طيبة معي.. ارجوك.. انها ابنتي حالتها في تسرد اه.. وما حيلتي.. سأنتظر.. ليكن.. شكرا.. شكرا على اية حال.. (تضع السماعة.. تبقى ساهمة هنيهة. ثم فجاة) وماذا انتظر؟ لماذا لا اخذها اليه في العيادة (تتوقف) ها؟.. اذا كان مشغولا الى حد، لا يرد على مكالمة، تستغرق بضع دقائق حسب. هل سيتفرغ لفحصها هناك؟ لا.. لا.. لا اظن

لانتظر.. انتظر وامري الى الله.. خمس دقائق لو صدقت السكرتيرة، ليست بالزمن الطويل (ترنو الى ساعتها المتدلية من عنقها. حائرة لا تدري ماذا تفعل.. تخطو على رؤوس اصابعها، نحو غرفة الطفلة، لا تلبث ان تعود، قلقة، تقف امام الهاتف. تمد يدها الى السماعة.. تتردد تنظر الى ساعتها تذهب الى الغرفة ثانية، تعود مرة اخرى، تهم ان تخابر، تتوقف مترددة.. ثم تتغلب فتدير الرقم بتمهل) يا رب.. يا رب.. الو.. الو.. رجاء هل فرغ الدكتور اوصليني به.. ارجوك.. الو.. دكتور مصطفى.. انا.. انا مريم.. طبعا.. طبعا.. ومن لي غيرها.. حالتها باتت تقلقني جدا.. اجل..

اجل.. يا دكتور.. لقد سقيتها الدواء، حسب توجيهاتك.. ها.. منــذ.. منــذ (تنظر الى ساعتها) منذ ساعة تقريبا.. او.. او اقل.. ببضع دقائق.. تماما. تماما كما وصفت.. ملعقة كوب في نصف قـــدح مـــاء.. اجــل.. اجــل.. اعرف.. انها تسيح عرقا.. غزيرا.. وجسمها تنور.. تنور مشـــتعل.. لا.. لا.. لا ابالغ.. هـــ.. ه.. هل انت واثق يا دكتور؟ اوه.. اسفة.. اسفة جــدا لسؤالي غير المنطقي.. ارجوك لاتؤاخذني.. طبعا.. طبعا.. انـــت الطبيـــب وانت الادرى.. اعذرني.. انا مضطربة.. و.... ها.. كمادات مـــاء بـــارد.. حسنا.. حسنا.. سأفعل.. سأفعل يا دكتور.. كما تأمر.. لا.. لا.. لم افارقــها لحظة واحدة.. لقد تغيبت.. حتى عن عملي بسببها.. كيف؟ كيف.. لا اقلــق يا دكتور؟ انا مرابطة عندها.. منذ الامس.. انها امور فوق طاقتي.. ارجــو ذلك يا دكتور.. من اجلها على الاقل.. اه.. انه لكرم من حضرتـــك.. كـــرم كبير.. انا لم اجرؤ.. لن اطلب منك ذلك.. لقد اتعبتك معي اكثر مما ينبغي.. نعم.. نعم.. يا دكتور... نعم الجار.. بارك الله فيك.. شكرا.. شكرا جزيــلا.. يا دكتور. سافعل بالتأكيد.. سأتصل بك.. الف شكر يـــا دكتـــور.. الـــف.. شكر..مع السلامة.. (تضع السماعة وقد غدت في حال افضل) يا ليتـــك لا تتأخر.. (تندفع نحو المكتبة كمن تذكرت امرا.. تسحب احد المجرات مـــن الجزء السفلي.. تتناول منشفة.. تطويها بضع طويات..تخرج. تغيب بضـــع ثون.. تعود بها مبلولة. تدخل غرفة شـــلير.. ولا تعـــود. نســـمع ســـوى صوتها.. مختلطا.. بصوت هز المهد) نامي.. يا شيلا يا.. حبيبتي.. نـــامي يا حبة القلب.. نوم الشفاء والعافية (تشرع الشمس تنحسر رويدا.. رويــدا عن الغرفة.. وعن الحديقة.. ينساب صوتها.. عبر فتحة البـــاب.. رقيقـــا دافئا.. بحنان فائق وجمال آسر وهي تغني.. بلا موسيقى، اغنيـــة فـــيروز

"يالله.. تنام ريما")

يالله تنام ريما

يالله تنام شيلا.

يالله يجيها النوم

يالله تحب الصلاة.

يالله تجيها العوافي.

كل يوم بيوم.

يالله تنام.. يالله تنام.

لاذبح لها طير الحمام.

روح يا حمام لا تصدق

اضحك ع ريما تتنام.

اضحك ع شيلا تتنام.. تتنام.. نام..م م م.

(يخفت صوتها رويدا.. رويدا.. وهي تهدهد الطفلة. كما يخفت صوت اهتزاز المهد.. مما يحمل على الاعتقاد بانها قد غفت مع ابنتها. موسيقى مناسبة لفترة وجيزة، ثم يرن الجرس.. لا حركة، يتكرر الرنين. تدخل فزعة تلتقط سماعة الهاتف) اه.. يبدو اني غفوت.. آلو.. نعم.. (يعود الرنين.. تنتبه انه صوت جرس الباب، تعيد السماعة.. من فتحة النافذة، تخاطب القادم..) لحظة.. لحظة واحدة انا قادمة (ثم) قال بعد ساعة ولم تمض سوى دقائق (تنظر إلى ساعتها) مواعيد تجار!! (تتوجه نحو الباب) حتى اني لم اغير ملابسي (تتوقف) لا.. لا.. ينبغي ان استقبله بهذه الملابس.. او.. على الاقل.. يتوجب ان لا يراني بهذا الحال (تسرع إلى المرآة.. تعدل من هندامها تمشط شعرها، تضع مكياجا خفيفا، بسرعة تدخل غرفة الطفلة.. ثم تعود مرتدية روبا موردا. تشد حزامها

على قوامها الرشيق تسرح شعرها ثانية، تلقي نظرة على نفسها، تطمئن.. تسرع نحو الباب قبلما تفتح الباب تعود مسرعة. تتناول باقة الورد.. تخفيها وراءها، تريد مفاجأته. تمتاز حركاتها بالنشاط والمرح) لقد جئت في الوقت المناسب.. المناسب تماما (تفتح الباب بلهفة وشوق.. وفجأة تنتكس. بدهشة كبيرة مشوبة.. بالامتعاض. متراجعة إلى الوراء) انت؟

هو: (من الخارج صوته فقط) كما ترين انا..

هي: لم اتوقع ان..

هو: انا.. ايضا.

هي: اذن؟

هو: الا تسمحين لي بالدخول؟

هي: (تتراجع اكثر.. تفسح له الطريق) آ آ.. (يدخل رجل في حدود الاربعين بهندام متواضع. تبدو عليه سيماء من اقبل من سفر. يترك حقيبته على الارض. يسدَ الباب خلفه. يتصرف كمن دخل بيته) ترى اية ريح حملتك الينا (تستدير. تعيد باقة الورد إلى موضعها.. دون ان تدع الرجل ينتبه للامر، تدسها بين شجيرات الاس. تخفيها)

هو: الا.. تدرين؟

هي: (تهز كتفيها) لست قارئة غيب.

هو: (بدهشة) حقا؟ حقا لا تدرين؟

هي: وانى لي ان ادرى؟.

هو: عجيب.

هي: اوتشك؟

هو: استغرب..

هي: تستغرب؟

هو: لعلك نسيت..

هي: نسيت ماذا؟

هو: الرسالة (يمد يده إلى جيبه) رسالتك.

هي: (باستغراب) رسالتي؟

هو: او رسالة غيرك. فالخط لا يشبه خطك.. انظري.

هي: اه.. (ساهمة) لقد مضى عليها زمن طويل.

هو: طويل؟ ابدا.. لقد استلمتها قبل بضعة ايام فقط.

هي: يفترض انها قد وصلتك.. منذ شهر.. او اكثر..

هو: ليس ذنبي اذا كانت قد تاخرت في البريد.. او..

هي: لا.. لا.. ليس ذنبك

هو: امل.. ان لا يكون الاوان قد فات.

هي: لا.. لا اظن (تتوقف) ولكني لا احسب الوقت مناسبا.. الان..

هو: لم تحددي.. وقتا معينا.

هي: ربما.

هو: بل بالتأكيد.. هاك.. اقرايها

هي: (تتجنبها) معك سيارة؟ حمالون؟

هو: (بدهشة) سيارة..؟ حمالون؟ لماذا؟

هي: كيف تنقلها اذن؟

هو: (تشتد دهشته) انقل ماذا؟

هي: الم تعرف ذلك من الرسالة؟

هو: الرسالة مقتضبة جدا.. تشبه برقية في غاية البخل. احضر لأمر عاجل. ذلـك

كل ما في الرسالة.

هي: وهكذا لبيت الامر العاجل بعد كذا يوما..

هو: البصرة ليست حيا من احياء كركوك.. وثمة اعمالي ومسألة الاجازة و..

هي: و.. الفتور في الحماس.. و.. و..

هو: لا.. حماسي.. ليس فاترا..

هي: واضح.. واضح جدا..

هو: الا تصدقين؟

هي: اوه.. ما الذي يتغير سواء صدقت او لم اصدق.؟

هو: لا يتغير. يتغير الشيء الكثير..

هي: حقا؟

هو: قلت لك يوم افترقنا، انني وبالرغم من كل شيء، رهن اشارتك.. ولن اتــردد في تقديم ما استطيع..

هي: اقوال.. اقوال.. لا احد يحاسب احداعلى اقواله.

هو: ماذا تعنين؟

هي: واضح ما اعنيه.. لا ضريبة على الاقوال.

هو: ليكن.. لا تصدقي.. (منتفضا) على اية حال.. كانت لي اسبابي و..

هي: و.. ماذا.. ايضا..

هو: خشيتي..

هي: ممَ؟

هو: ان يكون حماسي صرخة في صحراء، لا جواب ولا حتى صدى.

هي: ماذا تقصد؟

هو: كأن يكون من جانب واحد.. كما كان اكثر الاحيان.

هي: انه.. كذلك.. (بتكابر) من جانب واحد، فعلا.

هو: هكذا.. اذن؟

هي: وماذا تظن؟ فاض بي الوجد؟ جنني الشوق؟ ارتمي في احضانك اول ما اراك؟

هو: لن اسمح لنفسي ان يبلغ بي الحمق هذا الحد. اعلم ان لك طبعا لا يلين. ولكني حسبت ان الفراق

هي: (تقاطعه) قد طبخني بناره جيدا. واذ تاتي تجدني اكلة ناضجة جاهزة للابتلاع.. اليس كذلك.؟

هو: (يهم ان يقول شيئا. ولكنه يمتنع فجأة، يكتفي بالتحديق بها، ورسم علامة يأس خرساء بيديه).

هي: اراك سكت؟

هو: وماذا اقول؟ (ثم) ان لك طريقة غريبة في النقاش.

هي: غريبة؟ انا؟..

هو: تختلقين الجواب اولا.. ثم تصوغين السؤال.

هي: لأني اعرف كل ما تفكر به. اقرأ افكارك وهي في ذهنك.

هو: لو قلت لك اني لم افكر على هذا النحو.. هل تصدقين.

هي: لا. بصراحة.. لا..

هو: اذن ما الجدوى؟ ما جدوى أي حوار ينطلق احد طرفيه من ارضية كونكريتية..

هي: انها.. ارضية.. الحقيقة..

هو: بل ارضية العناد والمكابرة التي لا معنى لها.

هي: (تهم ان تتكلم، ولكنه يسترسل ولا يدعها)

هو:على اية حال (ثم) ما الامر العاجل الذي جلبتني من اجله؟

هي: لقد اردتك بشأن.. (تتوقف)

هو: (بقلق) بشأن ماذا؟ (ثم باضطراب) شلير.؟ بشأن شلير يا مريم.؟ اهي بخير؟ اين هي؟ لماذا لا اراها؟

هي: نائمة.

هو: قبلما تغيب الشمس؟

هي: الا تصدقني؟

هو: بلى.. بلى.. ولكن الوقت مبكر جدا.. اهي بخير؟

هي: بخير.. بخير.. (كمن تخاطب نفسها) امل ان تكون بخير..

هو: تأملين؟ اذن فهي ليست كذلك.. ماذا بها يامريم؟ دعيني ارها (يسرع نحو الداخل).

هي: (تقف بوجهه) دلير.. اسمع.. دلير.

هو: (يتوقف) دلير؟ منذ متى لم اسمع اسمي يخرج من بين شفتيك..

هي: (ترتبك) اسفة.. اوه.. لم.. (يزداد ارتباكها)

هو: اسفة؟ اسفة لانك نطقت باسمي.. لماذا يامريم؟ لماذا الاسف؟

هي: مازلت كما كنت.. تتوقف عند كل كلمة.. تدقق في كل لفظة.. تحاسب على كل هفوة..

هو:طبائع الانسان لا تتغير بين ليلة وضحاها..

هي: ليلة وضحاها؟ لقد انقضت السنة.. او كادت..

هو: حتى لو انقضت سنوات.. الطبع الاصيل في الانسان لا يتغير.

هي: يتغير اولا يتغير.. ليست هي المشكلة..

هي: وما هي المشكلة؟

هي: ارجوك.. لست مستعدة لتبديد المزيد من الوقت في كلام لا طائل تحته..

هو: الديك.. ما هو اهم؟

هي: طبعا.. والا لما استدعيتك.

هو: حسنا.. دعينا نسمع..

هي: (تتغلب على ترددها) في البيت.. اشياء.. حاجيات.. وما شابه.. تعود اليك.. وقد..

هو: من اجلها طلبت حضوري.

هي: انها لك.. ومن حقك ان تأخذها..

هو: (يضحك بمرارة وهو يجيل النظر) لقد تغير البيت كثيرا، والحديقة.. ايضا..

هي: لا شيء يبقى على حاله.

هو: قطعت كل الاشجار العالية.

هي: البيت بيتي وانا حرة في التصرف..

هو: لم تبق شجرة واحدة، تعلو شجيرات الاس (يمرر يده فوقها)

هي: شتلت بدلا عنها الزهور.

هو: (بألم) حتى شجرة الزيتون العملاقة ذات الظلال الوارفة.. راحت.. اندثرت.. لم يبق منها سوى جذع، سينخر فيه الدود.

هي: اخذت تعلو وتتعشب كثيرا..

هو: اكثر مما ينبغي..

هي: بالضبط.. اكثر مما ينبغي..

هو: (يتلمس جذعها المتبقي، بحسرة) كنا قد زرعناها معا.. في الاسبوع الاول من..

هي: (تقاطعه) قلت لك تعشبت، واخذت تحجب الشمس عن البيت.

هو (مسحورا بالذكرى) كانت هنا، بخضرتها الدائمة، وظلالها الوارفة.. ما اكثر ما قضينا امسيات الصيف تحت فينها، شلير.. تلهو بلعبتها.. وانت وانا نلهو بمراقبتها.. ونضحك لكركراتها و..

هي: (بضجر) اووووف..

هو: كان يمكن ان تكتفي بتشذيبها

هي: ليس من حقك ان تحاسبني على شيء.. ولا حتى تلومني

هو (بسخرية مرة) البيت بيتك.. وانت حرة..

هي: اجل.. البيت بيتي، خلفه لي ابي، هل تنكر؟

هو: (على الرغم منه) ابوك خلف لك خرابة، مجرد خرابة..

هي: وانت الذي احلتها بيتا لائقا بجهدك. وكدك، لقد سمعت ذلك الف مرة. هل لديك ما تضيفه؟

هو: اضافة صغيرة، او بالاحرى تصيح صغير، بجهدنا وكدنا معا.. انت وانا.. ذلك ما كنت اقوله. دائما واقوله الان.. واقوله ما حييت.

هي: ومع هذا فالبيت بيتي.. بيتي وحدي.

هو: صاحبته ومالكته، وباقرار مني.. اعترف، ولكن لو تركت فيه شيئا ما..

هي: مثل ماذا، يعني؟..

هو: شجرة الزيتون مثلا، شاهدة وحيدة على ذكرياتنا المشتركة، في الاقل..

هي: شجرة الزيتون كانت الشجرة الاولى، التي جال فيها المنشار..

هو: (متوجعا) اه..

هي: لا اريد في بيتي شيئا يذكرني.. بك.. وبتلك الايام.

هو: قد لا يكون ذلك.. راي الطفلة.

هي: الطفلة؟ لا.

هو: من حقها ان لا يلغى ابوها من ذاكرتها الغضة.

هي: بعدما تكبر وتعي.. لها الحق ان تقرر ما تريد.

هو: سوف تسلبينها.. حقها هذا.

هي: انا؟

هو: ولهذا السبب تتخلصين.. من كل ما يمت الي بصلة..

هي: لا.. ليس الامر كذلك..

هو: بل كذلك.. كي لا تقع عينها على مخلفاتي.. وتسأل ذات يوم..

هي: لا عين تقع عليها.. فقد اغلقت دونها الباب، لو استطعت لأقمت مكان البـــاب حائطا.

هو: لماذا يا مريم؟ لم كل هذا الحقد؟ لسنا اول زوجين ينفصلان.

هي: لا استطيع ان اهضم فكرة كوني.. المرأة الثانية في حياة احد، لا سيما بعدما اخترت هذا الاحد.. زوجا لي.. انها اهانة لا تنسى.

هو: لم تكوني كذلك قط. فانت الاولى..

هي: بيد اني لست الاخيرة..

هو: بعدما حصل الذي حصل.. لا اظن من حقك ان..

هي: وقبلما يحصل الذي حصل؟

هو: كنت.

هي: تكذب.

هو: (بحدة) مريم.

هي: وسعاد؟

هو: ليست سوى زميلة.. اوهامك هي التي منحتها صورة اخرى.

هي: ارجوك

هو: ام ار احد انزل اوهاما، خلقها لنفسه، منزلة اليقين مثلك.

هي: ولم ار احدا تعامل مع الحقائق.. كما تتعامل النعامة مع الصيادين.

هو: هل انت منهم؟ من الصيادين؟

هي: (باحساس بالعجز) لماذا لا تأتي باحد يعينك على نقل حاجياتك وتسدل الستار على كل شيء.

هو: كما يحدث في المسرحيات عادة (منتفضا) ولكن حياتنا لم تكن مسرحية.

هي: كل حياة عبارة عن مسرحية، لها بداية ولها نهاية..

هو: النهاية الطبيعية.. لا المقحمة..

هي: ارجوك.. ابحث عمن يعينك..

هو: الآن؟

هي: وكلما اسرعت.. كان افضل.

هو: الا ترين الوقت قد تاخر.. واخر القطارات قد غادر المحطة.

هي: (تنظر الى ساعتها) آ.. آ.. ربما.. لندع ذلك للغد.. فقط قل لي في اية ساعة ستاتي.

هو: لن آتي..

هي: نعم؟

هو: لقد سمعت بوضوح.

هي: اتعني انك ترسل شخصا آخر؟

هو: لا..

هي: لا.. كيف؟

هو: لست بحاجة الى حاجاتي..

هي: وانا الاخرى.. لست بحاجة الى حاجاتك..

هو: اذن دعيها حيث هي.. وانسي امرها.

هي: يا لفرط ذكائك!

هو: ذكائي؟ ما علاقة الامر بالذكاء.

هي: جحا، بعد كذا قرنا، يدق مسماره مجددا.

هو: (بدهشة) ماذا تعنين..؟

هي: حكاية مسمار حجا.. قد تهرأت.. ولم تعد تنطلي على احد..

هو: ما اسوأ نواياك يا مريم!!

هي: انا بحاجة الى الغرفة التي تشغلها.

هو: ارميها خارجا وتمتعي بفراغ الغرفة.. كما يروق لك..

هي: انت من ينبغي ان يفعل ذلك..

هو: هل تنقصك الشجاعة؟ الذي اعرفه عنك انك امرأة شجاعة

هي: انا فعلا كذلك.. حين اريد ان اكون..

هو: اذن ما الأمر؟ لماذا لا تريدين ان تكوني..

هي: لا المس شيئا.. لا يعود لي..

هو: كل الاشياء.. لك..

هي: كانت.. وهي الان لم تعد..

هو: تقولينها بلا اية نبرة اسف.

هي: اسف؟ اسف على ماذا.. على مجموعة نفايات؟

هو: نفايات؟ سريرنا المشترك.. دولاب ملابسنا.. البوم صورنا.. اشرطة الاغاني التي كنا نسمعها معا.. فيروز.. علي مردان.. نفايات؟ مجرد نفايات..؟ اه.. ما اشد قسوتك!!

هي: (تنظر إلى ساعتها بقلق) اننا نبدد وقتنا بلا موجب.

هو: قولي انت تبدد وقتي.. بلا موجب..

هي: كما تشاء.. ها انت قلتها بدلا عني..

هو: هل اعتبر هذا.. امرا بالخروج؟

هي: آ.. انا.. انتظر زيارة.

هو: منه؟

هي: (تتردد) آ.. آ.. آ.. (ثم فجأة بجرأة) اجل.. منه..

هو: حتى قبلما تنقضي سنة؟ حريصة على الوقت حقا..

هي: فسر الامر.. كما يحلو لك.

هو: جلال.. اظنه يدعى جلال.

هي: تحرياتك عني دقيقة، دقيقة جدا..

هو: بل اهتمامي بك كبير.. كبير جدا..

هي: لم اطلب منك ان..

هو: لا افعل ذلك بناء على طلب من احد.. وانما تحقيقا لرغبة ذاتية.. بحت.

هي: كان يتوجب عليك ان توجه رغباتك وجهة اخرى.

هو: كما فعلت انت.

هي: (بضجر شديد) اوووه

هو: تاجر. علمت انه تاجر.. (لا تجيب) اليس كذلك؟

هي: بلى.. تاجر (كمن تتعمد اغاضته) تاجر كبير..

هو: (متجاهلا قصدها) من اجله تريدين الغرفة.

هي: من اجله؟ ماذا يفعل بغرفة.. لا تتجاوز كل مساحتها عشرة امتار.. ان البيت برمته لا يوازي ملحقا من ملحقات مستودعاته ومخازنه وقصوره..

هو: يخبيء فيها بعض مسروقاته..

هي: (بتحد) ليست له مسروقات.

هو: في اهاب كل تاجر وتحت مظاهر دعته وكلامه المعسول يختبـــيء لــص او اكثر من لص.

هي: جلال تاجر شريف.

هو: تاجر شريف؟ (يقهقه) تاجر وشريف؟ أي تناقض.

هي: (بحدة وانفعال) انه، وعلى الرغم منك، شريف.. ونبيل.. ومخلص..

هو: بعض الاقنعة ضرورية للتاجر، أي تاجر، للمضاربة او التعامل فـــي الســـوق بقصد تحقيق الربح.. غير الشريف وغير المستقيم. وغير وغير وغير.

هي: انه عجزك الذي اقعدك في وظيفة صغيرة بائسة يملؤك بكل هذا الحسد.

هو: الحسد (يضحك) احسد من؟ مجموعة مخلوقات تلعـــق الـــدم.. فـــي زمانــنـــا المشوه هذا بوسع أي لص ان ينافس قارون في امواله.. على اية حـــــال، يبدو انك مقتنعة و واثقة من حسن اختيارك..

هي: طبعا.. وماذا تظن؟ هل جذبتني اليه ثروته؟

هو: (يسكت، حركة استخفاف بكل شيء')

هي: لعلمك.. لقد اشترطت عليه.. ان يقيم هو.. عندي.. في بيتي.

هو: ما الفرق؟

هي: الفرق اني اقطع السنة السوء التي تتقول علي باني تزوجته طمعا في امواله وقصوره..

هو: كل زواج فيه قدر من الطمع.

هي: حتى.. حتى زواجنا؟

هو: حتى زواجنا..

هي: بماذا تراني قد طمعت.. حين وافقت على الزواج منك.

هو: لا اعرف بماذا طمعت.. انت.. ولكني اعرف بماذا طمعت. انا.

هي: هي: هكذا.. هكذا.. افصح عن مكنون نفسك.. عما اخفيته طيلـــة الســنوات السابقات.. اذن فقد كنت طامعا في..

هو: في خرابة ابيك (يضحك) ما انت الا مجنونة.

هي: انت الذي تفضح نفسك..

هو: ليست فضيحة.. انها الحقيقة.. لقد كنت طامعا في حبك.. في حيـــاة ســعيدة نحياها معا.. ولكنك.. (ثم).. اخ.. ما جدوى الكلام..

هي: لا.. لا.. جدوى.. (صمت)

هو: تحبينه.. حقا؟ (لا تجيب) الست واثقة من مشاعرك.. ام ترفقضين الاجابة..؟

هي: الامر يخصني.. يخصني وحدي..

هو: منذ.. متى تعرفينه؟

هي: وهل لذلك.. اية اهمية؟

هو: في.. في.. اقصد.. خلال.. فترة زواجنا؟

هي: لست المرأة التي ترتبط برجلين.. ماذا تحسبني.؟

هو: ارجو.. ذلك.

هي: لماذا؟ ما شأنك انت؟ بعدما افترقنا وانتهى كل ما بيننا.

هو: اعرف.. باني لم اكن مغفلا.. اكثر مما ينبغي. على الاقل.

هي: بيد انك تتمنى لو كنت..

هو: لو كنت مغفلا.. وكنت.. انت.. لا.. لا..

هي: بل.. نعم.. نعم..

هو: مستحيل! كيف؟.. لماذا؟

هي: تتخلص، او على الاقل، تخفف من وطأة احساسك بالذنب.

هو: الذنب؟ انا؟ لماذا؟

هي: نسيت؟ بهذه السرعة نسيت نيران الشكوك التي كنت تشويني فوقها ليل نهار.

هو: لا اظنك تعنين ما تقولين

هي: بل اعني.. اعني كل ما اقوله.

هو: حقا..؟

هي: الم تطلب مني ان اسجن نفسي في البيت.. كي لا التقي بزملائي في العمل.

هو: يا الهي كيف تجروين على قلب الحقائق بهذا الشكل الفظيع؟ كل ما اردته منك ان تأخذي اجازة من اجل شلير وتربيتها.. لا سيما بعدما طردت اختي التي كانت تعتني بها في غيابنا.. ولم تعودي تطيقين احدا من اهلي.

هي: اوه.. لا تذكرني بهم.

هو: تبغضينهم الى هذا الحد؟ لماذا؟ انهم لم يسيئوا اليك.

هي: اناس دبقون.. يسدون مسامات جلدي..

هو: كانوا هنا.. من اجل العناية بشلير.

هي: بل نصبتهم جواسيس.. يعدون علي انفاسي.

هو: جواسيس؟ سامحك الله.. ماذا اقول.. غير سامحك الله.

هي: اولا يسامحني.. تكفيني ثقتي بنفسي، بطهري وعفتي..

هو: لم تكوني موضع شك من قبل احد.

هي: بل كنت.

هو: (بدهشة شديدة) كنت؟

هي: ومن قبلك انت بالذات.

هو: هراء.. هراء وافتراء.. فانا بالذات.

هي: (تقاطعه) ارجوك.. اخرجني من هذه الحلقة الخانقة التي ندور فيها.. هي تريدني اختنق؟

هو: (متراجعا) لا. لا. بالتأكيد.. ولكن لتقري على الاقل، باني لست من يتعامل مع الناس والحقائق.. مثل النعامة..

هي: ارجوك.. الوقت قد تاخر.. ويتوجب علي ان.. ان (تشير الى ملابسها)

هو: تتهيأي لاستقباله..

هي: ها.. قد عرفت..

هو: ليكن.

هي: (بحماس) عظيم (تستعد لتوديعه)

هو: لم افكر قط، ولا رجوت ذات يوم.. ان تنتهي حياتنا هذه النهاية البائسة

هي: (بتكابر) البائسة؟ البائسة بالنسبة.. لمن؟

هو: لنا كلينا.. لي.. لك.

هي: لي؟ انت واهم.. قد تكون كذلك بالنسبة لك وحدك.

هو: و.. انت؟

هي: (حالمة) انا.. سأخوض غمار تجربة اخرى، حياة جديدة، احرص وابذل المستحيل في سبيل ان ابعد عنها شبح البؤس والتعاسة..

هو: امل ان تحققي ما تنشدين.. وتعثري على اسباب هنائك..

هي: شكرا (تمد له يدها)

هو: (يتجاهلها. يخاطب نفسه) بات حتما علي ان احمل صليب اوجاعي وحدي.

هي: كل انسان مسؤول عن اختياره.

هو: ولكل اختيار ضريبته التي ينبغي ان تدفع..

هي: ذلك قانون الحياة.

هو: (هائجا) ولكني لم اختر الافتراق. انت التي دفعت الامور الى هذه الحالة..

هي: بعدما وصلت حياتنا الى طريق مسدود.. كان الافتراق الانفراج الوحيد.

هو: لم يكن طريقنا مسدودا، على الاطلاق، كان مفتوحا دائما علـــى المســتقبل.. على الامل.. على..

هي: ربما (ثم بنبرة حاصة) كان.. (اشارة الى ماض ولى)

هو: بالم شديد) اه..

هي: ارأيت؟ صدقت الان؟ اقتنعت؟

هو: ما اقسى ان تفر منا كل تلك السنوات المترعات بالحياة.. بحلوهـــا ومرهـا وتقبع في زاوية مهملة، تحت اسم "كان" يتراكم فوقها غبار الايام وتدفعـــها اقدام الزمن الوحشية.. الى هوة النسيان.

هي: ذلك مصير كل حياة، تتهدم فيها جسور الثقة.. وتجف فيها شجرة الحـب. اذ تقرض جذورها ديدان الشك والاتهامات الباطلة..

هو: صحيح.. ما تقولينه.. صحيح..

هي: واذن؟

هو: عدا.. مسألة.. تتجنبين الاقتراب منها..

هي: قلت.. كل ما عندي بوضوح.

هو: الا.. امرا واحدا.. اساسيا.. على من تقع مسؤولية افراغ حياتنا من معناهـا. وتدميرها بذلك الشكل الفظ.

هي: (راغبة عن الاستمرار) قد اجبت.. اكثر من مرة..

هو: واخطأت.. شأنك.. كل مرة..

هي: ذلك ما تعتقده.. انت.

هو:ذلك.. هو الواقع.

هي: الواقع.. منظورا اليه.. عبر عينيك.

هو: لك طريقة.. فذة في الدفاع.

هي: حين يتعرض المرء، لهجوم يومي. بل عشرات المرات في اليوم الواحدلا بد ان يتعلم.. ويبتكر اساليبه الخاصة.. لحماية نفسه..

هو: وها.. قد تعلمت وابتكرت.. بل وابدعت في الابتكار.. حتى باتت كل حقائق الكون عاجزة عن احداث خدش صغير في اسوار عنادك.

هي: بل قناعاتي.. وهي منطلقة من ارض الواقع.. معجونة بمعطيات سنوات العذاب التي عشتها معك (يهم ان يتكلم. تسكته) ارجوك.. أي جدوى من دفن الوقت في ثنايا حوار عقيم (ترنو الى ساعتها)

هو: يبدو اني اهدرت من وقتك اكثر مما ينبغي، اكثر مما استحق فعذرا انا اسف. اسف جدا. سارجع من حيث اتيت.

هي: (بصراحة) خير ما تفعل، مع السلامة.

هو: ولكن قبلما اخرج.. لدي رجاء.

هي: (بتأفف) تفضل.

هو: هل لك ان تحققي لي طلبا.؟

هي: ما هو؟

هو: الم تعرفي حتى الان؟

هي: نعم؟

هو:ولم تحدسي.

هي: (بضجر متصاعد) نعم. لم احدس. حاسة الحدس عندي معطلة.

هو: ولم تسألي نفسك لماذا مكثت هنا. كل هذا الوقت؟

هي: (متضايقة) ارجوك، كف عن اعتباري تلميذة، تحت الاختبار. قل لي

بوضوح، ماذا تريد؟

هو: شلير.

هي: شلير؟ (تنتفض برعب) انت تطلب المستحيل.

هو: لماذا؟

هي: لو اقتلعت كلتا عيني.

هو: ارجوك.. انا..

هي: لا. لا. لا استطيع.. لا استطيع البتة.

هو: ما معنى لا تستطيعين؟

هي: ليس لذلك سوى معنى واحد. وهو مفهوم.. وواضح جدا..

هو: (مصعوقا) هـ.. هـ.. هل يمكن؟ لا.. لا.. اصدق.. لا اصدق.

هي: بل صدق.. الطفلة قد نسيتك او كادت.. والافضل لها ولنا جميعا ان تنساها انت الآخر.

هو: انساها؟ ما الذي تقولين؟ انسى ابنتي؟ هل انت مجنونة؟

هي: اكون مجنونة حقا.. لو تركتك ان..

هو: اسمعي يا مريم. ربما تسامحين نفسك ذات يوم لانك لم تقدمي لزوجك القادم من رحلة طويلة شاقة، قدح شاي.. او كأس ماء.. وقد اسامحك انا ايضا.. ولكني لن اسامحك ولا اظنك ستسامحين نفسك، يوما اذا تقفين حاجزا شيطانيا بين اب وابنته الوحيدة.

هي: وفر مقدرتك الكلامية.. وموهبتك البلاغية لنفسك، فانك لن تؤثر بهما على قيد شعرة.

هو: يعني.. يعني.. ماذا.. هـ.. هـ.. هل يطاوعك قلبك ان اذهب من دون ان..

هي: بكل تاكيد.

هو: (يهجم عليها ولكنه يتوقف) طيلة عشر سنوات من حياتنا المشتركة لم ارفـع يدي. بل لم تسمعي مني كلمة نابية.. والان..

هي: والان.. ماذا تنوي ان تفعل.. تضربني.. تشتمني.. تسبني.. هيـا.. افعـل.. افعل كل ما تشاء وتريد..

هو: لا. لا. ابدا.. لتبتر كلتا يداي.. ان مستك احداهما.. ليقطع لسـاني ان قذفـك بكلمة غير لائقة. لست من ذلك النمط من البشر ولن اكونه مـا حييـت.. ولكني اقسم لك.. بكل ما هو مقدس. اقسم لك بشلير نفسـها. ان لا ابـرح مكاني هذا (يتربع جالسا) حتى يرتد اليك عقلـك.. وتحققـي لـي طلبـي الوحيد.. برضاك وقناعتك.

هي: عبث كل ما تفعله عبث.. حتى ولو احلت نفسك جذعا مـن هـذه الجـذوع المقطوعة او قطعتني.. اربا.. اربا..

هو: اذن اعتبريني منذ اليوم جذعا من جذوع اشجاري المقطوعة.

هي: تاكيد يا دلير.. انه لاهون علي الف مرة ان تأخذ كبدي من بيـن ضلوعـي وتمضغه امام عيني.. او تاخذ روحي من جسدي وتـتركني جثـة هـامدة للدود.. من ان تاخذ مني شلير.

هو: (ينهض بانتباهة خاصة) آخذ شلير؟ ما الذي تقولين؟

هي: خذها كلمة اخيرة يا دلير.. لو اطبقت السماء على الارض فاني لـن اتخلـى عن شلير يوما واحدا.

هو: ومن الذي يطالبك بالتخلي عنها.. ساعة واحدة او حتى ثانية واحدة..

هي: ها (تغدو في حالة غريبة) ها؟.. حقا؟ حقا؟ حقا؟ أ أ.. الا الا..

هو: كل ما اطلبه منك وارجوه.. ان تسمحي لي بالقاء نظرة عليها.. وعناقها.

هي: لـ.. لـ.. لقد.. حسبت انك..

هو: ارأيت الى ما يقودك تسرعك وعدم ترويك في اتخاذ قراراتك.. ارايت مـــدى الشطط الذي يمكن ان تقعي فيه.. جراء تهورك..

هي: (ساكنة. لا تريم.. مكانها)

هو: (برقة) هلا.. سمحت لي برؤيتها.. رؤيتها حسب. لا. خطفها.

هي: (تحاول تدارك حالها وارتباكها) انها.. انها.. نائمة..

هو: اكتفي بالنظر اليها من بعيد.. لن ادعها تشعر بوجودي..

هي: (تنظر الى ساعتها بضيق) الوقت متاخر.. وانا..

هو: لن امكث عندها غير ثوان.. بوسعي.. تقدير حالتك..

هي: ليست حالتي انا.. انما.. انما حالتها هي.. حالة شلير.. ما افكر فيها..

هو: حالة شلير؟ ماذا بها؟ ماذا بشلير يا مريم.. انطقي.. تكلمي..

هي: مـــ.. مـــ.. (تبكي) مـــ.. محمومة.. منذ الامس.. و..

هو: وماذا ايضا؟ كيف تخفين امرها عني حتى الان (يندفع الى الداخل)

هي: (تحاول منعه) دلير.. دعها.. انها نائمة.. لا توقظها

هو: (يدفعها) لا قوة في الكون تمنعني.. هل تسمعين؟ (يدخل)

هي: آه.. (تتصلب، تقاوم رغبتها في الدخول. تنظر الى الباب الخارجي تارة والى ساعتها اخرى. والى الداخل ثالثة بقلق متزايد) لا تلمسها.. يـــا دلـــير.. لا توقظها..

هو: (يعود مسرعا) جسمها ملتهب غارقة في العرق.. وبطنها يسبح.

هي: ثانية؟ لقد نظفتها ونشفتها قبل هنيهة (تجري نحو الداخل يجـــري خلفـــها. توقفه) لا.. ارجوك.. دعني وحدي.. مع ابنتي.

هو: انها ابنتي.. مثلما هي ابنتك يا مريم (يسبقها. يغيبان بعض الوقت)

هي: (خارجة) تعال.. تعال.. ستتحسن حالتها.. دعها الآن.. دعها..

هو: (يتبعها) حالتها سيئة جدا.. لا يمكن تركها.. دون طبيب

هي: ليست ثمة خطورة.. لقد طمأنني الدكتور بنفسه.

هو: يجب اخذها.. الى المستشفى.. باسرع وقت..

هي: الطبيب قادم في اية لحظة.. لقد وعدني.

هو: متى.. متى حالتها لا تتحمل أي تأخير.

هي: سيأتي.. سيأتي.. حالما ينتهي من مرضاه.

هو: اخشى ان يتاخر ويفـوت الاوان.. لنأخذهـا اليـه.. او الـى المستشـفى.. فالمستشفى قريب.. لا يستغرق سوى دقائق..

هي: نأخذها؟ معا؟ انا وانت؟

هو: لم لا؟ ما الضير؟

هي: حقا؟ الا تعرف ما الضير..؟ ام انك تخطط لـــ..

هو: آه.. حتى في هذا الوضع الصعب لا تتخلين عن اوهامك وعنـادك.. خذيـها انت وحدك..

هي: اخذها.. حين اقرر انا..

هو: اذن قرري.. واسرعي.. او دعيني اخذها وحدي..

هي: انها.. ابنتي..

هو: وابنتي.. ايضا..

هي: ولكني انا المسؤولة عنها.. بحكم القضاء.

هو: اعرف ان القضاء قد حكم بها لك. ولكن لا حكم القضاء ولا حكمـك، ولا أي حكم في الكون.. بقادر على الغاء ابوتي. ولا حتى تجميدها.. انا ابوهـا.. ابوها.

هي: اعرف.. اعرف.. كف عن الزعيق.. انها بخير.

هو: اسمعي يا مريم.. ما دمت حريصة على موعدك معه الى هذا الحد فانتظريه.. انتظري فارسك الى ما تشاءين.. اما انا فلا يطاوعني قلبي على تركها بهذه الحالة، ثانية واحدة (يدخل)

هي: اه.. لا.. لا.. (تتعلق به. تمنعه من الدخول. يدفعها عنه) لا. لا... يا مجنون.. لن ادعك تاخذها.. مني.. لا.. لا.. (تمسك رجله).. لن تنتزعها مني..

هو: دعيني.. يا مريم.. دعيني (يحاول تخليص رجليه منها)

هي: سر على جثتي.. ان شئت.

هو: اعقلي.. يا مريم.. اعقلي (يدفعها ثانية. تخطف المقص. تقف بوجهه. تسد مدخل الباب)

هي: حاول.. يا هذا.. حاول.. (تلوح له بالمقص)

هو: (يتراجع، بصوت باك) ستموت.. طفلتنا الوحيدة ستموت..

هي: تموت.. لو.. لمستها يدك.. ابتعد عنها.. تكن على خير ما يرام.

هو: مريم.. انا ابوها.. لا يمكن ان اريد لها الا الخير.

هي: وانا.. هل اريد لها الشر؟

هو: حاشاك.. انت من فرط حبك.. تجنين عليها.

هي: انا اجني عليها؟ اجني على شلير؟ انا افديها بروحي.. بحياتي..

هو: كل عواطفك الجياشة التي لا اشك في صدقها ونبلها. لا تجدي الطفلة في وضعها الحالي قلامة ظفر.. دعيني اخذها الى المستشفى.. ثوان واعيدها اليك.. ثوان وحسب.

هي: لا. لا. انت تخطط لخطفها. لقد عرفت باني ساتزوج وجئت لكي تخطفها مني.. ولكن هيهات.. هيهات.

هو: اية مجنونة انت! هل سمعت بأب خطف ابنته.

هي: بغضك لي وحقدك علي، يمكن ان يدفعاك الى أي شيء.

هو: انت مخطئة يا مريم.. يا عزيزتي.. انا لا ابغضك ولا احقد عليك.. صدقيني.. انا ما زلت اكن لك كل الاحترام والحب.

هي: لا.. لا.. لن اصدقك.. لن اصدقك ابدا.

هو: آه.. يا الهي.. كيف السبيل اليك.. كيف السبيل الى اقناعك.

هي: لا سبيل. لا سبيل البتة.. والافضل لك ان تقلع عن كل محاولاتك.. وتعود من حيث جئت.

هو: واترك طفلتي تموت؟

هي: انت سبب موتها.. انت.. تقتلها..

هو: انا اقتل ابنتي..؟

هي: لانك تريد قتلي.. لا تتردد عن قتلها..

هو: اية افكار سافلة هذه.. من الذي حشا رأسك.. بهذه التفاهات

هي: تعرف جيدا.. انها الحبل السري الذي يشدني إلى الحياة.. وهي وحدها من احيا من اجلها.. وان اقتضى الامر اموت في سبيلها.. لذا جئت تقتطعها مني.. لتقضي علي.. ولكن لا.. يا دلير.. لا..

هو: أي جنون هذا ياالهي.. أي جنون..

هي: جنون أم.. ليس لها في الكون كله.. سوى ابنتها.. فاذهب يا دلير.. اذهب..

هو: لو كان ما ينبض بين ضلوعي، قلب وحش وليس قلب انسان لما طاوعني على فراق ابنتي وهي على هذه الحال.

هي: سآخذها إلى المستشفى بنفسي.

هو: خذيها اذن. ما الذي تنتظرين.

هي: سياتي جلال.. وناخذها معا.

هو: لا.. يا مريم.. لا.. لن اترك ابنتي بيد شخص غريب.

هي: جلال ليس غريبا. سيغدو زوجي بعد ايام.

هو: حتى ولو غدا اباك.. يبقى بالنسبة للطفلة شخصا غريبا..

هي: انه يقدسها.. يحبها اكثر من نفسه.

هو: لا احد يحب ابنة غيره اكثر من نفسه، ولا حتى بعض حبه لنفسه..

هي: ليس كل الناس على غرارك. لا تجعل من نفسك نموذجا لكل البشر.

هو: ماذا بي؟ ما عيبي؟

هي: انت لا تحب الاطفال.

هو: انا لا احب الاطفال؟ اية كذبة وضيعة هذه.

هي: هل تذكر.. كم سنة ابقيتني محرومة من الاطفال..

هو: لأني لم ارد لأطفالي ان يذلهم الفقر، مثلما اذلنا، لا سيما، بعد الديون التي اثقلت كاهلنا بسبب بناء البيت.. اردت ان نتريث بضع سنوات لعل حالنا تتحسن.. ويكون بوسعنا توفير حياة كريمة لهم.. ولنا..

هي: كنت تماطل.. وتماطل.. املا ان ابلغ سن اليأس ولا يعود بوسعي الانجاب.. واحرم الى الابد من متعة الاولاد.

هو: لقد تم كل شيء بالاتفاق معك.. ماذا جرى لك؟ لماذا تشوهين الحقائق.. الى هذا الحد..؟ ماذا تجديك كل هذه الاختلاقات؟.. اه.. لكم تغيرت يا مريم.. خلال عام الفراق الذي جثم بيننا.. حين استمع اليك يخيل الي اني استمع الى امرأة لا اعرفها.. ولم يسبق لي ان عرفتها..

هي: انت فعلا لا تعرفني.. ولم تحاول يوما ان تعرفني.. عشر سنوات معا.. عشناها.. غريبين..

هو: ربما.. ولكن الاوان لم يفت.. دائما ثمة وقت لمن يريد ان يبدأ.

هي: لا.. الاوان قد فات.. فات منذ زمن طويل (صوت بكاء الطفلة).

هو: شلير.. شلير تبكي يا مريم (يندفع نحو الداخل)

هي: (تقف بوجهه) دعها.. لا تقترب منها.. لقد حذرتك (تلوح بالمقص)

هو: بكاؤها يفتت الحجر.. اتكونين.. اصلد من الحجر؟ ما انت؟ أي ام انت؟ لم تكوني قط بهذه القسوة.. ما الذي جرى لك؟ هل انت جلادة تجلد نفسها من خلال تعذيب ابنتها (يزداد بكاء الطفلة) تنحى عن طريقي.. يا مريم.. لا تدعيني افعل ما نندم عليه كلانا مدى العمر (يتدافعان.. صراع غير متكافيء.. ينزع منها المقص.. يرميه بعيدا.. يهرع الى الداخل.. ترتمي على قدميه).

هي: (تتعلق به) اقتلني.. اقتلني يا دلير.. ولا تأخذ مني ابنتي..

هو: لن اخذها يا مريم.. صدقيني (يتخلص منها).

هي: (تزحف وراءه) لا.. اه.. لا.. لا..

هو: (خارجا والطفلة في احضانه) انظري.. باية حالة غدت الطفلة.. لقد خفت.. تيبست.. تقيأت احشاءها..

هي: (بضعف شديد) دلير.. لا تقتلني.. اعد لي ابنتي..

هو: ان كنت تحبين ابنتك حقا.. فالحقي بنا.. في المستشفى.. ابنتك في امس الحاجة اليك.. هناك (يخرج، يتردد صوته من الخارج) تعالي الى المستشفى.. يا مريم.. اسرعي.. ارجوك..

هي: (تطلق صرخة هائلة) لا.. لا تخطفها يا مجرم لا تسرقها. سأسلخ جلدك. اقضم عظامك.. اه.. دعها.. دع ابنتي.. ايها.. الوحش.. انها ابنتي انا.. اه.. ابنتي.. ابنتي.. ماذا افعل.ز لمن اتوجه.. اه.. اه.. اني اختنق..

الشرطة.. الشرطة.. لابد ان استنجد بالشرطة.. او.. او.. جـــلال جـــلال.. اين انت تهجم على التلفون.. بسرعة كبيرة. تدير رقمـــا) عيـــادة طبيـــب؟ وماذا افعل بعيادة طبيب (تغلق التلفون) يا الهي رحمتك.. (تعصر رأســـها.. محاولة تذكر رقم تلفون جلال) جلال.. جلال (تدير القرص مرة اخرى) أين انت.؟ ماذا.. حل بك انت الاخر..؟ اجب.. هيا.. اجب.. هل خطفـــوك انـــت الاخر.. هل سرقوك.. اه.. اجب.. اجب يا هذا.. اجب.. (تلقي الســـماعة؟) لا.. لا جدوى.. لمن اتوجه.. يا ربي (تتحرك بهســـتيريا هنـــا وهنـــاك. لا تدري ماذا تفعل.. تنتقل من التلفون الى الباب.. تفتحه.. تتفحص الطريـــق. لا احد.. لا احد.. ماذا حل بك يا جلال.. ماذا حل بك (تغلق الباب، تعود الى التلفون تدير ارقاما اخرى. صوت سيارة تقف في الخارج. لا تنتبه. تبقـــى منهمكة في محاولاتها مع التلفون يرن جرس الباب، تهرع الى الباب. مـــن شدة ارتباكها تسقط على وجهه. تنهض بسرعة غير مبالية، تفتح البـــاب. صارخة) جلال! لقد.. بعث الله بك في الوقت المناسب.. لتنقذني مما صـــوت فيه، هيا.. يا جلال.. هيا (يهم هو بالدخول. بينما تدفعه هي الى الخـــارج) هيا بنا.. هيا.. قبلما يفوت الاوان.. هيا.. هيا تحـــرك.. لا تظـــل واقفـــا.. مخطوفا.ز مصعوقا..

هو: ماذا هناك.. يا مريم..؟

هي: هيا.. بنا.. هيا.. احكي لك كل شيء في الطريق.

هو: في الطريق.. الى اين.؟

هي: الى المستشفى.. الى جهنم.. الى أي مكان اختبا فيه.

هو: ولكن ماذا هناك.. يا مريم.. اخبريني..

هي: كارثة.. جلال.. كارثة.. حلت بي.. بك.. بابنتي.

هو: عن أي شيء تتكلمين؟ اية كارثة.

هي: كارثة زلزلت كياني.. انهارت الدنيا فوق رأسي.. (تجره) تعال.. تعال

هو: مريم.. هل انت بخير..؟

هي: كيف اكون بخير.. وقد ضاعت ابنتي..

هو: شلير؟ ضاعت..؟ كيف..؟

هي: خطفها.. سرقها.. امام عيني.. اه.. اه..

هو: مريم.. اهدأي.. ارجوك.. اهدأي.. واخبريني.

هي: اهدأ؟ كيف يعرف الهدوء طريقا الى قلب مفتت ضائع.. كيف؟ كيف؟

هو: (يمسك بها. يهزها) حبيبتي.. ارجوك..

هي: هيا.. يا جلال.. هيا.. نلحق به قبلما يهرب من المدينة.. تحرك يــا رجــل.. تحرك.. الست زوجي المقبل.. الست رجلي الذي اعول عليه.. مـــا بـــالك استحلت صنما..

هو: مريم.. انا.. انا..

هي: انت فارسي.. انت بطلي.. اعد لي ابنتي.. اكن عبدتك الى الابد..

هو: من؟ من اخذ ابنتك.. من؟

هي: هو.. هو.. المجرم.. الجلاد..

هو: ولكن من هو.. عودي الى رشدك.. واخبريني.. اخبريني فقط..

هي: جلال اعد لي أبنتي.. اعد لي روحي التي انتزعها من بين ضلوعي.

هو: يا الهي.. فقط لو تخبرينني من هو.. اخبريني.. اخبريني.. (يهزها).. قبلمــا افقد عقلي.. من؟ من اخذ شلير..

هي: دلير يا جلال.. دلير..

هو: ابوها؟ (يتخاذل)

هي: هو.. هو..

هو: (بفرح خفي) حضر؟ ابوها حضر؟

هي: ها قد عرفت.. هيا.. هيا بنا.. (تجره الى الخارج)

هو: على مهلك يا مريم.. على مهلك.

هي: يا لبرودك الصقيعي.. اسرع لنلحق بهما قبلما يختفيان.. واذ كنت لا تريد مساعدتي.. فتنح عن طريقي ودعني اتصرف..

هو: دعينا نفكر بترو يا مريم.. التهور والانفعال يقودان دائما الى الاخطاء.. التي لا يتمخض عنها الا المزيد من الاخطاء (يأتيها بقدح ماء.. يرش على وجهها.. يقدم لها القدح) خذي.. اشربي يا مريم.. اشربي.. اجلسي.. استريحي بعض الوقت..

هي: اجلس؟ استريح؟ وابنتي هناك.. مع خاطفها؟ ما الذي تقول؟

هو: لا بد ان ترتاحي يا حبيبتي.. ان هذا القدر من الانفعال يقضي عليك

هي: غياب ابنتي هو الذي يقضي علي.. واذا كنت حريصا علي.. فأعد الى ابنتي.. ولا تظل تغرقني بمياه نصائحك الجليدية..

هو: (مستمرا في محاولات تهدئتها) في الصباح يا مريم.. في الصباح..

هي: (زاعقة) في الصباح؟ أي صباح ذلك الذي تتحدث عنه. ان ايامي كلها ستغدو ليلا دامسا.. حتى تشرق علي شمس شلير.

هو: لا موجب للقلق على شلير.. انها في رعاية ابيها.. انا واثق انه يرعاها.. خيرا منا.. كلينا

هي: قل خيرا مني.. ولا تقل منا..

هو: انه.. ابوها.. وهو..

هي: وانت..؟ انت لست ابوها.. ولا يمكن ان تكون اباها.. كان ينبغي ان اعرف

هذه الحقيقة.. وان لا.. انتظر.. او اتوقع منك أي عون.

هو: على العكس.. انا على استعداد ان..

هي: ان تغدق على المزيد من النصائح.. اتمهل.. اتروى.. اهدأ.. اليس كذلك؟ ان تقدم لي المزيد من السكاكين.. تقطع بها الوشائج بيني وبين ابنتـــي.. اه.. اه.. وا.. بنتاه.. ماذا افعل الان؟ ممن اطلب العون.. كل املي كان معقـــودا عليك.. يا جلال.. وانت.. وانت.. كأنك مخلوق مصنوع من الثلج.. ليتك لم تأت.. ليتني لم اعرفك.

هو: لا.. يا مريم.. لا.. يا حبيبتي.. لا تسيئي بي الظن.. ارجوك كل ما هنـــالك انا اريد وادعوك الى التصرف.. بعقل.. و..

هي: (تردد كالغائبة عن الوعي) شلير.. حبيبتي.. شلير.. ابنتي.. ابنتي الوحيدة.. حياتي..

هو: (مترددا) الوحيدة.. حتى الان.. حتى.. الان.. يا مريم.

هي: (تنتبه) مـــ.. ماذا تقصد؟

هو: بعدما نتزوج.. ستكون لنا.. ابنتنا.. وربما اكـــثر مـــن بنـــت.. وولـــد.. و.. (تحدق به بغضب. يرتبك) و.. واذ ذاك.. اذاك.

هي: واذ ذاك ماذا يا جلال؟ ستعوضني عن شلير. ستمنحني البديل الذي ينســـيني شلير؟ اذلك ما تريد ان تقوله؟ (يتجنب نظراتها المسلطة عليـــــها) الكـــون كله.. لا يعوضني عن ظفر واحد من اظفار شلير العشرين.. يا جلال..

هو: (بعتب متودد) ما هذا الكلام.. يا مريم.. يا حبيبتي..

هي: تلك هي الحقيقة. واذ كنت تجهلها حتى الان.. فيتوجـــب عليـــك ان تعرفـــها جيدا.. وان تؤمن بها الى الابد.. لا احد في الوجود برمته يمكن ان يشـــغل، ناهيك ان يملأ، مكان شلير في قلبي.

هو: (مترددا) و.. و.. ولا.. حـــ.. حـــ.. حتى.. انا..

هي: ولا حتى الف واحد مثلك..

هو: (منتكسا) شكرا.. شكرا على اية حال..

هي: وانت.. انت بالذات ينبغي الا تجرؤ على مقارنـــــة نفسـك بـــها.. او.. او.. التفكير بمنافستها في أي شيء..

هو: انا.. بالذات؟ لماذا.. انا..

هي: (تقاطعه) انت تخليت عن كل وعودك، كذبت في كل كلمة قلتها..

هو: بل.. انا..

هي: (مقلدة نبرات صوته) ساكون لها افضل من الف اب.. ساحبها اكثر مما احب أي مخلوق في الدنيا.. اكثر مما احب حتى نفسي.. احقق لها كل رغباتـــها وطوحاتها.. اتوجها ملكة.. واكون عبدا.. لها الـــى الابـد (ثـم بصوتـــها الطبيعي) اليست تلك كلماتك؟ اليست تلك وعودك؟ حقــا ان المحــن تزيـد الواحد منا معرفة.. بالاخرين.. باقرب الناس اليه..

هو: ماذا تعنين..؟

هي: ماذا اعني؟ اتسألني بعد كل هذا ماذا عني؟ اه.. واخيبة املي فيك يا جـــلال.. واخيبة املي.. عزائي اني عرفتك قبلما يفوت الاوان.. حمدا لله.. حمــــدا.. لله..

هو: لا.. يا مريم. لا. انا لم اكذب عليك.. كنت اعني كل كلمة قلتها.. احبها اكـــثر من نفسي.. واكون لها الأب.. اما الآن وقد حضر أبوها فقد تغير الحـــال.. لابد ان تقري بان الحال قد تغيرت.

هي: (بنبرة ذات معنى) اجل تغيرت.. تغيرت كثيرا.. كثيرا جدا..

هو: ونحو الأفضل.. والأحسن.. والأسعد..

هي: (ساهمة) لا احد يحب ابنة غيره اكثر من نفسه.. ولا حتى بعض حبه لنفسه، لقد قالها الرجل.. قالها بوضوح.

هو: انه.. أبوها.. وهو الأولى.. والأجدر..

هي: و.. انا..

هو: انت ستكونين لي.. لي وحدي.. لا احد ينازعني حبك، لا احد يشغلك عني.. لا احد يشغلني عنك.. طائرين حرين منطلقين في فضاءات.. الحب والسعادة.. والامل.. والمستقبل.

هي: هذا الاحد الذي تتحدث عنه، كما لو كان غريما.. او عدوا لك هو ابنتي.. من لحمي ودمي واعصابي.. فيها تختزل امالي واحلامي.. بها.. بها وحدها. يتحقق وجودي ومنها استمد حياتي.. واسلسل ايامي.

هو: مريم حبيبتي.. ينبغي ان تكوني واقعية..

هي: واقعية..

هو: كنت ستتخلين عنها ذات يوم.. بذلك يقضي الشرع والقانون.. وها قد جاء ذلك اليوم، من تلقاء نفسه، الينا يسعى، وينبغي ان نرحب به.. ونحتفي.. بمقدمه..

هي: (تسد اذنيها) لا اصدق.. لا اصدق حرفا مما اسمع.. اه.. اللهم اعني.. ربي.. اعني

هو: (متواصلا مع افكاره) ولأكن صريحا معك.. يا حبيبتي.. ان ما كان.. يقلقني في زواجنا.. ويربك كل مخططاتي ومشاريعي.. هو مصير الطفلة.. المجهول..

هي: آ.. آ.. المجهول..

هو: او.. لنقل غير الواضح.. اما الآن وقد توضح وبات معلوما.. واصبحنا

مطمئنين عليها.. وعلى مستقبلها.. فقد..

هي: (مقاطعة با نفعال شديد) فقد زالت عن طريقك العقبة الكأداء.. وقد انفتحت امامك الابواب على مصاريعها.. فتقدم ايها الفارس المغوار.. تقدم ايها الدعي المقنع بالصدق.. ايها المخادع المغطى بمسوح القديسين.. تقدم فالطريق امنة مأمونة. وقلب مريم، الفارغ. السهش.. مشرع الابواب.. فاقتحمه.. واقتحمها.. ايها الرعديد السارق ملابس الابطال.. (يحاول ان يتكلم) ولا كلمة اياك ان تفتح فاك بكلمة واحدة.. اخرج من بيتي.. لا تدنس عتبة داري بعد اليوم.. هيا.. هيا.. قبلما اقضي عليك..

هو: (مصعوقا) مريم.. هل جننت.. مريم..

هي: (تخطف المقص. تهجم عليه) قسما بشلير.. لو اريتني وجهك ثانية لـ..

هو: (يعدو خارجا بهلع شديد) مجنونة.. مجنونة..

هي: (تتصالب في موضعها.. يظلم المسرح. ثم يضاء. لم يتغير شيء. باقة الورد فوق شجيرات الاس. والمقص ملقى على الارض. كما كان الحال في البداية. هي غير موجودة يرن جرس الباب تخرج هي فزعة من غرفة الطفلة تفتح الباب. يدخل الطبيب وهو على اعتاب السبعين) دكتور مصطفى.. اهلا.. اهلا وسهلا..

الطبيب: كيف حال الطفلة؟ (يتاملها) بل كيف حالك انت؟ ما هذا الشحوب الغريب؟ (بمرح) من المريضة؟ ابنتي ام أبنتك؟ ام كلتاهما؟

هي: ابنتك بخير.. شلير.. هي المريضة.. تفضل.. تفضل.. الف شكر لمجيئك.. (تاخذ باقة الورد من فوق شجيرات الاس.. يدخلان غرفة الطفلة).

الطبيب: (صوته فقط) هل كنت.. نائمة.

هي: (صوتها فقط) نائمة؟ ربما.. وو.. وربما كنت في حياة اخرى!!

حكاية صديقين (*)

(*) نشرت في مجلة الاقلام، العدد الاول- ١٩٨٧- كانون الاول

الشخصيات:

- الام: الامرأة- ارملة، في الخامسة والخمسين
- حسين: التاجر- الرجل الثاني، ابنها.
- الكهل: الاب- ارمل، على اعتاب الستين.
- حسن: التاجر- الرجل الاول- ابنه.

اشـــارات:

- شاركت في مهرجان المسرح العربي - ١٩٨٨
- قدمتها فرقة المسرح الفني الحديث"
- اخرجها الفنان "سامي عبد الحميد"
- نالت جائزة "المؤلف المتميز
- اعيد عرضها في "الموصل"
- عرضت في "البحرين"

[يدخل الكورس، وهو مؤلف من اربعة اشخاص: امـــــرأة فـــي الخامســـة والخمسين وكهل يكبرها ببضع سنوات، ورجلين الاول في الخامســـة والثلاثيـــن، والثاني يصغره ببضعة اعوام..]

الكوس مخاطبا الجمهور":

الليلة ايها الاحبة، نقص عليكم، ونمثل امامكم، حوادث ووقـــائع، جـــرت لصديقين حميمين..

(تنفصل الأمرأة والرجل الثاني، يقفان معا، في مواجهـــة الكـــهل والرجـــل الاول)

الامرأة والرجل الثاني:

والصديقان، ايها الاخوة والاخوات، تاجران، تذكروا هذه الحقيقة.

الكهل والرجل الاول:

اجل.. لا بد من تحديد الهوية، الصنعة والعمل.. فبهما، وعلى ضوئـــهما يتحدد السلوك. وترتسم الاخلاق. وتتأسس العلاقات. وتـــترابط الوشـــائج والاواصر.

الامرأة والرجل الثاني:

والصداقة بين التجار. جسم غريب. يتحفـــز ســـائر الجسد التجـــاري، مستنفرا كل طاقاته ومناعاته الطبيعية والمكتسبة، لاحتوائه وتطويقـــه..

في سبيل هضمه.. وتمثله، عبر قطبي الربح والخسارة، الالهين المتربعين على عرش الوجود التجاري وحيدين، دون منازع او منافس.

الكهل والرجل الاول:

وان عجز عن تحقيق ذلك.. فالعمل على قتله ولفظه، باسرع ما يستطيع..

الامرأة والرجل الثاني:

فما بالكم بصداقة، مدت جذورها عميقاً في عمر الزمن، ربع قرن من المنافع والارباح والفوائد..

الكورس (مجتمعا):

نعم.. ذلك هو الواقع.. واقع التاجرين، حسن وحسين. ونحن لا نكذب ولا نختلق، فقد لبستهما منذ الطفولة صداقة غريبة. خيوطها من حرير، موشى بالماس والياقوت، وخطفهما معاً بريق الذهب الذي لا يقاوم اغراؤه. وصهرهما معاً. حب الثروة الذي لا يُدرك قراره

الامرأة (وحدها للجمهور):

من منكم لا يخطف لبَّه وهجُ الذهب؟

من منكم لا يعشق الثروة، حد العبادة؟

الكهل (وحده للجمهور):

ليتنازل لي، او لأخيه الجالس لصقه. او لجاره الساكن جنبه. عن بعض مخزونه من الذهب. او الزائد عن حاجته من الثروة..

الرجل الثاني (ينفصل عن الامرأة):

انا التاجر حسين، ابن هذه الامرأة. لقد ارضعتني من ثدييها مع الحليب، وربما قبل الحليب.. وانا مجرد جنين في احشائها. حب الثروة وعشق

الذهب.

الرجل الاول (ينفصل عن الكهل):

انا التاجر حسن. ابن هذا الكهل. قبلما يعلمني نطق الكلمة. عمدني بحب الذهب. وقمطني بعشق الثروة.

الكورس مجتمعا):

الثروة ايها السادة ولا نحسبكم تجهلون. كرة.. كرة.. جليدية.. يتدحرجها شيطان الجشع فوق ارض مملوجة، مغطاة بالثلج المندوف.. تكبر وتكبر..تمضغ لحم المسافات وتكبر.. تقضم عظام البشر حولها و.. تكبر.. تبتلع الامكنة.. تمتص الازمنة.. و.. تكبر. وتفترس من تصادف.. تقتلع ما تلقى و.. تكبر.. وتظل تكبر... وتكبر..

الرجل الاول والرجل الثاني:

وتتفلش.. لابد ان تتفلش.. ذلك قانون الاشياء. لا شيء خالد.. لا شيء باق.. كل الاشياء تتبدل كل الاشياء تتغير.. تلك سنة الحياة.

الامرأة والكهل:

ولكنها قبلما تتفلش.. تركل من تركل.. تدوس من تدوس.. (صمت. ثم بايقاع خاص) ثم.. تسحق.. تسحق..

الرجل الاول والرجل الثاني:

ونحن من سحقتنا تلك الكرة الشيطانية.. ركلتنا اولا. فلم نرعو. داستنا ولكنا نهضنا ولم نبالِ. ثم عادت وسحقتنا..

[يتفرق الكورس، يقف كل واحد منهم بمفرده].

حسين (اشارة ادانة الى الامرأة):

وامي هذه.. هي الغولة التي دحرجت الكرة فوق عظامي.. وهرستني.

حسن (اشارة ادانة الى الكهل):

وابي هذا.. هو الشيطان الذي داسني بكرته الجهنمية.. وسحقني.

الام (بنبرة خاصة):

اسفا ولداه!! واسفاه! فقد كذبت يا ولدي حسن.. ما من اب يسحق ابنه.

الاب (بايقاع خاص):

وما من ام تهرس عظام ابنها.. لقد كذبت يا ولدي حسين.. لقد.. كذبت.

الام والاب (معا، بصوت باك):

ولكن الظروف.. والاقدار.. قاتل الله الظروف محق الله الاقدار.. اذ تجعل الواحد منا. دمية تلهو بها حسب مشيئتها واهوائها.. او ريشة ضعيفة في مهب زوابعها واعاصيرها.

الكورس (يجتمع مرة اخرى):

اخ الظروف.. الظروف الظروف.. اخ الاقدار.. الاقدار الاقدار..

(ينسحب الكورس، وتبقى الصدى لفترة، تتردد في ارجاء الصالة)

الظروف.. روف.... ف ف ف ف

الاقدار.. دار.. ررررر

* * *

الام: ولدي .. حسين.. ياغلى على نفسي.. من نفسي.. يا اقرب الى عيني من عيني.. يا اعز على روحي من روحي.. ليلة امس، غزتني رؤيا لا اغرب منها ولا اعجب.

حسين: خير.. ان شاء الله.. خير.

الام: عثرت على نفسي بعد طول تيه وعذاب وضياع.. في مكان اشبه بالمتاهة

وما هي بالمتاهة. اشبه بالبحر وما هو بالبحر. اشبه بالغابـــة ومـــا هـــي بالغابة. اغرف سائلا.. بغربال اشبه بالماء..

حسين: (يقاطعها بدعابة) وما هو بالماء!

الام: بل هو الماء.. يا ولدي حسين.. يا قرة الروح والعين.. هو المـــاء بعينـــه.. ماء يحمل في غربال.. اليس الامر اشبه بالمحال..؟ يأباه حتـــى الخيـــال. مهما جنح ومال.

حسين: بل بل هو المحال.. كيف يحمل الماء في غربال.

الام: واذ افرغه تستحيل قطراته الى حبات رمل.. تتوهج تحت اشعة شمس غـــير مرئية. تحيل اعماق البحر الا ظلم.. او ليل المتاهـــة الاعتـــم.. او فضـــاء الغابة الادكن، حيث انا. ولا ادري يقينا اين انا، نهارا منقوشاً بشـــموس لا يعدها العد.. شموس، كأنها كتل من نيران، تتوقد تغلف المكان كله بـــرداء لجيني أخاذ.. يخطف لمعانه الالباب قبل الابصار.

حسين: (بلهفة متصاعدة) ذهب يا اماه.. انه الذهب.

الام: الذهب؟

حسين: لا اله في الاكوان كلها، يخطف البصر، ناهيك عن اللب غـــير الذهـــب لا شمس في كل الدنى تزدرد الليل، وتفرش الكون الداجـــي، نـــهارا متألقـــا دائما، غير شمس الذهب (بجنون) انه الذهب يا اماه.. الذهب الذهب!!

الام: (كالمسحورة والتائهة وهي تردد) الذهب؟ الذهب؟ أي ذهب؟

حسين: الجرار يا امي.. جرار الذهب التي دفنها جدك الاكبر في الصحراء.ما اكثر الليالي التي قضيناها.. وانت تطرزينها بآمـــال العثـــور عليـــها وتنـــيرين مستقبلي باضواء السعادة التي تشع منها..

الام: (ما تزال على حالها) ها؟ الجرار؟ جرار الذهب؟ جدي الاكبر؟

حسين: طيفه. او رسول منه.. هو الذي زارك فـــي المنـــام لكـــي يرشـــدك الــــى موضعه. تذكري يا امي.. توغلي في اعماق ذاكرتك ارتمي فوق المكـــان.. تمسكي به بقوة.. ثم دليني عليه.. ما عليك سوى ان تدليني عليه..

الام: (تحاول التذكر) المـــ.. كان.. المـــ.. كا.. ن... اه.. ما اشق علي ذلك. مـــع انني اكاد اراه.

حسين: امسكيه.. تعلقي به.. ادخليه في كلتا عينيك واغلقيهما عليه.

الام: الرؤية، ولدي.. غير.. غير واضحة.. انها.. انها مموهة.. تبدو من خـــلال طبقات كثيفة من الابخرة والادخنة و..

حسين: حاولي.. يا امي العزيزة.. حاولي..

الام: اني.. اني.. احاول! انا ابذل المستحيل..

حسين: ابذلي المستحيل. ابذلي ما فوق المستحيل. فالمســـتحيل وحـــده لا يكفـــي طريقا.. للوصول الى الذهب. غاية الغايات.. كلها هدف الاهداف.. جميعـــا لابد من بذل ما فوق المستحيل

الام: امرك ولدي الحنون.. امرك.. انه.. انه.. ولداه (تصرخ) ولداه

حسين: ماذا.. ماذا هناك؟ اتحيط به الافـــاعي والثعـــابين؛ اتحرســـه الوحـــوش والضواري قولي يا امي.. تكلمي.. ولا تحفلي..

فابنك في سبيل الذهب.. يصرع شياطين الكون وملائكته معا.. تكلمي.. تكلمـــي.. حسب.

الام: انه.. انه.. مكان وعر، شديد الوعورة، منبسط شديد.. الانبساط.. موحـــش.. شديد الوحشة. يقبض النفس يزهق الروح يزهر القلب. ينعش الـــدم فـــي العروق؟

حسين: اللهم رحمتك ما هذا المكان؟ أي شيء يمكن ان يكون؟لغزا؟ اهو لغز؟

الام: مفازة. مفازة لا توطرها العينان ولا يدرك حدودها الحسبان، تفرشها الشمس.. تتوزعها الكثبان.. و..

حسين: والرمال يا امي والرمال.. اليس كذلك.؟

الام: بلى.. بلى يا ولدي.. والرمال.. انها انها حقا الرمال..

حسين: هي الصحراء.. موطن جدك الاكبر، حيث دفن الذهب الاصفر.. ها؟ ها؟

الام: وانت.. انت ايها الحبيب و.. و.. وحسن..

حسين: (يقاطعها. وقد انقبضت اسارير وجهه) وحسن؟ هنا ايضا؟

الام: شقيقك بالروح.. وخلك الصادق الامين.. تلوحان لي من مكان بعيد بعيد.. تهرعان الى بلهفة واشتياق.. وحنين.. وانا مثل يمامة مذعورة، يتربص بافراخها.. غدر مكين.. اطير نحوكما.. افرش لكما جناحي.. افتح لكما قلبي على مصراعيه.. ولكن.. وا.. حسرتاه.

حسين: (باضطراب وقلق) واحسرتاه؟ لماذا؟ لم الحسرة؟ حسن خطف الذهب؟ اليس كذلك؟

الام: (مسحورة بسرد حلمها) واذ ابصرتني.. مفتوحة الذراعين اريد ضمك الى سويداء قلبي زغت مني.. وطفرت من فوق راسي.. طفرة هائلة. نحو كومة الذهب، بيد ان حسن اخاك وشقيق روحك.. اطبق عليك بكلتا يديه بسرعة وقوة خارقتين.

حسين: طبعا.. لكي يستولي على الذهب.. لكي ينعم وحده بالذهب لقد حدست.. والله العظيم.. لقد حدست.

الام: (بغضب) ولدي تطهر.. تطهر من ادران سوء الظن باخيك حسن.

حسين: اذن.. لماذا يمسك بي، وانا قاب قوسين او ادنى من الذهب. ذهب جدي. ذهبي انا..؟

الام: حسن قد راى مالم تره انت. راى.. مثلما رايت انا، السنة لهب تتصاعد، من تلال الرمل الذهبية، وبركانا رهيبا يفتح شدقيه، مثل فكي تمساح خرافـــي، يقذف حمما من نار يناديك الى جوفه..

حسين: (لاهثا بخوف) هه ه ه... هه ز ه..

الام: وانا.. امك الحنون، اندفع نحو جهنم ونيرانمها المندلقة، بلا وعي ولا تـــروٍ مستسلمة لنداء رباني اصرخ باعلى صوتي.. وصوتـــي لا يغـــادر حـــدود شفتي.. انا افدي ولدي. انا من تفدي فلذة كبدي.. خذني بدلا عنه يا بركان احرقيني عوضا عنه يا نيران..

حسين: يا الهي!! و. وبعد يا امي.. وبعد..

الام: حسن يا ولدي.. حسن روحي فداه.. حلق عاليا، مثل نسر هـــائل الضخامـــة والقوة.. وارتمى في احضان النار، يضرب ذات اليمين واليسار، بجنون مـــا بعده جنون.. حتى.. حتى استحال كومة رماد.. يا كبدي عليك. يا ولـــدي.. حسن (تبكي) حـــ.. حسن..

حسين: و.. و.. وبعد.. يا امي.. وبعد..

الام: حسن احترق يا حسين، حسن فداك وفداني بحياته اطفـــا النـــيران بجســـده، فانقذك وانقذني.

حسين: آ..آ.. آ.. .. و.. وانت؟ وأنا؟ والذهب؟ الذهب؟ يا اماه.

الام: لا ادري.. ماذا حل بنا..

حسين: (بحدة) كيف؟ كيف لا تدرين؟

الام: لاني افقت يا ولدي. افقت كما يفيق كل نائم.

حسين:ولكن الذهب يا امي.. الذهب.

الام: (ببرود) اوه.. يا ولدي. انه حلم. مجرد حلم.. كالاف الاحلام.. التـــي تـــزور

النيام.

حسين: لا يا أمي لا.. انه ليس كسائر الاحلام بل هو ليس حلما انه ليس بالحلم ابدا.. ابدا.

الام: ليس- بالحلم- وما هو؟ هـ.. هـ.. هل اكذب عليك؟

حسين: حاشاك يا امي.. حاشاك.. انه.. انه.. النبؤة..

الام: أأ.. النبؤة؟

حسين: جرا، الذهب تناديني يا امي. اسمع نداءهما ملء اذاني ملء كياني (يصرخ) لبيك ايها المنادي.. لبيك ايهل النداء.

الأم: ان هي، يا ولدي، الا اضغاث احلام. فلا تجرِ وراء الاوهام

حسين: انت التائهة في الاوهام اذ لاتؤمنين بالاحلام. هلمي بنا الى عمي ابي حسن.. خير الاباء والاعمام.

الام: أ.. أبو حسن.

حسين: مثلما تعرفين. رجل مكشوف عنه الحجاب، لا احد مثله يقرأ الاحلام.. لا احد مثله يحفظ الاسرار..

الام: هو كما تقول رجل صادق امين.. ولكن.

حسين: (يجرها) هلمي يا امي هلمي.. لا وقت للتردد. لم يعد ثمة وقت للتردد. هيا بنا الى الاب.

الام: لتكن مشيئتك يا رب.. لتكن ارادتك يا رب.. ولتحقق رغبتك يا ولدي الحبيب.. وعسى الله ان لا يخيب لك رجاء.

* * *

الاب: يا ام حسين، يا جارة العمر، يا رفيقة الدهر، ما كان ينبغي ان تقصي حلمك

على الاولاد.

حسين: (ينتفض) الاولاد؟

حسن: (باستنكار) الاولاد؟

الاب: ولدي ولدي.. ولدي الرقيقين الهشين.. انما اخشى عليكما ان تركبا جناح الحلم هذا. وتتجشما اعباء واهوال بحث لا طاقة لكما عليها. وتكلفا انفسكما مخاطر ومهالك لا قبل لكما بها.

الام: فلتة لسان يا ابا حسن.. يا جار الدهر، يا رفيق العمر، فلتة لسان (تتوجه نحو الرجلين) يا ولدي.. الحبيبين.. يا ولدي الغرين الطائشين.ارجوكما.. اتوسل اليكما.. انسيا الامر.. ولا..

حسن: (باستنكار) غران؟ طائشان؟

حسين: (باستنكار) رقيقان؟ هشان؟

كلاهما: (معا) اعنا تتحدثان. ايها الابوان المبجلّان؟ هل نسيتما اننا رجلان كبيران. يجران وراءهما خبرات وتجارب ربع قرن من معرفة السوق واختبار الناس وتقلبات الزمان.

الام: اخ.. اخ.. انهما مصرّان، يا ابا حسن.. اردعهما.. امنعهما.

الاب: ما كان يا ام حسين. قد كان. ولم يعد تلافيه بالامكان.

الام: اه.. اه (تتوجه الى حسن) حسن.. حسن.. يا فلذة كبدي! يا ايها الخارج من رحم غير رحمي. يا ايها الطالع من نطفة غير نطفة زوجي.. امنحك ماء حياتي (تقدم له حسين) ان عطشت اشرب حتى ترتوي ان داهمك القيظ اغتسل حتى تبرد. اما امك.. فقد نذرت ان تصوم. تقضي النهار لا تبلل اللسان. تطوي الليل لا ترطب الشفتين. حب الام يا ولدي.. مطر. يرش الصحارى فتفيض. يسقي الصخور فتحضر.. ولكنها تظل جرداء. يعريها

العطش.. ويحرقها الظمأ.. حتى يعود اليها وحيدها فتعود اليها حياتها..

حسن: يا امي الحنون. التي لم تنجبني من رحمها المقدسي يا امي التي لم تحملني في بطنها الكريم تسعة شهور كما تحمل الامهات الابناء.. ياامي التي حملتني في سويداء قلبها ثلاثين عاما.. انا النبع الذي يروي ابنك، شقيق روحي حسين. اذ يعطش. انا الانامل التي تحك ظهر حسين اذ لا تطاله انامله الرحيمات. انا الساق التي تحمل حسين...اذ ينخر فيه التعب ولا يقوى على السير.. حسين يا امي الرحوم.. اخي

الاب: حسين.. أي ولدي! يا ابني الذي ليس من صلبي. يا اغلى واعزّ علي من ولدي الذي من صلبي. هاك مشكاة وجودي (يقدم له حسن) استنر بها.. كلما شحث السماء بنورها. بدد بها ظلمات الليل الحالك اذ تخيم عليك. اشعله اشعل حسن نفسه شمعة تضيء لك دربك وهي تذوي. فقط لا تنس يا ولدي ان اباك الذي اثرك على نفسه. ملقى في العتمة يتساوى عنده النهار. بشمس الساطعة. والليل بظلماته الحالكة. فحسين يا ولدي حسين.. يا اعز من حسن نفسه. شمس نهاري وقمر ليلي.. ونور عيوني..

حسين: ولدك يابي الرحيم. اخي، وان لم تلده امي. ولم يخرج من صلب ابي. حسن يا ابي. بؤبؤ عيني، اترك عيني مفتوحتين تحرقهما رمال الصحراء المشتعلة، بشواظها واغطي باجفاني على حسن. فلتطمئن نفسا. ولتستقر روحا يا ابي. وخذ مني عهدا انك ستقر به عينا عن قريب باذن الله، سالما، غانما.. معززا.. مكرما..

* * *

[الكورس الاب والام على جانب. بينما حسن وحسين على الجانب الاخر..]

الاب والام:

تكلمتما ايها الرجلان، الراشدان، العاقلان

فاحسنتما الكلام.

فتحتما دهاليز وخفايا نفسيكما المغلقة،

فبانت الكنوز الثرة.

وتساق

طت الدرر الكامنة.

نطقتما ايها الخلان الوفيان.

فاجدتما النطق.

كلماتكما المشبعة بطراوة الحياة وروحها

روت ارضا مجدبة. محلا قحطا.

فرفعت رؤوسها شتلات الامل

تخترق صدا السنوات الماضيات المعتمات

تعانق عيون سنوات العمر المقبلات المضيئات.

لقد عاهدتما ووعدتما..

فاحفظا العهد. وصونا الوعد.

الكورس (مجتمعا):

وعد الحر.. دين.

دين.. دين.. ياتاجران

هل انتما موفيان الدين.

هل انتما حافظان العهد.

هل انتما صائنان الوعد.

حسن وحسين: (ينفصلان عن الكورس):

وعدنا ذمة.

ديننا نقد

ايها الابوان المعظمان..

نعدكما ان نظل كما عهدتمانا.

اخوين صادقين صدوقين.

يفتح احدنا الصدر لانياب الوحوش المفترسة.

يفتح احدنا المقلتين لمخالب الجوارح الضارية.

ويصون اخاه ويحميه

يجنبه لسعة بعوض.

يقيه خدشة شوك.

الاب والام:

سيرا يا ولدينا اللذين لا نعرف ايكما ابنها وايكما ابنه.

سيرا يا ولدينا اللذين لا ندري اينا لكما الاب وابنا الام.

حسن وحسين:

كلاكما لنا الاب وكلاكما لنا الام

كل واحد منكما لنا الاب والام.

كل واحد منكما لنا الام والاب.

الاب والام:

سيرا يا ولدينا اللذين لا نعرف ايكما الاعز والاحب.

سيرا ولترافقكما بركة ابويكما..

غمامة تحجب عنكما نيران الشمس.أذ تشتد أوارها

شلالا يتدفق عليكما ماء قراحا زلالا اذ يجف حلقاكما.

واحة تاويكما الى احضانها

تمسح عنكما التعب والعرق. تدرأ عنكما الجوع والظمأ.

اما رؤوما تذر في عيونها الملح. لتستحيل لبوة جريحا،

تذود عنكما طارئات الدهر.. تحرسكما اذ تنامان..

تفرش لكما أهداب العين.

منامة منسوجة من اوتار القلب.

معطرة بانفاس المحبة.

مضمخه باريج العافية.

حسين وحسين:

وداعا ايها الابوان الحنونان.

وداعا ايتها الامّان الرؤومان.

الاب والأم:

واذ تفارقاننا الى عود قريب باذن الله.

خذا اخر نصائحنا.. منجاة تقيكما كل شر

حصنا يحميكما من كل غدر.

حسن وحسين:

كلنا اذان مصغية

كلنا روح خاشعة.. راضية مرضية.

الاب والام:

حاذرا الدنو من المدن المسكونة

تجنبا الاقتراب من القرى المأهولة.

صادقا الحيوان.. واحذرا الانسان.

الناس ذئاب في جلود بشر.

لصوص في ثياب قديسين.

حسن وحسين:

سمعا وطاعة.. سمعا وطاعة.

الاب والام:

ومن الطعام والشراب.. لا تحملا ما لذ وطاب

وانما ما خف وافاد.. فلا تكونا موضع شك وارتياب.

حسن وحسين

سمعا وطاعة.. سمعا وطاعة.

الاب والام:

وداعا.. وداعا.. يا طفلينا الرضيعين الحبيبين الضعيفين.

وداعا والى ملتقى.. قريب اكيد.

ملتقى الذهب والثروة والغنى.

ملتقى الجاه والمكانة والقوة.

(عناق حار.. وقبل.. الابوان يبكيان)

حسن وحسين

لا تهدرا الدمع السخين..ايها الابوان الرحومان.

فاننا- باذن الله- عائدان

عائدان بالذهب والغنى والثروة

عائدان رافلين بالجاه والمكانة والقوة.

* * *

[في عمق المسرح، تنزل ستارة بيضاء.. تستخدم كشاشة عرض.. مشهد سينمي قصير: (منظر عام)_ حسن وحسين يتوغلان في الصحراء. وحيدين. وقد نال منهما التعب والانهاك كل منال. يسقطان ينهضان، يواصلان السير.. يتوقفان. يتفقان على موضع.. يحفران.. يتركان امتعتهما جانبا، وهي اشياء قليلة.. حقيبتان صغيرتان للطعام زمزميتان لحفظ الماء.. زمزمية حسين.. صفراء.. بينما زمزمية حسن خضراء.. يواصلان الحفر.. ويستمر المشهد...]

* * *

الكورس (مجتمعا في تزامن مدروس مع حركة الرجلين):

ورحل الرجلان التاجران الصديقان الصافيان.

سارا على بركة الله.. وبركة الوالدين.

متعاهدين على تحمل الحلو والمر.

واقتسام النفع والضر.

سارا.. لا.. لكي يعودا بسر الحياة والخلود..

كما سار.. جداهما كلكامش وانكيدو من قبل..

سارا، لا الكي يتوغلا في عمق الغابة المسحورة..

ويقتلا الوحش الشرير خمبابا.. مثلما.. فعل جداهما من قبل.

وانما توغلا في الصحراء.. الى عمق الصحراء..الى قلب الصحراء.. الى مجاهل الصحراء

عميقا.. عميقا.. عميقا..

ليطعم كل منهما، معا، او على انفراد.

خمبابه الساكن في جوفه..
المزيد والمزيد من.. ذهب الصحراء.. من رمال الصحراء..
[ينسحب الكورس]

* * *

عودة الى المشهد السينمي:
[لقطة بعيدة: حسن وحسين منهمكان في الحفر والبحث والتنقيب. لقد صنعا تلالا عديدة من الرمال. كما حفرا حفرا كثيرة يبدوان ازاء التلول العالية، جرذين صغيرين لا يكفان عن الحفر.]
لقطة قريبة:
[حسن وحسين. غارقان في العرق تشققت شفتاهما. تدلى لساناهما. لا يقويان على الوقوف. يغطي وجهيهما الشعر والتراب والطين يصرخ احدهما بوجه الاخر، يتبادلان السباب والشتائم والاتهامات يتلازمان، يتشاجران يعودان يصطلحان وسرعان ما ينشب بينهما العراك مجددا.. هكذا..]

* * *

الكورس للجمهور:
انظروا.. تأملوا..
انهما هما.. حسن وحسين، التاجران الأليفان الودودان
المطيعان.. الاخوان المثاليان.

يا الله ! لكم تغيرا مظهرا وجوهرا، وفي غضون ايام
قلائل حسب. حتى باتا كانهما ليسا هما.
ولكن هل هما هما حقا؟..
ام انهما ديكان على النفاية يتقاتلان.؟ من اجل
حبة قمح مقيوءة من معدة مريضة. يتذابحان؟
ابوسعكما التعرف عليهما؟
اننا نكاد ننكر انهما هما:
شاهدوا.. تاملوا.. فكروا..

المشهد السينمي:

(يشتد بينهما العراك، يتهالك كل منهما على جـــانب.. مدمـــى.. يلـــهث.. يتوسل.. يستنجد..)

الكورس:

ما فرط اب بابنه.
ولا ام بوليدها قط.
مثلما فرط هذان الابوان بولديهما.
ما راينا
ولا قرأنا
ولا سمعنا.
كمثل هذا التفريط تفريطا
فيا ويح الولدين من ابوين يعبدان الذهب.
يا ويل الوالدين من ولدين يعشقان الذهب
يا ويح.. يا ويل..

الانسان.. الزمان.. المكان!

من الذهب..

الذهب.. الذهب.. الذهب..

(الكورس ينسحب مخلفا وراءه صدى صوته)

شاهدوا.. شاهدوا.. شاهدوا

فما زال ثمة الكثير.. ما يزال ثمة الكثير

الكثير.. الكثير.. الكثير.. وما خفى.. افظع.. وما بقى ابشع.

* * *

[ارض صحراوية، تفترشها الرمال. جرداء الا من نبتة صبير كبيرة. متشبعة الاطراف، عالية بعض الشيء. يحيط.. بها ظل قصير محدود. الشمس ساطعة قوية. على الجانب الايمن من المسرح كثيب رملي.

حسن وحسين يدنوان من بعيد. في البداية لا يتبين منهما سوى الرأسين من فوق الكثيب. واذ يجتازانه من الامام يظهران بوضوح، يسيران بوهن شديد. متهالكين على نفسيهما. لا يكادان يقويان على المشي. تغوص قدماهما في الرمال يتنزعانها بمشقة بالغة. يتعثران يسقطان. ينهضان يواصلان السير رغم ذلك.

حسين يبدو في حالة افضل من صاحبه يتقدمه ببضع خطوات. يبصر الصبير يتوقف.. يتلفت يمنة ويسرى. يخاطب نفسه.. بقلق.. وشيء من الخوف]

* * *

حسين: الصبير؟ الصبير ثانية؟ مثل البغل المشدود الى رحـــا الطاحونـــة..يلـــف ويدور ويعود الى المكان نفسه. كما لو ان الصحراء اللامتناهية قد تقلصت الى دائرة صغيرة لا تتعدى مساحتها بضع خطوات (بتصميم) ولكن يتوجب ان لا ادعه يبرك هنا.. مثل الجمل المنهوك. (يضع كفيــه علــى عينيــه. يحجب عنهما.. الشمس. وهو يواصل سيره نحو الامام. كمن يتوجه نحـو هدف غير محدود المعالم، يتلفت نحو حسن الذي يلهث ويئن من اوجاعه]. تحمل يا حسن.. تحمل يا اخي.. لم يعد ثمة الا القليل.

حسن: لا جدوى يا حسين لا جدوى.. (يتساقط على نفسه مرتميا فـــوق الرمـال على مبعدة من الصبير) لست قادرا على السير خطوة واحدة. لقد انتـــهيت اشعر بأني قد انتهيت تماما..

حسين: بضع دقائق اخرى.. بضع خطوات اخرى.. ونصل.. إنـــي.. انـــي اكــاد اراه..

حسن: ترى ماذا يا مجنون؟ وهل في الصحراء ما يرى عدا الرمل والشمس؟ منـذ متى ونحن نروح ونجيء؟ هل وقع بصرك على غير اثار اقدامنا المبثوثـــة هنا وهناك مرسومة فوق الرمال كآثار خف بعير اعمى.

حسين: نحن نروح ونجيء ولا نروح ولا نجيء.. نحن نتراوح في بقعة صغـيرة من الارض لا تتجاوز بضعة امتار.

حسن: ذلك يعني اننا تهنا.. تهنا حقا.. حتى طريق العودة لا نســتطيع الاهتـداء اليها.. اخ.. اخ (يعصر ساقيه متوجعا) اخ.. اخ.. كأني اسير عليهما منــذ نشاة الخليقة.

حسين: انا.. انا.. ارى حدبة (يواصل التطلع ونقل مشاهداته) على مبعدة وســط مساحة مستوية من الارض، تحيط بها طبقات كثيفة من الابخرة و..

حسن: (يقاطعه) عن أي شيء تتكلم؟ وهم . ما تراه ليس الا و هما من اوهام الصحراء الداعرة.

حسين: (مشدودا إلى ما يتراءى له) لا.. لا.. الرؤية اخذت تتوضح والابخرة شرعت تنقشع وتتبدد.

حسن: سراب ما يتراءى لك سراب. (يعصر ساقيه) لقد جنت الصحراء.. جننها حقدها اللامعقول علينا. وراحت تتلذذ بتعذيبنا، عبر صنوف الخداع التي تخلقها امام عيوننا التي هدها الارهاق.. وتسوطنا بها.. بلا رحمة ولا شفقة.

حسين: الصحراء؟ الصحراء تفعل بنا كل تلك الافاعيل؟

حسن: طبعا.. انتقاما لجلدها الذي شققناه في كل موضع ثارا لاحشائها الداخلية التي فتتناها ومزقناها شر ممزق

حسين: ولماذا لا يكون ما اراه.. حقيقة.. واقعا؟

حسن: (يدس اصابعه في صدره) حقيقة.. واقعا؟

حسين: قد.. قد.. تكون قرية.. او.. خيمة.. وحولها أُناس و..

حسن: ما أشد ما خف عقلك!! اذهب.. اذهب والق بنفسك في احضان اوهامك التي تتراءى لك على هيئة قرية واناس (يمص رؤوس اناملة) انا.. انا.. لا اصدّق الصحراء (ينتبه ان حسين يراقبه) لا اصدق غير هذه الاملاح.. او.. بالاحرى هذه السموم التي تفرزها مسامات جلدي.. ناسجة منها رداء خانقا يعصرني تحت ثيابي التي خشبها العرق المتيبس.

حسين: انت لا تصدقني.. دائما لا تصدقني.. لانك لا تصدق احداً.

حسن: ذلك حق.. فانا لا اصدق.. او.. او لم اعد اصدق.. غير هذا العطش الذي ينمو ويتشعب في داخلي ككائن خرافي لا يعرف التوقف عن النمو.. ولا

الكف عن التشعب (يهم بنزع حذائـــه) لا يمكـن ان اتـرك هـذه الذنبـة المسعورة تلعب بي بين انيابـــها.. ومخالبـــها. اكـثر ممـا فعلـت.. والا مضغتني.. ولفظتني من مؤخرتها. (يواصل محاولاته لنزع حذائه)

حسين: (لنفسه بخوف) يا الهي.. انه ينوي المكوث هنا (لـــه. صارخـا بحـدة) مـــ.. ماذا تفعل؟ (يحاول منعه)

حسن: (ببرود لا يتناسب مع انفعال المقابل) انزع حذائي.

حسين: (يمسك يديه بقوة) لا. لا تفعل.

حسن: (يدفعه عنه) ومنذ متى صرت اتلقى الاوامر منك؟

حسين: (مخذولا) انما..

حسن: ماذا؟ ماذا تريد مني؟ لماذا لا تدعني وحالي..؟

حسين: كيف؟ لا يمكن..

حسن: ما الذي لا يمكن..

حسين: لا يمكن ان ادعك تمكث هنا (يستدرك بسرعة) انه.. انه.. ليس بالمكـــان الآمن لك.. ولا.. ولا.. لي

حسن: بالنسبة لي.. قد باتت كل الامكنة سواء؟ في هذه.. الصحراء الغادرة. ولـم يعد الامر يهمني.

حسين: الا تفسر لي سبب اصرارك على هذا المكان بالذات؟

حسن: (يرمقه بدهشة) هذا المكان بالذات؟ (يتلفـت حواليـه.. ثـم تـأخذه روح الدعابة) لأني.. لأني سقطت في حبها.. بدأت اعشق ابنة الكلبة هذه..

حسين: (بهلع) الـ.. الـ.. الصبير؟

حسن: المخلوقة الحية الوحيدة.. في هذه الصحراء الميتـة القاتلـة. فـي هـذه المقبرة الكونية.. الشاملة.. التي لا يحدها حدً.

حسين: و..و.. ولكن.. ماذا تأمل هنا.. ماذا تنتظر؟

حسن: حقا.. ماذا أمل؟ ماذا انتظر؟ لم اطرح هذا السؤال على نفسي.

حسين: وأذن؟

حسن: (بحدة) واذن ماذا؟ ماذا؟ انتظر ان يفقدني الجوع والعطش بقية عقلي فأكلها واشربها.. او.. يشتد بي الشبق.. فاطرحها ارضا واضاجعها.

حسين: انا.. انا..

حسن: هل اقنعك جوابي.؟ هل انت راض.. الان؟

حسين: (يرتبك) لا.. لا.. تغضب.. يا حسن.. لا تغضب.

حسن: انت تخرج الانسان من طوره.. تجعل حتى الحمار يغضب ويحتد.. انت..

حسين: لقد.. لقد.. بدا لي ان مكوثك هنا.. و.. اصرارك على البقاء.. ليـ.. ليس.. لوجه الله.

حسن: بالتأكيد.. ليس لوجه الله. لكنه لوجه راحتي.. لوجه طاقتي التي نفدت.. فانا بعد كل شيء انسان. انسان من لحم ودم وقدرة محدودةعلى التحمل ولست كثيبا تصفعه العواصف الرملية التي تعمي العيون ولا يبالي. تخترقه سهام الشمس الغاربة التي تصهر الحديد ولا يحفل (يستمر في محاولاته لنزع حذائه، باذلاً كل جهده)

حسين: اسمع يا حسن.. يا أخي.. لو نزعت الحذاء.. لاستحال عليك ارتداؤه ثانية (حسن يرمقه بغضب) ســ.. ســ.. ستتورمان.. قدماك تتورمان.. ولا تدخلان الحذاء.. مهما حاولت.

حسن: هما الان متورمتان بما فيه الكفاية.. حتى جلد الحذاء اخذ يتشقق.

حسين: ستتورمان وتنتفخان اكثر.. صدقني يا حسن.. اكثر مما هما الان.. اكثر بكثير..

حسن: لتتورما.. ما شاء لهما التورم.. فلست ناويا على حبسهما.. ثانية في هـذا الشيء اللعين..

حسين: مــ.. مــ.. ماذا تقصد؟ أ.. أ.. تنوي قضاء العمر كله هنـــا؟ فـــي هـذا المنفى الجهنمي؟

حسن: وما بالك تقولها بهذا القدر المرعب من الرعب..؟ العمر كله! كما لو كنـت سأحيا الف عام. لم يعد في العمر من بقية يا هذا ان هي الا ساعات وربمـا لحيظات قصيرات. وما اسرع ما تبتلعها هذه الغولة الشرهة المتوحشة.

حسين: لا.. لاتتكلم على هذا النحو.. ارجوك يا حسن.. ارجوك.

حسن: وكم ترجو ان تعيش بلا طعام ولا ماء.. في هذا العراء؟ نـــهارا اخــر؟ ام نصف نهار (يعالج- نزع حذائه)

حسين: اه.. اه.. انت تدمرني.. انت.

حسن: لا اريد ان احقنك باليأس.. ولكن تأكد ان هذه الصحراء الغدارة تقتل حتـى الجمل.. تخنق عطشا حتى الصبير. وما اظنك. ولا احسبك تظنني، جمـــلا. ولا صبيراً..

حسين: (يتعذب) كفى.. كفى.. اه.. كفى..

حسن: (مستمرا) كم ليلة دفنا وكم نهارا قتلنا ونحن نجوب صحراء الموت هـــذه؟ هل صادفت جملا. ذئبا. ثعلبا؟.. ـ ـنا حياً يتنفس؟

حسين: اه.. يا الهي.. اه..

حسن: (يرمق الصبير) حتى هذه النبتة الشائخة العجوز، لا تصدقـــها. لا تدعــها تخدعك.. انها ليست اكثر من كذبة اخرى من اكاذيب الصحـــراء. اتظنـــها قادرة ان تظل يوما واحدا على قيد الحياة من غير طعام او شراب؟

حسين: انها باقية.. باقية.. الا نراها.. باقية حية.. و..

حسن: كذب. تراها الان قد مدت، في خفية ولصوصية، جذورها اللامرئية، تحت الرمال، حتى بلغت اعماق بحر ما، تسرق منه المياه المشبعة بدهون ولحوم الاسماك والحيتان (بحقد) لصة. هي الاخرى لصة حقيرة. سافلة منحطة (يقذفها بحفنة رمل ترتد نحوهما. يفرك عينيه بالم. كذلك يفعل حسين) اخ.. اخ.. كلبة.. كلبة..

حسين: (وهو منهمك في فرك عينيه) فقط.. لو.. لو تطاوعني.. ونغادر.. هذا المكان اللعين..

حسن: الى اين؟ الى اين يا حسين؟ الى مدينتك الموهومة؟ فردوسك المفقود؟ اذهب انت وحدك.

حسين: وحدي؟ والوعد الذي قطعناه لوالدينا.. ان لا نفترق مهما..

حسن: انت في حلٍّ منه. انا احلّك منه. واذا صادف واكتحلت عيناك بمرأى.. مايؤكل أو يُشرب.. ما عليك الا ان تلوح لي من بعيد.. تالله لأغرزن.. لساني. ركيزة واطيرنّ اليك.

حسين: (لنفسه) لعنك الله.. كل ما تخطط له وتفكر به هو ان تختلي هنا.. ولكن هيهات.. لا بدّ من طريقة لأبعادك. ولكن كيف؟ كيف؟ اعني يا رب..

حسن: (يكاد ييأس من نزع الحذاء) لا. لا جدوى.. البتة. يبدو ان قدمي قد انتفختا بصورة لا معقولة.. لو.. لو.. كانت عندي بضع قطرات ماء.. لربما..

حسين: ماء.؟ من اجل الحذاء؟. وحلق الواحد منا اشد بيساً من رمال الصحراء؟ أي بطر هذا..؟ (حسن يكتفي بتسديد نظرة طويلة اليه. بصمت) ما كان ينبغي ان ترمي زمزميتك في الوادي. بذلك التهور.. كما لو كانت قطعة صخر..

حسن: وبماذا كانت تجديني بعدما فرغت من اخر قطرة.. من الماء. أنشرب منها الهواء.. ام نعبئها بالرمل والشمس. (يتصاعد انفعاله) ثم.. ثم لماذا لا تلوم نفسك بعض اللوم. انت الذي تركت ذينك العجوزين القذرين يسرقان زمزميتك الممتلئة بكل غباء..

حسين: مغفلاً كنت.. أي مغفل كنت اذ وثقت بهما.. اخ.. اخ (يعصر وجهه) كلما تذكرت الماء.. اندفعت الاف الصراصر تتسلق سقف حلقي.. بملايين ارجلها المنشارية.. اخ.. اخ.

حسن: تعال.. تعال.. ساعدني في نزع هذا الحذاء اللعين.. لعلك تنسى الصراصر التي تتنزه في حلقك (حسين لا يجيب) هيا هيا قبلما تمتص عروقك وتحيلك الى قصبة مرضوضة لا تجدي شيئا..

حسين: الا تكف عن الحديث بهذا الشكل اليائس.. الا تقلع عن زرع الكون بجراثيم يأسك الفتاكة التي تتناسل في جوفك. انا انصحك.. ان..

حسن: (يقاطعه) احتفظ بنصائحك الجوفاء لنفسك.. لست مستعدا لسماعها. دعها تنفعك.. تحقنك بجرعةَ امل ان كانت قادرة او تمنحك بضع قطرات من الماء تبلل سقف حلقك المتخشب وتجعل ارجل الصراصر الملتصقة به تنزلق.. فندخل معدتك الفارغة وجبة طعام دسمة.

حسين: ماذا تبغي يا حسن.. لماذا تظلل تلَقحني ببذور اليأس؟

حسن: لاني لا املك سواها.. هي كل ما عندي من حطام.. الدنيا والاخرة.. فقد ملأتني هذه الصحراء القحبة بكل بذور اليأس في العالم.. احالتني بالوناً منفوخاً.. باليأس.. منطلقا في فضاء بلا حدود من اليأس. يلوح لى المو..

حسين: (يسد فاه)لا. لا تلفظه.. ارجوك.. لا تلفظه.

حسن: وتحسب ان مجرد الامتناع عن لفظه.. قادر على الغائه؟ ما.. انت الا مغفل

كبير.. انه يحوم حولنا يحيط بنا من كل جانب مثل اسراب من الجوارح شمت رائحة جثة متعفنة.. او بالاحرى جثتين.. في سبيلهما الى التفسخ والتعفن..

حسين: (يسد اذنيه) ارجوك. ارجوك.. لا اقوى على سماعه. لا اجرؤ على التفكير به.. كل بدني يقشعر من اسمه. فارحمني.. اشفق علي. لا تكن اكثر وحشية وقسوة من هذه الصحراء التي تفترس روحي..

حسن: تعال.. تعال. ساعدني في سلخ هذا الغل المحمى عن قدمي.

حسين: اذن.. قد صممت ان تدفن نفسك هنا.

حسن: ولماذا انهك نفسي اكثر مما فعلت. انتهى هكذا، كما انا تنتفع مني ديدان الارض.. خير من ان انتهي مجموعة عظام محروقة.. تعا.. تعال.. اسحب الحذاء.. (يقدم له قدمه)

حسين: لا.. لا..يا حسن (يمتنع باصرار) لا يمكن ان اساعدك في امر كهذا

حسن: انت لا تساعد احدا في أي امرا كان، كان ينبغي ان اعرف ذلك، ثم، على ان اعتمد على نفسي (يجر الحذاء) اخ.. اه.. (ينزعه) اه.. خيل الي ان قدمي قد خلعت من موضعها.. (يعيد الكرة مع القدم الاخرى) اخ.. (ثم) الحمد لله.

حسين: (يرنو الى قدميه بفضول صبياني) يا الهي.. ما اكثر ما تورمتا.!!

حسن: والدمامل؟ اترى الى هذه الدمامل.

حسين: ياه !! كانها مزرعة للدمامل..

حسن: مزرعة(بتهكم) هل نؤسس شركة اخوانية لتصديرها (يتلمسها) قوية... ممتلئة بالمياه (يرفع قدمه الى مستوى فمه) ريانة.. ريانة جدا.. اظنها دفقة ماء طيبة.(يحاول عضها)

حسين: (باندفاع يمنعه) لا لا.. هل جننت.؟

حسن: لماذا؟

حسين: ارايت احدا يشرب مياه الدمامل..؟ دمامل القدمين القذرة؟ تعال، تعال(يسحبه الى عمق المسرح. يخاطب نفسه) يجب منعه باي ثمن(لحسن) انت.. انت تقتل نفسك.

حسن: اين؟ الى اين تجرني؟ كما لو كنت قربة ماء قراح؟

حسين: هنا.. هنا.. في الظل.. اخشى ان تخل الشمس بعقلك كليا.

حسن: من منا بقي له شيء يدعى العقل.. او.. او كان له عقل اصلا..؟ لو كان لاي منا ذرة من العقل. لما.. فعلنا بانفسنا ما فعلنا. (يصرخ به) كفاك.. كفاك تعذيبا لي.

حسين: على العكس.. على العكس.. اريدك ان ترتاح في الظل.

حسن: واين هو الظل؟ هل تصدق ان لابنة الكلبة هذه ظلا يمكن ان يأوي اليه مخلوق؟ دعني.. دعني.. انا مرتاح هنا (لنفسه) ابتعد عني هنيهة.. اغوب عن وجهي ثانية.. لعلي ابلل حلقي (بغضب) لماذا لا تنصرف الى شؤونك وتتركني في حالي؟

حسين: (لنفسه) لن اتركك ثانية واحدة.. لن ادعك تكتشف موضعها التصق بك توأما سياميا.. (يجره الى الجانب الاخر من الصبير، يخاطبه بصوت عال) شؤوني؟ واي شأن لي او يمكن ان يكون لي في هذا الجحيم الذي سقطنا فيه.. سوى.. سوى.. العناية بك.. و.. رعايتك..

حسن: اشكرك.. انا مستغن عن عنايتك. اذهب الى مدينتك.

حسين: مدينتي؟ اية مدينة؟

حسن: مدينتك الموهومة.. التي كانت تتراءى لك قبل لحظات.

حسين: ما دامت موهومة.. فلماذا تدفعني اليها..

حسن: انه انت الذي..

حسين: (يسد فاه) اسكت.. اسكت بعض الوقت على الاقل هذا الكلام المفلوت على هذا النحو المدرار.. ينشّف فاك.

حسن: فمي هو الذي ينشف كلامي. ينشّف..

حسين: يا الهي.. انت لا تكف عن لغوك الفارغ.. الا تخبرني ما الذي يختزن في جوفك؟

حسن: اليُبس، الجوع. وكميات من رمال الصحراء الجافة.. أتريد بعضا من مخزونات جوفي.. أتبادلها ببعض ما عندك.

حسين: (بحدة) بعض ما عندي؟ ومن قال لك ان ما عندي افضل مما عندك..

حسن: هدؤك و..

حسين: اسمع يا حسن.. اياك ان تظن باني احسن منك حالا. واذا كنت لاثرثر واهذي مثلك.. فذلك لا يعني انني جمل.. اختزنت في سنامي الماء والطعام.. انا الآخر انسان. مفتت متهريء.. امتصت الصحراء الدم من عروقي. واللعاب من حلقي واحالتني هيكلا خشبيا.. يا بسا مجوفا.. و..

حسن: كف عني يا حسين.. ارجوك كف عني.. اتركني.. انت الذي لا تكف عني.. ولا تتركني.. وتحملني ان..

حسين: حسن هل تتهمني بشيء؟

حسن: انا؟

حسين: اسمع يا حسن.. يجب ان تكون واضحا معي. اذا كان ثمة شك يراودك من ناحيتي.. فالافضل ان تفصح عنه بصراحة، لا بد ان اعرف كل نواياك تجاهي..

حسن: بماذا تهذي يا رجل؟ أي شك؟ أي اتهام؟ اية نوايا؟
حسين: من المؤكد انك في قرارة نفسك تتهمني بشيء، لا تريد.. الافصاح عنه..
حسن: من المؤكد؟ (بتهكم) بقربة الماء التي اخفيتها في مكان ما في جوف الصحراء..؟
حسين: (برعب) قربة ماء؟ اخفي قربة ماء واترك صراصر العطش تغربل سقف حلقي. لا شك انك مجنون.. لا بد ان تكون قد فقدت عقلك. اذ تفتري على هذا الافتراء الشنيع..
حسن: (يضحك) انا.. انا.. اداعبك يا حسين؟
حسين: ولكنها دعابة لئيمة.. وخبيثة..
حسن: بل.. بل.. دعابة بريئة.. صدقني.. فانا اعرف انك لست احسن مني حالا.. بل لعلك اسوأ.. (حسين يواصل سحبه الى جانب الصبير)
حسين: انا توقفت هناك.. لقضاء.. حاجتي.. حسب.
حسن: صدقت.. صدقت يا حسين.. انما.. انما.. هي الشمس.. هي الصحراء هي.. هي.. لا ادري ما هي تلك اللعنة التي تطلق لساني المتخشب باقوال لا اعنيها.. بكلمات لا اعيها.. لا.. لا.. تغضب مني ياصديقي لا تغضب.. ارجوك.
حسين: لا.. لا.. لست غاضبا.. اية فكرة شيطانية شريرة ان يغضب احدنا من الاخر.. ونحن نختنق في شرنقة هذه المأساة الرهيبة لا نصير لأحدنا.. ولا ملاذ له سوى الاخر.
حسن: ابدا لم يدر بخلدي ان الزمن مهما بلغت دعارته الكلبية يمكن ان يحبل بيوم بغيض.. كريه.. مشوه.. كهذا اليوم الذي تمخض عنه..
حسين: سيكون ثمة الابغض.. والاسوأ.. ليعنا الله.. على تحمله..

حسن: أتتذكر ذينيك العجوزين القذرين..

حسين: وهل ينسيان.

حسن: كلما تذكرتهما فقدت صوابي (بحدة) كيف يمكن لمخلوق ان يقسو على بني جنسه بهذا الشكل الضاري، يسرقاننا بكل خسة.. ويلفظاننا في هذا الفضاء الجهنمي..

حسين: (كمن يكلم نفسه) حين ينازعك اخوك كسرة خبزك وشربة مائك تجد اعتى الوحوش ضراوة.. اكثر رأفة وحنانا منك عليه..

حسن: تقو عليهما.. وهل اخذنا منهما غير ما كان يزيد عن حاجتهما

حسين: لا شيء يزيد عن حاجة احد.. ما يزيد عن حاجتي اليوم. تشتد حاجتي اليه في الغد. الذي سيكون اظلم من يومي هذا.

حسن: كأنك تبارك لهما فعلتهما القذرة معنا..

حسين: كيف؟

حسن: تتحدث بطريقة توحي.. او.. تحمل على الاعتقاد.. بانك.. متعاطف معهما..

حسين: ابدا.. كل ما هنالك اني بدأت افهم اسباب نقمتهما علينا..

حسن: ارايت؟

حسين: بعد كل شيء.. لا بد ان نكون منصفين.. ونقر بأنه ليس هينا على اناس فقراء.. ايواء رجلين عاطلين.. فمَين مفتوحين يأكلان ويشربان.. بلا مقابل.. ودون ان يفعلا شيئا..

حسن: وماذا بوسعنا ان نفعل، هل بوسعنا ان نحتطب تلك الاشجار الصلدة المتحجرة.. ام بوسع ظهرينا الترفين الهشين حمل اكوام الحطب المسنن.. مثل حافة المنشار..

حسين: اذن لُمْ نفسك بعض اللوم..

حسن: نفسي؟ نفسي فقط؟ وانت؟

حسين: انا الاخر الوم نفسي.. واعطيها الحق في طردهم ايانا..

حسن: تعرف جيدا انهما لم يطردانا لهذا السبب.. او على الاقل لم يكن تقاعسنا عن العمل هو السبب الوحيد.. ولا حتى الاقوى.

حسين: ماذا تقصد؟

حسن: تعرف حق المعرفة.. ماذا أقصد..

حسين: لا.. لا اعرف.. واذا كنت تقصد الفتاة فلست وحدي الذي..

حسن: ولكنك وحدك الذي ضبطوك، وبعد منتصف الليل تتسلل الي..

حسين: لا شك انك وشيت بي، بكل خسة ودناءة. وشيت بي..

حسن: (يتحامل على يديه ويزحف نحو الصبير) كان لابد ان افعل. تاكل وتشرب وتنام عندهم.. ثم تخطط بكل وضاعة لاغواء طفلة عرجاء.. وتدنيس شرفهم.

حسين: ليست شهامتك التي دفعتك الى الوشاية بي.. وانما نفسك المريضة.. الامارة بالسوء.. وتوهمك باني قد استأثر بها لوحدي في الوقت الذي كنت افكر فيك بمقدار ما افكر بنفسي.

حسن: عمرك لم تفكر باحد سوى نفسك.. عمرك.. لم تنظر ابعد من ارنبة انفك (يواصل زحفه نحو الوراء).

حسين: (زاعقا) انا؟ (ثم فجأة برغبة طارئة عن الحديث وعزوف عنه) ولكن.. ما الجدوى.. ما جدوى الحديث مع شخص ممتلىء بسوء النية.. وفساد الطوية. (صمت ثم كمن يحاور نفسه) كان ينبغي ان نلتزم بنصائح ابوينا. ولا نفرّط بها. ولكننا دسنا عليها بكل بساطة.. وبمنتهى العقوق (له بحدة)

بل.. بل انت الذي دست عليها ودفعتني دفعا الى اول بيت لاح لنا.

حسن: (يرمقه بغضب شديد، لا يتكلم. يواصل زحفه)

حسين: (مستمرا) ويا ليته كان بيتا.. خيمة حقيرة.. بل زريبة نتنة. اه.. اه.. عفوا ابوينا الحبيبين.. مغفرة والدينا الكريمين.

حسن: (بنفاد صبر. خارجا، عن طوره. يصرخ به بحدة) كفى.. كفى لا تذكرني بهما (يندفع الى الوراء، نحو الصبير، بانفعال شديد)

حسين: (مصعوقا) هاه؟ بهما؟ بمن..؟ بالعجوزين.. ام.. ام بوالدينا أ.. أ.. تقصد والدينا.. اياك: اياك.. لااسمح لك بالاساءة الى امي..

حسن: (يصرخ) آخ.. عقرب.

حسين: بدهشة بالغة) عقرب؟

حسن: كأنها عقارب الارض كلها لسعت ظهري.. نفثت كل سمومها في جسمي.. اخ.. اخ.. (يتلوى من الالم)

حسين: (يبحث بخوف) اين هي؟ أين؟ (يركض هنا وهناك) لا.. لاعقرب هنا.. مستحيل. (ثم) لعلها الاشواك.. اشواك الصبير.. اكشف عن ظهرك.. دعني ار.. اه.. اه.. انها.. كما توقعت اشواك الصبير..

حسن: اشواك الصبير.. وكل هذا الالم البشع..؟ تالله حسبت ان.. ان جهنم سلطت علي كل عقاربها. وراحت تنهشني وتزرع ابرها المسمومة في ظهري.. اخ.. اخ.. ايكون ابليس مختبئا في احشاء هذه النبتة الحقيرة.. اخ.. اخ..

حسين: اعتدل.. اعتدل.. لارى ظهرك..

حسن: مـ.. مـ.. ماذا تفعل؟

حسين: انزع رداءك..

حسن: (بخوف شديد) ردائي؟ (يشده حول جسمه باحكام) لا. لا.. لماذا تنزع عني

ردائي..؟ لماذا..

حسين: لماذا؟ لاستمتع بمنظر ظهرك الخلاب عاريا (بحدة) انزعـــه التقـط منـــه الاشواك.

حسن: التقطها من فوق الرداء. لن انزعه.. لن انزعه ابداً.

حسين: كيف التقطها من فوق الرداء.. اذا كانت قد نفذت الى جلدك.. ولحمك..

حسن: اذا كنت لا تستطيع فدعني.. دعني.. انها لم تعد توجعني..

حسين: يالله!! ما اغرب امرك (يفتح الرداء من طرف الرقبة) ياه!! لقد اصطبـــغ ظهرك بالدم (يلقي حفنة رمل على ظهره من فتحة الرقبة)

حسن: (صارخا) اه.. ما هذه الجمرات؟ اتحرق لي ظهري؟

حسين: بل اعقم لك جروحك.. واعزل الاشواك عنها.. يا مستنقع النوايا السـيئة.. (حسن يتململ، يبتعد عنه) ها.. كيف صرت؟

حسن: افضل.. اظنني افضل حالا.. بيد اني اشعر كـــأن الاشــواك انتقلـت الــى حنجرتي بعدما امتلأ بها جوف حلقي.. اه.. اه.. اكاد اتقيا احشائي.. لـــو.. لو.. قطرة ماء.. قطرة ماء ابلل ريقي.

حسين: (متهكما) هه ه!! ما ارخص ما تريد!! اطلب منجمـــاً للذهــب ولا تطلــب قطيرة ماء.. فانا الاخر اوشك ان اختنق..

حسن: لو.. لو.. تبذل محاولة.. يا حسين.. فقد يوفقنا الله ويكتب لنا النجاة مـــن هذا الموت البطيء.. من هذا الفناء المتواصل.

حسين: كـــ.. كـــ.. كيف.. هل لديك فكرة.. اية فكرة.. قلها. تكلم..

حسن: اسمع يا حسين يا اخي العزيز.. قدماك ما زالتا سليمتين. وهمـــا قادرتـــان على حملك.. و.. التجوال.

حسين: التجوال، في هذا الفرن الملتهب..

حسن: اه.. اه.. انت لا تساعد احدا.. لا تساعد حتى نفسك.

حسين: انا..

حسن: لو.. لو تبحث.. تنظر.. هنا.. هناك.. لعل مجنونا اخر صـــدق.. اكــاذيب جشعه.. وامتطى الاوهام التي يخلقها له ودخل جوف الغول هذا.. مثلنا..

حسين: (يبلع ريقه) أ.. أ.. يمكن؟

حسن: (بحماس) لم لا..؟ فالله اذ خلق المجانين لم يُقصر عددهم على اثنين.

حسين: و.. وتعتقد ان ثمة املاً.. هـــ.. هـــ.. هل ثمة امل ما.

حسن: تسألني انا؟ انت الذي كنت منفوخا بالامل.. كالمنطاد.. منذ هنيهة حسـب.. ماذا جرى لك؟

حسين: استحال المنطاد.. الى غربال، بفضل سهام اليأس التي ماتني تطلقها.

حسن: على اية حال.. ان كان ثمة امل.. فهو لا يبحث عن احد. وعلى هذا الاحـد ان يبحث عنه.. يعثر عليه، قبلما يقتله الظمأ. تلاشيه الصحراء. وتـــذروه الرياح.. هو الاخر..

حسين: (يفكر) للمرة الاولى اسمعك تقول كلاما ذا فائدة (يتوجه صـوب الجـانب الاخر من الصبير. يتوقف. يتلفت نحوه، يتقدم من مقدمة المسرح) سأبحث يا حسن.. ابحث..

حسن: حسنا تفعل.. بارك الله فيك (لنفسه. مفكرا) ما اسرع ما اسـتجاب، تـرى لماذا؟ ماذا في الامر؟ كيف لان هذا البغل العنود بهذه السـرعة؟ (بصـوت عال) حسين.. اخي العزيز.. عدني ارجوك.. عدني..

حسين: اعدك بماذا يا حسن.. ماذا تريد.. سأتحمل الاسياخ المشتعلة وابحث عـن الماء.. بماذا تريدني ان اعدك.. اكثر.

حسن: بان تشرب انت اولاً.. تشرب حتى ترتوي.. ثم تعود الى بمـا يزيـد عـن

حاجتك.

حسين: اه (يتوقف) ليكن سما زعافا يطرحني جثة هامدة. ذلك الماء الذي ابلل به شفتي.. ان لم اروك منه.. انت اولا.

حسن: اذن.. لا ترهق نفسك كثيرا.. يا حسين.. يا حبيبي.. عد اول ما تشعر بالتعب.. ودعني انا الاخر اقم بواجبي في البحث او..

حسين: انت؟ انت بقدميك المتورمتين المزروعين بالدمامل. وظهرك المثقوب المغطى بالاشواك والدم المتيبس. لا. لا.. تالله لن ادعك تغادر مكانك هذا.. او تتحرك شبرا واحدا.. حتى اعود (يسير نحو الامام، صارخا) لا تتحرك يا حسن.. يا اخي.. لا تتحرك اطلاقا..

حسن: لتحرسك العناية الالهية.. ليوفقك الله في مسعاك (يرقبه حسين اذ يبلغ مقدمة الكثيب. يتوقف. يتلفت نحوه. واذ يطمئن انه في شغل عنه يستدير نحو جهة اليمين.. ولكن حسن يراه. يصرخ به) نحو اليسار.. يا حسين.. نحو اليسار (حسين لا يسمعه.. يعدو خلف الكثيب.. يختفي عن انظاره) ما اغرب هذا!! طوال الوقت كان يرنو ويشير الى هذه الجهة. حين كان يتحدث عن جنته الموهومة.. وحين سار نحوها اتخذ الجهة المضادة.

حسين: (يسير بمحاذاة الكثيب، نحو الصبير.. يتاكد من ان صاحبه لم يعد.. يراه، يقعي، لصق الصبير، يحفر في الرمال) اذن فقد صدّق انني توقفت هنا للتبول.. ها ها.. (يواصل الحفر)

حسن: (اذ يطمئن الى ابتعاد صاحبه، يخرج من بين طيات ردائه.. زمزمية ماء) عساه يدّق عنقه. ما شأني به.. المهم اني تحررت من اسر وجوده بقربي.. اه.. لقد نشف ريقي. (يعالج فتح الزمزمية) طيلة عمري لم ار رفقة بهذا الثقل.. ولا صداقة بهذا الدبق. (يشرب) لك الشكر يا رب.. لك

الشكر..

حسين: لم يدر الحمار أني.. انما دفنت اغلى كنز امتلكته طيلة حياتي (يستخرج زمزميته من بين الرمال. يمسح عنها الرمال. يشرب) انها رحمة من السماء قد هبطت عليّ، في الوقت المناسب، في الوقت المناسب تماما.. كنت اختنق من العطش، لا محالة، لو مكثت عنده بضع دقائق اخرى.. (يشرب ثانية) الحمد لله.. لك الحمد.. يا رب..

حسن: الحمار.. انطلت عليه الخدعة ببساطة.. صدق ان كتلة الصخر التي رميتها هي الزمزمية.. سعيد من يختار اصدقاءه من الاغبياء (يرمق زمزميته بوله.. يحتضنها.. بشوق).

حسين: من حسن حظ المرء ان يكون صديقه بهذا القدر من السذاجة والبلادة ليصدق بهذه السهولة انى تركت العجوزين يسرقان مني زمزميتي الحبيبة (يقبلها..)

حسن: (يخض الزمزمية) ما زالت ممتلئة. وستبقين كذلك ان شاء الله حتى اخرج من هذا الجحيم حيا.. اروني يا حبيبتي اروني يا نبع حياتي الاخضر.. اروني يا خضرة حياتي الدائمة ازرعيني بالربيع وبشتلات الامل. قبلما يعود صاحبي ويخنقني بالجفاف والقحط (يشرب)

حسين: (يلثم زمزميته بعشق. يخاطبها) انا.. انا.. ادعك تسرقين مني.. اهون علي الف مرة..ان ادع ابليس او عزرائيل يسرق مني روحي.. او ادع حسن غريمي يسرق كل ثروتي.. من ان ادع احداً يسرقك مني فانت روحي.. انت ثروتي انت حياتي الحقيقية.. وبدونك.. انا ميت.. انا عدم.. هيا.. هيا بثي في جسدي المتخشب.. الحياة.. احقني عروقي المتيبسة.. بالحياة.. اه.. ما أحلى الحياة بالرغم من كل شيء (يشرب).

حسن: وجعلنا من الماء كل شيء حي.. صدق الله العظيم (يمص شفتيه) وها قد شاء الله ان يبعثني حيا من جديد.. كل اعضاء جسمي.. كانت تطقطق في بحر من اليبس. مثل قطع صدئة من الحديد.. الان غدت في طراوة الحرير وليونته. وفي قوة خيوطه ومتانتها.. جلّت قدرتك يا رب.

حسين: (يلمس بقايا الماء العالقة على شفتيه بانتشاء) الان عادت الى الروح (يلثم الزمزمية ثانية كمن يلثم شيئا مقدسا) حار العلماء والفلاسفة والفقهاء، منذ نشأة الخليقة وحتى اليوم في البحث عن سر الخلود، دون ان يهتدوا اليه.. وكلكامش البائس، قضى نحبه في خضم الاهوال والعذابات من غير ان يعرفه.. انه هنا يا سادتي (يلوح بالزمزمية) هذه الزمزمية الصفراء، تنغلق على اكسير الحياة وسحر الخلود (يغلق فوهتها) ووحدي من يملك مفتاحها.. ويملك الحق فيهما.

حسن: (يهم ان يرّش الماء على وجهه.. ثم يمتنع) أي حمار انا.. لا ينبغي ان اهدر منه قطرة واحدة.. انه نسغ حياتي الذي به احيا..المعادلة.. معادلة البقاء على قيد الحياة. قد تشكلت هنا. على هذا النحو. الماء يساوي الحياة. والحياة تدوم وتتواصل بالماء. والماء وحده. من يملك الماء تكتب له الحياة.. ومن يفقد الماء يكن من الاموات. (يخضّها) الحياة تشع وتسيل من جوانبهما (يسرع باخفائها بين طيات ملابسه)

حسين: الله. جل جلاله. لحكمة في ذاته العليا. يضع سره في اضعف خلقه. في اناء مفلطح من التنك.. ملفوف بقطعة صفراء من اللباد. حقا.. لله في خلقه شؤون (يخفيها في صدره) هنا.. هنا.. عرشك فوق القلب ايتها الملكة بل في القلب، في اعماقه. اه.. يا ليتني استطيع شق قلبي وايواءك في سويدائه. فما القلب. وحقك.. ايتها الغالية.. بأغلى منك علي.. لا..

والله.. لا..

حسن: لا. لا. لاحسب طيات الملابس، بالمكان الامن لثروة بهذه القيمة لكنز بهذه الندرة.. لو اكتشفها لقتلني. صحيح انه اليف وضعيف.. ولكن الصحراء هذه الساحرة الشريرة تصنع من الفأر المدجن نمراً مفترساً (يقع في حيرة)

حسين: (يهم باعادة الزمزمية الى موضعها بين الرمال. يتوقف) لا.. يجب ان اغير المكان.. لو انتابه أي شك. وهو مستنقع شكوك تجاهي. لفكر اول ما فكر بالموقع الذي توقفت فيه للتبول. ولو عثر عليها.. لذبحني من الوريد الى الوريد.. او سلخ جلدي وانا حي. انا اعرف أي ذئب مسعور يكمن في هذا اللئيم الذي يدعي الاوجاع والعجز عن الحركة. العطش غول اذ يسكن الكائن لا يشفق ولا يرحم.. يحيل القديس نفسه وحشا ضاريا. بلا ذمة ولا ضمير.. (تشتد حيرته).

حسن: لا بد ان اجد لها مكانا اخر.. اكثر اماناً.. يعجز عن الوصول اليه.. او حتى معرفته.. لقد رأيته بنفسي. باية وحشية كان ينقب في ظهري.. حتى ليوشك ان يحفره حفراً. ابدا لم يكن معنيا بالتقاط الاشواك.. كما كان يزعم.. لقد.. هم ان ينزعني ردائي.. يا الهي.. لو نجح في نزع ردائي.. ماذا كان يحدث لي.؟ ماذا كان يحدث لنبع حياتي الاخضر..

حسين: الافضل ان اخفيها في مكان اخر. بعيد عن الصبير. (يبتعد عن الصبير. يتوقف) ولكن اين؟ هنا؟ اجل ليكن وسط الرمال في مساحة لا يميزها شيء عن سواها.. لا تتعرف عليها سوى عيني (يحفر في الرمال)

حسن: ما العمل؟ اين اخفيها؟ اللهم اسعفني.. يا ربي اعني.. الهي لا تتخل عني. انجدني.. ارشدني.. نذر علي اذ انجو ان ابني لك مسجدا.. يذكر فيه اسمك

ليل نهار (يتوقف) في.. في.. الرمال.. اجل.. اجـــل.. لـــم لا.. ســـأواربها الرمال (بحفر)

حسين: من حقي ان احتفظ لنفسي بما يحفظ لي حياتي. بوسعي ان اقاوم الجـــوع والتعب.. وحتى هذه الشمس الحارقة الشريرة.. اياماً أُخر ولكن العطـــش لا.. العطش شيء اخر اخر تماما لا سبيل الى تحمله.. ولا قدرة لي علـــى التعايش معه.. (يحفر) ولتكن الحفرة عميقة.. عميقة.. عمق حبـــي لـــك. وليكن مأواك آمنا.. اكثر أماناً من مأوى روحي بين ضلوعي.. من مـــأوى عيني في محجريهما.

حسن: (يدفن الزمزمية، يهيل فوقها الرمال) هكـــذا.. هكـــذا (يســـاوي الرمـــال) الشيطان نفسه، لن يهتدي اليها. والان ينبغي ان ابتعد عنها.. اقطع عنـــده كل شك (يزحف الى الامام).

حسين: (يسوي الموضع) الان.. الان فقط.. بوسعي الاطئنان. لـــو وهـــب ذكـــاء ابالسة الارض.. لما عثر عليها.

حسن: من الافضل وضع اشارة.. دلالة.. تدلني عليها والا ضاعت على انا الاخر. وتاهت امام ناظري (بعود يكوم فوقها الرمال على هيئة تل صغير) هذا التل الصغير يصرخ بي اول ما يلمحني، يناديني.. نداء الحياة الذي لا يخيـــب فتستجيب له كل شعرة في بدني.. قبل عيوني ولساني..

حسين: لا.. لا يمكن تركها بدون علامة.. دالة.. ترشـــدني اليـــها والا فقدتـــها.. وفقدت معها حياتي (يكوم فوقها الرمال) قبعة! البسي يـــا حبيبتـــي هـــذه القبعة.. كي تقيك الشمس وسهامها الناريـــة. هـــذه اوضـــح علامـــة.. لا تخطئها العين ابداً. وعينه هو؟ (يتوقف) اذا صـــادف وزحـــف إلـــى هـــذا الجانب؟ عينه ذات الخبرة التاريخية الطويلة في لعبات "المحيبس"؟ (يتـــأمل

ما فعله بقلق).

حسن: و.. هو؟ (يتوقف ثم بسرعة) ليذهب الى الجحيم. ما شأني به؟ لماذا يكون مغفلا الى هذا الحد. ويدع عجوزين اخرقين، يسرقان زمزميته الملاى، عماد حياته الوحيد، هل انا ابوه؟ امه؟ ليذهب الى امه القحبة ويشرب من الجرار التي وعدتني بها. انا متنازل عنها وعن كل ذهبها له.. اما الماء.. فلا.. الف لا. لن اقاسمه قطرة واحدة منه. اخر قطرة هي من نصيبي حلالي،

حسين: كاني صنعت له قدحا من اقداح المحيبس. التي سرعان ما يتعرف اليها.(يتهدم التل الذي بناه) ساقلب القدح (يحفر) احفر حولها حفرة لا ينتبه لها سواي، لا يدرك مغزاها غيري (يحفر) اجل.. اجل.. هذه علامة اكثر ضمانا لي. قدح مقلوب (يتامل) لابد في النهاية ان اعترف انه بذكاء ابليس وخبثه.. لا احسب هذه الاشارة سنخفى عليه.

حسن: (يتامل التل الذي بناه، ينتابه الشك) ترى الا يريبه امر هذا التل.. هكذا وحيدا.. متفردا في هذا العراء؟ تل وحيد في هذه البقعة المنبسطة يستوقف اشد الناس غباءا.. لا بد ان اتدبر الامر قبلما يعود. والعمل؟ المزيد من التلول اجل ذلك هو الحل. لا بد ان ابني مجموعة تلول اخر فارغة لا تحوي سوى الرمال الحارقة. تجننه تفقده عقله ولن يعثر على التل المأمول ولو قضى عمره في البحث عنه.. (ينهمك في تنفيذ فكرته)

حسين: حفرة اخرى بجانبهما، بل.. بل اكثر من حفرة تحيط بها وتحميها.. يضيع امامها، لا يعرف ايهما يختار.. ولا ايها يدع. مثل الحمار الذي اشتد به العطش والجوع. وظل يقلب النظر بين الماء الرقراق والعشب الطري. غير قادر على الاختيار.. غير قادر على عدم الاختيار.. وكانت النتيجة انه

فطس.. فطس في مكانه. مثلما سيغطس السيد حسن (يحفر)

حسن: (يرنو باعجاب الى التلول الصغيرة المثبوتة هنا وهناك) والان يا ابن امـــي التي لم تلدني. يا اخي الذي لم تلده امي استجمع كـــــل فراســـتك وذكـــائك ومكرك واضف اليها فراسة امك ومكرها.. واعثر من بين كل هذه التلـــول على التل الذي يخفي ينبوع الحياة. ولكن عليك قبل ذلك ان نجــرب حظــك العاثر مع هذا العدد الكبير من جبال النار، حتى تحـــترق كفـــاك وتمتلـــيء بالرمال عيناك.

حسين: لياخذه الشيطان. الى جهنم وبئس المصير. لماذا رمى زمزميته بكل ذلـــك التهور والنزق؟ هل لأنها فرغت حقا؟ ام لكي لا يمنحني بضع قطرات ابلـــل بها حلقي المتشقق المتمزق؟ هذا. الاناني الجشع القذر، يبخل علي بضـــع قطرات ماء في الوقت الذي جئت به اشاركه ثروة امي الطائلة. ندا لند. بـلى ويدفع بي الى هذه الصحراء القاتلة التي يكمن الموت في كل شبر منــــها. لكي ابحث له عن الماء وهو يعرف حق المعرفة ان الماء هنا اندر واعـــز من الذهب.

حسن: (يواصل بناء التلول) أبن يا حسن.. ابن المزيد والمزيد مــــن حصـــون الحماية.. اقم الحصون والقلاع والسواتر ما تستطيع حول كنز حيـلتك.. لا تتعب ولا تكف.. او او.. اتعب وانصب.. ما شاء لك التعـــب والنصــب ولكن لا تكف ولا تتوقف حتى تبني خطوط دفاعاتك وســـــواترها كأحســـن واقوى ما تكون (يواصل عمله بالرغم من تعبه وارهاقه)

حسين: (ما يزال يحفر) لقد كان يامل ان تقضي على الصحراء ووحشيتها التـــي لا توازيها الا وحشيته هو: بالتاكيد كان يخطط لدفني بين الرمال.. ولكـــن خيب الله فاله.. ها قد اتاح لي من غير ان يقصد.أو حتى يدري. فرصـــة

للحياة. ان شخصا ينطوي على هذا القدر من الخبث والكيد بالصديق. غير جدير باية مساعدة ولا رحمة. ولا يستحق الحياة اساسا.. ليفطس حيث هو.. او او. ليشرب مياه دماملة.. المسمومة. حتى.. حتى ينفجر..

حسن: ها.. ها.. ها.. (يتامل تلوله.. متباهيا.. منفوخا) كأني بعد كذا عاما اجد نفسي امام لعبة المحيبس من جديد.. بفارق ان الصحراء هي الصينية.. وهذه التلول هي الاقداح.. وجنين الحياة مزروع في احدها.. ولكن ايها؟ ذلك هو السؤال. أتتذكر لعبة المحيبس. يا اخي الذي لم تلده امي. امام عينيك كنت اخفي الخاتم في احد الاقداح .. وبنصف دورة في الصينية، كنت اقلقل لك دماغك، فتقف مشدوها مبهوتا مبحلق العينين فاغر الفم ، كل ما فيك يصرخ بالعجز كل ما فيك ينطق بالبلادة واذا كان ذلك حالك.. مع اقداح معدنية، تخفي خاتما رخيصا. ترى كيف سيكون حالك مع تلول النار هذه.. المبذورة ببذرة الحياة الدائمة؟ ها.. ها.. ها..

حسين: (ينظر الى الحفر العديدة التي حفرها. يعدها) ثلاث عشرة حفرة ابوسعك ان تحزر الحفرة المعنية. من بين كل هذه الحفر؟ تفضل.. ارني شطارتك.. يا اخي الذي لم ينزل من صلب ابي. اية اخوة مضحكة. تلك التي خدعتني بها حتى اليوم. تقدم يا هذا تقدم هنا الامتحان الحقيقي. لا صينية المحيبس واقداحها المقلوبة التي سرعان ما تمسك بالقدح الذي يختفي تحته الخاتم وتطرح بقية الاقداح خلال ثوان معدودات، فتحلق بك نشوة النصر وزهوه.. بينما اكظم انا غيظي.. واطوي حقدي بين جوانحي وعبثا احاول اطفاء نار الانتقام والثار التي تتاجج في اعماقي..

حسن: ما زلت انا المنتصر.. ذلك المنتصر الذي كان وحده يكتسح فريقا كاملا من اللاعبين الذين يتساقطون واحدا بعد الاخر او واحدا قبل الاخر.. وانت من

ضمنهم.. بينما اقبع انا في مكاني قويا كأي اسد في عرينه، اسلقكم بنظرات السخرية والاستهزاء وانت تتقدم هشا منخورا.. متزعزع الثقة.. بل معدومها.. وبصوتك المتردد والمتذبذب تشير الى الاقداح.. هـ.. هـ.. هذا.. (يشير إلى احد التلول) لا.. لا.. العفو.. هذا.. لا.. بل هذا..واذ يستقر رايك الذي لم يعرف الاستقرار يوما. على احد الاقداح وتهجم عليه منتفج الاوداج.. لا تعود بغير الفشل. محروقا بنيران خيبتك..

حسين: ها قد آن اوان الانتقام.. ها قد حلت ساعة الثار. تعال يا هذا تعال.. تمعن في هذه الاقداح الفاتحة اشداقها. ففي واحد منها.. يا ابن ابي الذي لم يدنس، وهل يجرؤ، جسد امي ستجد لا خاتما تافها من ذهب او الماس.. وانما ستجد كنزا دونه كنوز الملك سليمان مجتمعة.. تعال ومثل امامي أحد.. ادوارك البهلوانية التهريجية التي تتفوق بها (يمثل ما كان يفعله حسن) تتقدم من الصينية.. بعنادك البغلي وتبخترك الطاووسي المقيت.. تهجم على القدح وتصرخ.. هذا لا.. يا حسن. لا.. ايها المغرور خسئت وطاش سهمك.

حسن: (يتامل التلول) لي حدس لن يخطيء ابدا مثلما لم يخطيء قط. من النظرة الاولى اهجم على فريستي كالنمر.. بلا تردد ولا تريث.. هكذا (يضع كفه على احد التلول) هذا (يجمد) هو؟ بالتاكيد هو لا بد ان يكون هو نفسه (ينتابه الشك) انه كنزي الغالي.. كل ما تبقى لي من حطام الدنيا والاخرة.. لا يمكن ان اخطيء فيه. اه.. ان هذه الصحراء الكلبة تشككني في كل شيء.. تنتزع مني ثقتي بنفسي.. يجب ان ابرهن لها كم هي واهمة.. وداعرة.. ان ثقتي بنفسي لا تتزعزع.. ان حدسي لا يخطيء (يهدم التل يحفر) لا.. ليست هنا؟ اين هي؟ ماذا حل بها..؟ لا بد ان تكون هناك

(يهجم على تل اخر) لا؟..لا ايضا؟ اه.. لا.. لا.. ايها العطش المدمـــر لا تذر ابرك المسمومة في حلقي (يهجم على تل اخر يحفر).. كف عني ايـها العطش كف عني.. ما هذا بالوقت المناســـب لتمســك بخنــاقي بــاذرعك الاخطبوطية (يكاد يصعق) لا.. هنا ايضا.. لا؟ اين هي اذن. اين اخفيتها.. اه.. لا بد ان اجدها لا بد ان اطمئن عليها قبلما يعود حسين (يــهجم علــى التلول بجنون وقلق عظيمين)

حسين: هيهات.. هيهات يا حسن فانت اليوم في مواجهـــة لاعــب مـــاهر حـــذق يغمض عينيه وينفذ الى هدفه.. يسير نحوه قدما بلا تعـــثر ولا اعوجـــاج. (يغمض عينيه ويسير باتجاه الحفر) هذه هي (يصرخ) بات (يفتح عينـــــه) هنا.. أي نعم هنا.. بالتأكيد هنا.. وهذه هي الحفرة بالذات (يتوقف، يتسلل اليه خيط من الشك) ما الدليل؟ كل الحفر متشابهة كما لو كانت مجموعـــة اقداح من انتاج معمل واحد. كيف السبيل إلى تمييز احدهـــا عـــن الاخـــر (بخوف) اه.. ايمكن ان يحدث لي، الامر الذي ارتعد من حدوثه. ولا اجـــرؤ على تسميته. لا بد ان اتاكد.. (يحفر) لا..؟ ليست هنا.. اذن لا بدان تكـــون في تلك الحفرة اللعينة (يقفز نحوها، يحفرها) ليست هنا؟ اه.. يا الــــهي لا يمكن ان اعرض نفسي لموت اكيد، كهذا الذي احسه.. بكل مشاعري لا بـــد ان اعثر عليها مهما كان الثمن.. ولو اضطررت الى حفر رمال الصحـــراء كلها (يحفر.. ينتقل من حفرة الى اخرى) اه.. يا الهي ارحمني.. ارحمنـــي ولا تحملني على نبش ثلاث عشرة حفرة .. وانت .. انت.. ايتها الصراصر المسعورة.. كفي .. كفي.. لا تمزقي حنجرتي بارجلك المنشارية(يواصـــل الحفر)..

حسن: (وقد غدا في حالة غريبة من التعب والانهاك. ما يزال يــهدم ويحفـــر) لا

يمكن مستحيل.. ان هذا يعني نهايتي..الاكيدة. ربي.. ربي لابد ان تكـــون ارحم من ان تنهي حياتي بهذه الصـــــورة البشـــعة. كيـــف اهتـــدي الـــى زمزميتي..؟ اين خبرتي الطويلة وتفوقي المجيد في المحيبس.؟ وعينــــــي؟ عيني التي كان الكل يقول عنها. انها العين التي لا تخطيء. العيـــن التـــي تبصر الابرة بين حشايا اكوام القش.. ترى الدرهم في قاع البحر.. اه. ماذا دهاني. ماذا جرى لي.. الهي.. الهي.. انت ارحم من ان تدع هذا العطـــش الناري يقضي علي.. اه.. اه.. ايها العطش الجهنمي المدمر.. كف عنـــي.. اما آن لك ان تكف عني بعض الوقت..

حسين: (مايزال يبحث.. يحفر.. بانفعال اشبه بالجنون) لا.. لا ايها الاله الرحيـــم ارأف بحالي.. انقذني من بين مخالب العطش.. انه يخنق انفاسي. يمتـــص بقايا الحياة من عروقي.. يعصرني مثل عصارة خرافية وانا بيـــن انيابـــها ليمونة ضعيفة.. اه. لا.. لا تدع هذا الكلب القابع على الطرف الاخـــر مـــن الصبير.. يفرح بموتي. نذرا على يا رب ان انقذتني بمــــا اوقعـــت نفســـي فيه.. ان اذبح في سبيلك قطيعا من الاغنام.. افرقها بين الفقراء والايتـــام. اتركيني ايتها الصراصر اللعينة.. ماذا تبغين مني.. لم يعد في ما ينفعـــك.. لقد صرت اشد يبسا وجفافا من الصحراء. حفرتان لم تعد امـــــامي ســـوى حفرتين. لا بد ان تكون في احداهما.. ولكن في ايهما؟ اه.. فـــــي ايـــهما؟ يتوجب علي ان انبش كليهما او انبشهما معا.

حسن: (يطلق صرخة فرح عارمة) اه.. لك الحمد يارب.. انها هـــي زمزميتـــي.. حياتي التي خرجت من بدني قد عادت.. (يخرجها بسرعة، يشرب خرخشـة من جهة الصبير.) ما هذا؟ عاد؟ بهذه السرعة (يســـد فوهـــة الزمزميـــة. يدفنها حيث هو. يزحف فوقها.. جالسا، يرخي السمع. يمد راسه.. يتطلـع)

لا اثر له.. انها الرياح تصفع الصبير (يخرجها ثانية. يشرب) كفى.. كفى والا فرغت (يدفنها) هذه المرة، ينبغي ان اكون اكثر حذرا. (يفكر) سأضبط المسافة بينهما وبين الصبير (يقيس المسافة) ثلاثة عشر شبرا على يمين الصبير(يعيد القياس) بالضبط.. ثلاثة عشرة. لا غير. والان. الى التلول.. لاحيطه بالتلول.. ساتعرف على تلي من بين الملايين. (يبني التلول ثانية)

حسين: و.. اخيرا (يخطف زمزميته) اه.. ما ارحمك يا رب.. اذ استجبت لدعائي (يشرب) لاشك انه استبطأ عودتي.. واخشى ان يزحف للبحث عني (يدفنها) علي ان اسرع باخفائها.. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. سأتخذ الصبير هذه المرة دليلي. (يقيس المسافة بالاقدام) ثمان اقدام يجب ان احفظ هذا الرقم احفره في ذاكرتي ولا انساه ابدا. فهو اهم واعز من رقم خزانة كل ثروتي.. انه مفتاح حياتي.. مفتاح النبع الالهي الذي يمد وجودي بالبقاء والديمومة.. والان الى التمويه الى المخادعة.. الى الحفر الاخرى المضللة (يحفر).

حسن: (يفرغ من بناء التلول) ثمانية تلول. بل ثمان قبب صغيرات جميلات مقدسات او بالاحرى ثمانية اهرام.. واحد منها أفضل من اهرام الدنيا. ماذا تحوي الاهرام غير رفات الموتى ومومياءات وتحفيات هرأها التاريخ.. بينما هرمي هذا .. ينطوي على كنوز الدنيا.. كلها.. على السحر الذي يبعث الموتى احياء..

ثمانية تلول على مبعدة ثلاثة عشر شبرا عن الصبير (يعيد العد.. وقياس المسافة) و.. السحر الاعظم.

حسين: الان.. الان.. فقط.. استقرت نفسي وهدأت روحي (يتامل الحفر) ثلاث عشرة حفرة.. ثمان اقدام عن الصبير لن اخطئك ثانية.. اخطأ في التعرف

على امي ولن اخطأ في التعرف عليك.. فانت في هذه الظروف، احب الـــي واعز علي من امي. بماذا يمكن ان تنفعني امي في محنتـــي هنـــا؟ هـــاه؟ بماذا؟

حسن: ترى ماذا جرى له؟ لماذا تأخر حتى الان؟ ايكون قد عثر على المـــاء وراح ينهل منه.. بلا حساب ولا ترو.. مثل الضفدعة التي رغبت ان تكون بقـوة. فراحت تعب الماء وتعب حتى انفجرت. ولكن أي ماء يمكن ان يكون فـــي هذه الصحراء القاحلة الجرداء.. ما اشد غبائي اذ أصدق الاكـــاذيب التـــي اخلقها للايقاع بغيري واقع انا في احبولتها.. (يتوقف) ايـــا كـــان الامـــر يتوجب علي ان ابتعد عن هذا الموضع.. ولا ادعه، هو الاخر يدنو منـــه.. بتاتا (يزحف مبتعدا عن موضعه، ما يستطيع)

حسين: ما هذا؟ كان احدهم يزحف نحوي، احدهم؟ ومن هنا سواه؟ لا بد ان يكون هو.. اما زال بوسعه الزحف؟ الم تحرقه الشمس وتخلفـــه رمـــادا يختلـــط برمال الصحراء؟ الم يقتله العطش حتى الان (يطل براسه من خلف الصبير تصلصا على صاحبه) اين يزحف هذا الكسيح الخبيث؟

ايكون قد فطن الى وجودي يختفي خلف الصبير.. يراقبه واذ يراه يزحـــف نحـــو الامام (يخرج من مكمنه. يسير خلفه ببطء شديد. محاذرا ان يثير انتباهـــه يتصنع التعب والانهاك. وزيادة في المبالغة.. يمسح شفتيه بالرمل).

حسن: (يتطلع هنا وهناك) اين هو؟ لماذا لا اراه؟ لماذا لم يعد؟

حسين: (من خلفه، بصوت واهن متقطع) حـــ.. سن.. حـــســـ.. ن.. حبيبي؟

حسن: حسين.. انت؟

حسين: (بنفس النبرة) ما الذي حملك على ترك مكانك.. اه.. انه العطش لا بـــد ان يكون العطش قد اشتد بك.. انا.. اعرف أي قدر ظالم اعمى هـــذا الوحـــش

الذي يسمونه العطش.. انا خبرته جيدا. اكتويت بنيرانه.

حسن: بل القلق.. يا حسين.. قلقي عليك فاق قسوة الوحش الذي تتحدث عنــــه.. هـــ.. هـــ.. هل عثرت على شيء.. هل من امل؟

حسين: لا.. لا يا. حسن لا شيء في هذه الصحراء الكلبة الداعــرة.. لا شـــيء.. غير الرمال والحجرات.. والشمس الحارقة.. لقد صدقت.

حسن: اه.. اه.. مـــ.. مـــ.. ماذا جرى لك..؟ تعثرت؟

حسين: تعثرت وسقطت.. ونهضت.. وما اكثر ما سقطت ونهضت. وهـــا انـــا ذا اسقط السقطة التي لا نهوض بعدها (يتهالك امامه. يرنو اليه. كاشفا عـــن الرمال على شفتيه ووجهه)

حسن: ما هذا؟ ماذا فعلت بنفسك ايها الحبيب؟

حسين: شيء لا يقال . وان قيل لا يصدق.. وان صدق.. لا يمكن صـــدوره عـــن انسان.. اه.. اه.. يا لقسوة الزمن. يالقسوة الاشياء.. يا لقسوة كـــل مـــا يحيط بنا..

حسن: اخبرني.. يا حسين.. اخبرني.. ارجوك..

حسين: لا.. لا.. لا تحمل هما.. ساكون بخير.. عسى ان اكون بخير..

حسن: انت تزيد من قلقي عليك.. قل لي.. ماذا هناك؟

حسين: لا تقلق.. ارجوك.. لا تقلق من اجلي..

حسن: كيف؟ وانت قد تكبدت ماتكبدت. وعـــانيت ماعـــانيت فـــي سـبيلي.. آه.. ارجوك.. تكلم لا تدع احساسي بالذنب يقتلني.

حسين: يشهد الله.. انني كنت اريد ان اخفي عنك حقيقة الامر.. كي لا.. احملـــك. او.. او.. تحمل نفسك مسؤولية ماحدث.. و.. ولكي اجنبـــك أي احســـاس من هذا القبيل.. ولكن يبدو ان لا فائدة من الانكار.. ولا بد من الاقـــرار..

اه.. ما اشق علي ذلك ما اصعب.. علي ذلك!.

حسن: (يتصاعد فضوله ولهفته) ها.. ها؟

حسين: (بسرعة) ولكن لا تحسبني مجنونـــا.. ارجـوك لا تحســبني مجنونـــا.. فالصحراء بكل لا معقوليتها.. لم تفقدني كل عقلي، بعد..

حسن: (بصبر نافذ) ولكن ما الذي جرى.. ما الذي حدث بالضبط؟

حسين: ظلي.. ظلي اللعين.. هو الذي خدعني..

حسن: ظلك؟

حسين: في دوامة بحثي المجنون عن الماء، لم انتبه ان لي ظلا.. نســـيت انـــي مخلوق ذو ظل.. واذ سقط امامي، بدت لي الرمـــال التـــي ظللّـــها ارضـــا مبلولة.. رطبة.. فصعقني الامر.. وتلبستني حالة فظيعة. وجدت نفسي بين الجنون والعقل. على حافة اليأس المدمر.. فـــ.. فهجمت علـــى الرمـــال.. اقضمها.. امص رطوبتها المعدومة..

حسن: و.. واكلت.. اكلت الرمال فعلا؟

حسين: وكأني القيت في جوفي حفنة ابر مسمومة.. مصنوعة من نار جهنم.

حسن: (بعفوية) ينبغي ان تغسل فاك فورا.. فقد تكون الرمال ملوثة..

حسين: بماذا؟ بالمزيد من الرمال الملوثة الحارقة؟

حسن: (متراجعا) أ.. أ.. حقا.. يبدو اني. ازاء مأساتك، قد فقدت عقلي.. ورحـــت اهذي ولا اعي ما اقول.. عفوك ايها العزيز عفوك اذ حملتك ما هو فـــوق طاقتك.. وسببت لك عذابا ما بعده عذاب.

حسين: قدري.. انه قدري الوحش الذي..

حسن: بل انا.. انا الاناني القذر الذي دفع بك الى اتون الصحراء.. ونارها التي لا تخمد.. اه.. اه. لن اغفر لنفسي فعلتي البشعة معك.

حسين: (إيغالاً في تكثيف احساس صاحبه بالذنب) لا. لا. هون عليك، انت اخـي. ومهما فعلت من اجلك وتحملت في سبيلك فاني لن.. افي اخوتـــك بعـض حقها.. اه.. اه.. (يتوجع) اه..

حسن: والعمل.. يالهي.. مالعمل.. انت تتمزق.. امام ناظري من الالم وانـــا.. لا افعل شيئا.

حسين: وماذا بوسعك ان تفعل.. ايها العزيز..

حسن: ذلك ما يقتلني.. احساسي القاتل بالعجز.. يفتت كبدي.

حسين: اه.. اه.. (يتوجع)

حسن: ليتني كنت قربة ماء.. افرغ نفسي في حلقك.. اغسله من كل ما علق بــه من لعنات الصحراء. من قذارات الصحراء. وارويك.. ارويك.. اعصر آخـو قطرة من مياهي في فيك.ولا يبقى مني سوى جلد يابس متشقق.. تلبســني رداء يقيك نيران الشمس. لعلي اكفر عما اقترفت بحقك.. واستعيد بعـض احترامي وتقديري لنفسي.

حسين: لا. لا ايها الحبيب.. لا تحمل ضميرك وزر ما جرى..

حسن: كيف؟ يا الهي.. كيف..

حسين: تعرف اني اكون سعيدا.. راضيا عن نفسي بقدر ما اكون نافعـا لـك. ان مايخفف عني قسوة مايحيط بي. هو وجودك معي. من خلالك فقط يمكننـي ان استعيد ثقتي بالانسان. واجدد ايماني الذي يكاد يتلاشى.. بـــان الخـير مازال موجوداً في هذا العالم الفظ.. وان كان هذا الوجود محـــدودا جـدا، متحققا في مساحة صغيرة لا تتجاوز قامة انسان واحد.. وهو انت.. انـــت ايها الغالي..

حسن: ما انا الاصدى لما يعتمل في داخلك من قيم الخــير والنبـل. مـا انــا الا

انعكاس لما في داخلك من طيبة ووفاء واخلاص. فالاصل.. انت.. انت الاصل.. انت الاصيل..

حسين: لا.. لا.. اننا اخوان.. عملتان نادرتان..

حسن: بل.. بل وجهان لعملة واحدة نادرة.. لا تجد لها مثيلا في هذه الدنيا المتوحشة التي بات ناسها ذئابا.. ينهش بعضها البعض..

حسين: من فضل الله علينا ونعمائه.. ان ابوينا قد ربيانا واحسنا تربيتنا.. ماحييت لن انسى حنان ابيك علي وعلى امي التي ترملت وهي في ربيعها الخامس والعشرين.. لقد احالني ابوك محل ابنه.. بلا تمييز ولا تفريق.. وامي.. امي الطيبة.. الرقيقة كانت على الدوام لك ولابيك الصدر الرؤوم. والقلب الحنون.

حسن: (يداعب دمامل قدميه، يحدق في المجهول، ساهما) تقتحم ذهني بقوة صورة العجوزين..

حسين: العجوزان؟ وما علاقتهما بابوينا..

حسن: المال..

حسين: ها؟

حسن: اقصد الناس.. باتوا عبيدا للمال.. لا يعبدون سوى المال..

حسين: حقا.. وما ابشع مايفعله المال بالانسان.. تصور بالرغم من كل مظاهر التقوى والورع التي كانا يتظاهران بها. لم يتورعا عن سرقتنا والقائنا في العراء. خاليي الوفاض. مجردين حتى من بضع قطرات ماء.. او كسرات خبز.

حسن: ترى ماسر هذا السحر الخرافي الكامن في المال.. لماذا يتهالك عليه الناس بهذا الشكل الحيواني.. دائما وابدا..

حسين: مع ان ثمة حالات وظروفا لا تجدي فيها اموال الدنيا فتيلا. كمثـل حالنـا الان..

حسن: (ساهما).. فعلا..

حسين: قدح ماء واحد بات يساوي الان نقود الارض وثروتها..

حسن: انه.. لـ.. لكذلك..

حسين: انا الان على استعداد ان اشتري قدح ماء واحد. ثمنه لا يعـدو فلسـين.. بمئة.. الف.. دينار

حسن: ها..؟

حسين: بل بالف الف دينار.. ولكن هل ثمة من يبيعني.. قدح ماء من؟.. من؟

حسن: (مايزال ساهما) الف.. الف دينار؟

حسين: اجل.. الف الف دينار لقدح ماء واحد.. هل تبيعني..ها؟ ها؟.. اقول.. هـل تبيعني. أُعطِك الف الف دينار. عدا ونقدا.

حسن: (منتفضا) ابيعك؟ ابيعك ماذا؟ ابيعك ماء؟ هل جننت؟ هل انت مجنون؟

حسين: (متراجعا) انا.. انا.. في الحقيقة.. لا اتهمك بشيء.. أي شيء

حسن: اذن ماذا تقصد؟.. ماذا تريد..؟

حسين: كـ.. كـ. كنت.. فقط.. كنت اريـد ان اخفـف عنـك شـدة احساسـك بالخسارة.. بسبب نقودك التي سرقت منك. وقد رايت وجـهك قـد اغتـم كثيرا.. ورحت.. تسرح.. انا.. انا.. ربما اسات التعبير..

حسن: وانت؟ اما تشعر بالاسى على مافقدت؟

حسين: انا.. انا.. ولاكن صريحا معك.. اجل.. اجل.. يجـب ان لا اخفـي عنـك شيئا..

حسن: ماذا تعني؟

حسين: انا.. مازلت احتفظ ببعض النقود.. لقد اخفيت بعضا. من نقودي.. انظـو.. انظر (يخرج رزمة نقود ورقية كبيرة) وانا.. انا ادفعها.. قريـــر العيــن.. راضي النفس.. ثمنا لقدح ماء.. لك.. انت.. وليس لي..

حسن: اه.. ما اشد وفاءك.. مع ان حاجتك الى الماء بمثل حاجتي اليـــه.. ان لـم تكن اشد.. انني.. انا الاخر.. لست حمارا الى الحد الذي اتــرك عجوزيـن اخرقين.. يسرقانني كل نقودي.. فما زلت محتفظا.. باضعاف ما ســـرقا.. (يخرج كمية كبيرة من النقود) ولكن ما قيمتها؟ ماذا تنفع؟ خذ.. ياحســين خذ منها ماتشاء.. واعطني جرعة ماء (ينـــتزع منـــها اوراقـــا. يرميـــها فتحملها الرياح هنا.. وهناك)

حسين: لا.. لا(يحاول التقاطها) لا تهدر اموالك هل انت مجنون؟

حسن: وبماذا تنفعني اموالي..؟ هل تؤكل؟ هل تشرب؟ خذهـــا.. خذهـــا.. كلـــها(يرمي عليه الاوراق كلها.. فتقرفها الرياح) هاكها.. خفف عنـــي الحمـــل.. هاكها.. هاكها..كلها.

حسين: (يلاحق الاوراق. يلتقط منها مايستطيع. بعضها يتكوم على الصبير يلقـــي بنفسه فوقها، بانفعال شديد وبلا تردد.. وغير حافل برزمة اوراقه النقديـــة التي سقطت منه) لماذا.. لماذا؟ انها ليست.. نهاية العالم..

حسن: بل هي النهاية.. بالنسبة لي هي النهاية..

حسين: لا يمكن.. لا يمكن ان تكون النهاية(يلم الاوراق بحماس)

حسن: (مندهشا من سلوكه) ماهذا؟ لماذا يجشم نفسه كل هذا العناء مـــن اجـل اوراق، يفترض انها لم تعد تجدي(يخطف رزمة اوراق حسين الســـاقطة) لابد ان له خطة للنجاة.. والا لما تهالك على الاوراق هذا التهالك(يخفـــي الاوراق بين طيات ملابسه) اوراقك ياحسين.. اوراقك.. لـــم تبـق منـــها

الرياح ورقة واحدة..

حسين: (يتغافل عن حسن، يخاطب نفسه) اوراقي؟ لتذهب الى الجحيم اوراقي المزيفة تلك(يواصل التقاط اوراق حسن) هذه هي الاوراق النقدية الحقيقية.. النقود الصحيحة التي سابدأ بها حياتي من جديد.. ان شاء الله..

حسن: (لنفسه) ترى لو عرف ان نقودي التي يقتل نفسه في سبيلها انما هي نقود مزيفة. حملتها معي لخداع اللصوص وقطاع الطرق.. أكان قد تحمس لها هذا الحماس. وسال لها لعابه على هذا النحو؟ المهم ان النقود الحقيقة صارت لي.. لي وحدي(يتشاغل.. بفرك دمامل قدميه)

حسين: (يخفي الاوراق التي جمعها) النقود قوتي.. بدونها.. اشعر بنفسي جسما طائفا، في سماء الاهمال والاحتقار، بلا وزن ولا ثقل.. من حسن الحظ انه لم يرني. ما زال مشغولا بحفر دماملة القذرة.. كما لو كان يحفر بئر ماء عذب(يرجع الى حسن) ولا ورقة اية.. ريح شرسة لم تترك ورقة واحدة.. وفوقها فقدت كل اوراقي

حسن: الى جهنم. تلك الاوراق المصبوغة التي لا تساوي ثمن اصباغها ولا سعر القطن.. او التبن المصنوعة منه..

حسين: (يتعمد تغيير مجرى الحديث عن الاوراق) اما تكف عن دماملك اللعينة..

حسن: تستبد بي رغبة في قضمها وملء حلقي اليابس بمائها القراح.

حسين: مائها القراح؟ اتحسبه ماء زمزم.؟ ما اشد بؤسك ياصاحبي! انها لا تعدو مجموعة جراثيم فتاكة.. تنجز لك ماعجزت الصحراء عن انجازه حتى الان..

حسن: لا بد ان ابلل ريقي ياحسين.. اني اختنق.. اختنق حقيقة.

حسين: مامن سبيل ياعزيزي.. مامن سبيل. تحمل مثلما اتحمل

حسن: الى متى؟.. الى متى..

حسين: الى.. الى ان يقضي الله.. امرا كان مقضيا..

حسن: وهذه النبتة المنتصبة هنا اما تحوي بضع قطرات ماء؟

حسين: الصبير؟ نبتة الصبير؟ دعك منها انها جنية في جلد قنفذ. من يجروء على الاقتراب منها.. ناهيك عن لمسها. انظر انظر.. مزقت يدي(تشتد الرياح)

حسن: اه.. ماكانت تنقصنا الا هذه الرياح.. كانها اتفقت مع الصحراء على دفننا هنا.. احياء.

حسين: سد فاك.. سده باحكام والا امتليء بالرمال.

حسن: تبدو.. كانها بدايات عاصفة رملية.. من تلك العواصف التي تقلب كل رمال الصحراء فوق جسدينا

حسين: يا للهول.. اين نولي

حسن: جرني.. جرني.. نحو الصبير.. لنحتمي بالصبير.

حسين: لقد امتلأت عيناي بالرمال.. لا استطيع فتحهما.

حسن: لا تفتحهما.. لا تفتحهما.. ماحاجتك اليهما، على اية حال؟

حسين: (يجره) فعلا يبدو ان لا شيء هنا.. يجدي فتيلا..

حسن: (من بين اصابعه ينظر، يرتعب اذ يرى انه بجرّه صوب زمزميته)لا.. لا الى الجهة الاخرى.. خذني الى الجهة الاخرى(يشيرالى الطرف الاخر من الصبير)

حسين: (لنفسه برعب) حيث دفنت زمزميتي.؟ مستحيل. ولو فطست (له ، بصوت طبيعي) وما الفرق؟ كل الجهات سواء.(يواصل جره، عكس الاتجاه الذي يريده حسن)

حسن: لا. لا. الرياح تهب من اليسار.. ولا شك ان العاصفة ستهجم من اليســـار ايضا.

حسين: لا يسار ولا يمين.. العاصفة سوف تستبيح.. كل الاتجاهات. كل الصحراء ستغدو كرة تركلها العاصفة من كل الجهات..

حسن: لا.. لا.. وجهة الرياح واضحة..

حسين: (يتوقف. يتأكد من صحة كلام صاحبه) اسمع يا حسن. ليس هذا بالمكــان الامن.. العاصفة اذ تشتد تسقط الصبير فوقنا.. ويقضي علينا.

حسن: الصبير اقوى من الجبل.. ســيصد العاصفــة ويحمينــا مــن.. اهوالــها ومخاطرها..

حسين: (لنفسه) الزمزمية.. زمزميتي.. كل همه زمزميتي.. ولكن هيهات والــف هيهات.. (يفكر)

حسن: هيا.. هيا.. اسرع.. خذني.. حركني.. ما بالك صمت كالصنم.؟

حسين: (يتلوى فجأة، يمسك منتصفه يصرخ) اخ.. اخ..

حسن: مابك.. ماذا جرى لك..؟

حسين: بطني.. بطني.. الاف السكاكين شرعت تمزق احشائي.. آخ.. آخ..

حسن: اه.. ياالهي.. ماذا افعل الان، تحمل.. ياخي تحمل..

حسين: الامي لا تحتمل.. اوجاعي لا تطاق(يتقلب فوق الرمــال متظــاهرا بــالآم شديدة) حسن.. ابق معي.. لا تتركني وحدي ياحســـن.. لا اقــوى علــى مواجهة الالام والعواصف وحيدا

حسن: انا اتركك؟ ما الذي تقول؟ كيف اتركك.. تعال. تعال اقترب منـــي.. افــرك لك.. معدتك.. لعل الله يرأف بحالك.. ويضع على يدي شفاءك.

حسين: (يستسلم له) اه.. اه. ما كان ينبغي لنا ان نعرض انفسنا لهذه التهلكة..

حسن: من يعرف الغيب.. من يعرف ما تخبئه الاقدار

حسين: لقد كنا في احسن حال.. ثروة.. جاه.. مكانة.. يحسدنا عليها الملوك..

حسن: خفف عنك.. ياأخي.. خفف عنك.

حسين: تأمل.. انظر.. ماذا فعل بنا جشعنا.. لقد احالنا الى جرويين منبوذين.. محتضرين.. لا يجدان جحرا ياويان اليه يقيهما غضب الصحراء.. وعواصفها الهوج.. اه.. قاتل الله الجشع.. قاتل الله الجشع.

حسن: ومن بوسعه الزعم انه محصن ضد الجشع او قادر على مقاومته.

حسين: ولكن علينا ان نعترف. باننا نحن التجار، اشد الناس ضعفا امام الجشع.. وانبهارا بلمعان الذهب.. ولهاثا.. وراء اوهام الثروة..

حسن: ما نحن الا ضحيتان بائستان من ضحايا الغش والخداع..

حسين: الغش والخداع؟ ممن؟ من قبل من؟

حسن: (كمن يخاطب نفسه) ممن لا يخطر لنا على بال. ممن لا يحوم حوله شك

حسين: اعرف ان الثروة التي وفقنا الله الى جمعها بسرعة مثالية. قد جعلتنا موضع حسد الكثيرين.. ولكن ان يكيدوا بنا هذه المكيدة السافلة.. فامر بعيدا عن ادراكي.. وحتى عن توقعي.. من؟ من يمكن ان يفعل بنا.. هذه الفعلة الفظيعة..

حسن: لو قلت لك لما صدقت!

حسين: قل ارجوك قل.. فبقدر ماتحملك الصحراء ان لا تصدق بشيء.. يحملك يأسك ان تصدق بكل شيء.. فقل لي من؟ من؟

حسن: امك.

حسين: (مصعوقا، يصرخ برعب) امي؟

حسن: وابي.. ايضا.

حسين: يا الهي.. يا الهي.. ايمكن؟

حسن: تلك هي الحقيقة.. بكل مرارتها. وصدقها.

حسين: لا يمكن.. مستحيل.. كيف؟ كيف.. ادركتها؟. كيف عرفت؟ من أخبرك بها.. كيف توصلت اليها.. اه.. اه.. (يعصر رأسه)

حسن: كانت تتراءى لي مموهة.. عبر فضاءات مضببة من الشك. حينما كنا نحفر ونمزق أحشاء الصحراء، دون طائل، ثم أخذت طبقات الضباب تتكشف.. والشك يتلاشى.. يوما بعد يوم. بل ساعة بعد ساعة.. ويحل مكانه يقين.. يقين إلى حد الجزم.

حسين: هذا أمر لا يصدق.. هذا أمر غير قابل للتصديق.

حسن: بل.. صدق.. صدق..

حسين: انها.. انها جريمة تتصدع لهولها الاكوان.

حسن: ربما. ولكن لم تهتز لاي منهما شعرة.

حسين: و.. ولكن كيف.. اقصد.. اقصد.. لماذا.. لماذا..؟

حسن: اذا اشفقت عليك السماء.. واعادتك سالما من هذا الجحيم اسألهما..

حسين: اسألهما؟ قسماً بجلال الله وعزته. اكون اشد ابناء الكون براً بوالديه.. اذ اكتفي بتمزيقهما.. وشرب دمائهما.. اذا ثبت لي انهما.. فعلا قد..

حسن: تذكر.. تذكر حلمهما.. ذلك الشر المصنوع على هيئة حلم. ذلك الخبث المجدول على شكل رؤيا.. مما يعجز الشيطان نفسه.. بكل خبثه وشره.. على انجاب شقيق له.

حسين: حقا.. حقا.. الجرار.. الصحراء.. الذهب..

حسن:والبقعة التي حدداها لنا..

حسين: ابعد موضع في الصحراء.. اعمق نقطة في الصحراء.

حسن: والتي بلغناها.. وشققنا بطنها في كل شبر. وانتزعنا احشاءها الداخلية من كل سنتمتر.. لقد حلجناها.. حلجا.. هل رايت ذهبا.. هل شممت للذهب رائحة..

حسين: ابدا.. ابدا..

حسن: ونصائحهما.. بان لا نحمل من الطعام والشراب الا النزر اليسير.. الا الاقل من القليل..

حسين: (يضرب راسه) كي ينفد خلال ايام.. وتفترسنا الصحراء.. يا الهي.. يا الهي.. !!

حسن: هل تاكدت الان..؟

حسين: ولكن لماذا؟ صدقني ان ما بات يدمي فؤادي اكثر من فعلهما.. هو هذا السؤال المريع.. لماذا؟ لماذا فعلا بنا ما فعلا..؟ لقد كنا دائما طوع امرهما.. حققنا لهما كل رغباتهما حتى اشدها تطرفا.. وشذوذا..

حسن: (بعمق) عدا.. واحدة..(صمت ثقيل) الزواج..

حسين: الزواج؟

حسن: زواجهما الذي انهكما الجري وراءه.. مثل كلبين في يوم قائظ.. لقد وقفنا كلانا.. ضده وباصرار..

حسين: (بسرعة) من اجلهما.. اكراما لهما.. كي لا يصبحا اهزوءة امام المجتمع، يشمت بنا الاعداء. يا الهي.. نزوة.. نزوة مريضة حقيرة.. انتابتهما قبل عشرين عاما. ظلت تغذيهما بالحقد؟ بهذا القدر الوحشي من الحقد والغدر..

حسن: بل قبل عشرين عاما.. قبلها بكثير.

حسين: قبلها؟ قبلها بكثير.. يعني.. يعني حين كان ابي.. وامك ما يزالان على

قيد الحياة ؟

حسن: ولهذا السبب فكا عنهما قيد الحياة.

حسين: تقصد.. تقصد.. لا.. لا.. مستحيل.. لا.. لا..

حسن: لم لا؟ ان من يقدم على قتل ابنه بهذه الطريقة البشعة لا بد ان يكــون قــد مارس القتل، قبل ذلك، مرات ومرات.. وقتل الزوج او الزوجة.. اهون من قتل الابناء.

حسين: يا الهة اللعنة. يا ابالسة الخسة والدناءة.. عا.. عا.. عا.. عا.. (يسد فــاه بكلتا يديه، يقاوم حاجته الى التقيؤ) عا عا عا عا..(يخفق يقذف من جوفــه ماء اصفر) عا عا عا ع.. عا عا عا ع

حسن: حسين.. ماذا بك.. ماذا جرى لك.؟

حسين: (بعناء شديد) مرارة.. مرارة شديدة كريهة.. ابغض من الخيانة، تفجــرت في.. عا عا عا.. (يندفع بغريزته حيث.. اخفى زمزميته) ا.. عـــا..عـــا.. (تصده الرياح) مـــ.. ا.. ء.. مـــ.. ا.. ء..

حسن: ماء..؟ اتهرع نحو الماء؟ هل عندك ماء؟

حسين: (ينتبه لنفسه. يتوقف فجأة) ماء؟ أي ماء؟ من ذكر الماء؟

حسن: انت؟

حسين: انا؟

حسن: في غفلة منك.. وهرعت نحوه..

حسين: مستحيل..

حسن: لا جدوى من الانكار.. يا حسين.. لقد سمعتك مثلما.. سمعتك الصحــراء.. والرياح والرمال..

حسين: اذن فقد كنت اهذي.. لا شك ان المرارة التي اجتاحتني افقدتني عقلـــي..

واطلقت لساني.. بما لا اعي..

حسن: لا.. ياحسين لا.. (غير مقتنع، يتوسل) حسين انت اخي وانـــا.. اخـوك.. ليس لاحدنا.. في هذه الدنيا الظالمة. في هذا الزمن الداعر الذي تكيد فيـــه الامهات والاباء.. بالابناء. غير الاخر.. فلا تبخل علي ببضـــع قطـرات.. بضع قطرات حسب

حسين: (تشتد به الحيرة، باحساس متزايد بالحصار) انا.. انا..

حسن: (يزداد توسله والحاحه) ارجوك، ياحسين.. اتوسل اليك. اقبل قدميك.. انـــا اوشك ان اختنق.. فلا تبخل علي ببضع قطرات..

حسين: (بعد تفكير) بضع قطرات؟ بضع قطرات فقط..

حسن: تكفي.. ابلل ريقي..

حسين: لا. لا. ياحسين. انت اخي.. اخي الحقيقي.. وستشرب مثلما..اشرب.

حسن: (غير مصدق.. بلهفة) ..صحيـــح..؟ صحيـــح.. اه.. ياحســين.. اه.. مـــا اوفاك.. ما اشد اخلاصك..

حسين: حرام علي.. ان شربت وحدي.. تعال.. تعال (يجره نحو الصبير)

حسن: واخيرا.. ساشرب ماء.. سابلل ريقي.. اه.. اه..

حسين: واي ماء.!! نفس الماء الذي سارتوي منه..

حسن: حقا؟ حقا..؟

حسين: لينزل في جوفي نارا ملتهبة.. رمالا مشتعلة.. ابرا مسمومة ان لم اسـقك الماء الذي قررت ان اشرب..

حسن: اه.. اه.. وفقك الله.. باركك الله..(حسين يتركه قرب الصبير بينما يـــروح يعالج كسر قطعة من الصبير) مـــ.. مـــ.. ماذا تفعل؟

حسين: اسقيك الماء الذي ساشرب منه..

حسن: (بخوف) مــ.. مــ.. ا ا.. الصبير؟

حسين: هذه الاوراق البدينة، ريانة، لا بد ان تكون ممتلئة بالماء

حسن: ماء.. ماء في الصبير.

حسين: اعذب ماء.. يمكن ان نعثر عليه.. في هذه الصحراء..

حسن: لا.. لا.. انها.. قد تكون مسمومة..

حسين: مسمومة؟

حسن: اغلب نباتات الصحارى.. مسمومة.. و..

حسين: هل لديك.. ماهو افضل من..

حسن: افضل؟ لدي انا؟ ماذا تقصد؟

حسين: بضع رشفات من ماء غير مسموم.

حسن: امجنون انت؟

حسين: لا. ولم اكون مجنونا؟

حسن: لانك.. لانك.. لاني.. من اين اتيك بالماء.. وانا اشد ظمأ منك

حسين: كذبت يا حسن.. لست اشد مني ظمأ.. ولا حتى ظمأن بمقدار ظمأي

حسن: بل.. انا..

حسين: لو كنت صادقا في زعمك هذا.. لما مكثت في مكانك مقعيا.. ككلب عجوز اجرب.. بانتظار من يسقيه الماء.

حسن: وماذا افعل .. وانا..

حسين: تقوم انت الاخر، تتحرك تبحث.. تحاول على الاقل..

حسن: انا؟ انا ابحث؟. اتحرك؟ انا ؟ بقدمي المتورمتين المزروعتين بالدمامل.. وظهري المنخور كالغربال.. والامي واوجاعي التي لا تطيقها .. حتى الصحراء.

حسين: لو كان العطش قد اشتد بك فعلا. كما تدعي.. لانتعلت كل الامـــك وقمـت تبحث عن الماء. فلا الظهر المخـــروم ولا القدمـــان المتورمتـــان ولا الام السعير نفسها.. بوسعها منع شخص مقبل على موت محقق مـــن البحـث عن اسباب الحياة. حياته هو على الاقل

حسن: ليس الثاكل كالمعزي. لو كنت تعاني بعض ما اعاني.. او كانت حالك مثـل حالي.. لما..

حسين: معاناتك كذب.. والامك اختلاق.. وعطشك مزيف. وانـــت بـاطل.. كلـك باطل.. كل مافيك باطل.. في باطل

حسن: احذر يا حسين.. فانا..

حسين: انت الذي قدت نفسك بنفسك الى هذه الحال.. كم قلت لك لا تنزع الحـذاء. لا تلعب بدماملك.. ولكنك اصررت اصرار البغل.. كي تمضـــي قدمـا فـي تنفيذ.. ما خططت..

حسن: سامحك الله.. ماذا يمكنني ان اقول.. غير سامحك الله

حسين: لا سامحني الله.. ولا سامحني الشيطان.. اذا كانت.. امي. امي نفسها قـد خانتني وغدرت بي هذا الغدر المريع.. فلمـــاذا لا يخوننـــي ويغـدر بـي، صديق.. يمثل امامي حالة العطش ويصطنع الالام والاوجاع..

حسن: معذور قد اخلت الصحراء بعقلك ولم تعد تعي ماتقول

حسين: ابدا.. لم اكن واعيا اقوالي كما انا الان. ابدا لم تكن الحقائق واضحة امـام عيني كما هي الان.. لقد انكشف كل شيء.. لقد اتضح كل شيء

حسن: اتضح كل شيء..؟ مـــ.. مـــ.. ماذا تقصد..؟

حسين: هل لك ان تفسر لي سبب دفعك اياي الى مجاهل الصحراء. للبحث لك عن ماء. وانت تعرف حق المعرفة.. ان الصحراء تحوي كل صنوف الموت ولا

تحوي قطرة ماء واحدة.

حسن: (يهم ان يتكلم)

حسين: (لا يدعه) ليس لذلك سوى تفسير واحد. تدفع بي الى موت مؤكد.. ليبقى لك وحدك الماء الذي اخفيته في مكان ما..

حسن: اين؟ اين يمكن ان اخفي الماء في هذه الصحراء المنبسطة، مثل باطن الكف المفتوحة..؟ ها؟ اين؟ اين؟ بين ملابسي؟ تعال فتشني.. وقد فتشتني حتى كدت تنزع عني جلدي..

حسين: في داخلك ابليس خبيث.. لا يدرك احد.. مدى مكره وانانيته

حسن: اسمع يا حسين.. اذا كنت تعتقد انك بهجومك الظالم علي وعلى هذا النحو الحيواني الذي لا يعرف التوقف.. تنفي عن نفسك الشكوك.. فانت واهم.. واهم..

حسين: الشكوك؟

حسن: ما دمت تعرف حق المعرفة ان ليس في الصحراء قطرة ماء واحدة مثلما رحت تبحث..

حسين: لانك انت الذي ارغمتني..

حسن: ولماذا تاخرت كل ذلك التاخير.. اين قضيت كل تلك المدة؟

حسين: في.. في البحث والدوران.. هنا وهناك

حسن: بل في شرب الماء الذي اخفيته في مكان ما.. رحت تنهل منه حتى ارتويت..

حسين: لو كنت قد ارتويت.. لما هجمت على الصبير المغطى بالشوك اقضمه كالبصير.. الجائع الظامىء.. الذي اعماه الظمأ.. وجننه الجوع ولا يدري ماذا يفعل..

حسن: تقضمه؟ تقضم الصبير؟ اتحداك. ذاك هو امامك. تفضل ان كنت صادقـــا..
ان كنت لا تمارس الابتزاز المفضوح الرخيص حسب.

حسين: بعدما قلت لي انه مسموم.. تدعوني الى اكل السموم..

حسن: اليس ذلك ما تتبارى فيه؟

حسين: اه.. حسن.. كفاك ياحسن. الان تحققت مـــن نوايـــاك الشـــريرة. بعدمـــا انقذتني العناية الالهية الرحيمة من الموت المؤكد الذي دفعتني اليه دفعـا..
تخطط الان لقتلي مسموما..

حسن: انا؟

حسين: ولكن خاب فالك.. وطاش سهمك مرة اخرى ياحسن..ان كان لا بد ان اكل من الصبير فستاكل معي ان تسممت تتسمم معي. ان مت تمت معي. لـن تعيش بعدي ثانية واحدة

حسن: انه اختيارك انت.. فما شاني انا..

حسين: (مستمرا) واذا ابيت فما انت الا مخاتل نذل ومخـــادع ســافل. واذ ذاك.. قسما بكل ما هو مقدس.. لأملأن نفسي بشرور الدنيا كلها.. وافترسك.. او تقاسمني الماء الذي تخفيه حتى اخر قطرة..

حسن: وضع في اعتبارك انت الاخر ..انك اذا تخاذلت وتراجعت. صدق عليك كـل ماتوصمني به. هيا.. ياحسين. هيا.. هات ولنر.. اينا المخــاتل والمخــادع الاكثر نذالة وسفالة..

حسين: هكذا اذن. حسن.. الان.. الان (يندفع نحو الصبير.. يحاول كســر قطعــة منه..)

حسن: (الذي لم يكن يتوقع اندفاع حسين.. يستهول الامر كثيرا، لنفسه) ياالـهي..
ايمكن ان يكون وحشيا الى هذا الحد؟ يرغمني على اكل الصبـــير؟ لا.. لا.

مستحيل.. انه مجرد تحد. تحد اجوف كاذب حسب.

حسين: (لنفسه) الى م يقودني هـــذا الكلــب.. هــل يمكــن ان.. ان.. لا.. لا.. مستحيل.. سيتراجع.. حتما يتراجع..

حسن: سارفض. اذا اصر، لابد ان ارفض.. ارفض؟ وادعــه يشــاركني مــائي.. ويقاسمني اياه حتى اخر قطرة؟ لماذا اظهر نفسي امامه اكثر ضعفا منـــه.. ساتحداه انا الاخر.. ولن امسه اذا لم ياكل هو قبلي.

حسين: (مايزال يحاول. وكلما يمسك جزءا منه، يرتد ويصرخ مـــن الالـــم) اخ.. اخ.. اما من سبيل اليك ايها الوحش المتقنفذ..

حسن: (لنفسه، مبتهجا) اذن فهو الاخر خائف وضعيف امام اختياره يتوجب علــي ان القنه درسا. لا ينساه..(له) خذ.. هاك.. الحذاء اضربه بالحذاء (يرمــي اليه حذاءه) ينبغي ان اكون اكثر منه شجاعة..

حسين: (لنفسه) الى جهنم، ايها الوغد، كنت امل ان يقول لي كف عن محــاولاتك الخرقاء.. مادمت غير قادر على مسكه.. ولكنه صخــر.. وقلبــه حجــر.. ليكن(يستمر في محاولاته)

حسن: سيفشل وتذوب كل شجاعته وتحديه.. كحفنة ملح فـــي المـــاء. وتنتـــهي اللعبة.. ويكون هو الخاسر..

حسين: كالحمار.. يقودني قدري الى مالا ادري.. كحمار اعمى(يمســـك الصبــير بطرف ردائه. يضرب بالحذاء بقوة، تســـقط قطعـــة) اه. فـــات الاوان.. لا تتراجع.. لا تتراجع.. انا الذي تحديته بنزقي وتطرفي(يكرر الضربة، تسقط قطعة اخرى) لقد وضعته ، كما وضعت نفسي في الموقف الاصعب.. ولكــن لا حيلة لي.. لو تخاذلت تحققت كل شكوكه..

حسن: الكلب.. انه ماض في نواياه الاجرامية. دون توقف.

حسين: (يتناول القطعتين. بطرف ردائه. يلقي احداهما امامه)خذ.. خذ..كــل.. ان كنت صادقا.

حسن: (يتغلب على تردده يتناول القطعة بطرف ردائـــه) هيـــا.. هيـا لـــنر اينــا الصادق.. واينا الكاذب.. هيا.. هيا.. كل ماذا تنتظر..؟

حسين: انتظر ان تثبت صدقك انت.. وتاكل.

حسن: ولماذا لا تبدأ انت اولا.

حسين: ولماذا.. انا..

حسن: لانك انت الذي تحديت واقترحت هذه التجربة الوحشـــية ســاحة اختبـار وتحد.. ام.. ام.. تراك قد جبنت واخذت تتراجع.

حسين: لا يحبن ولا يتردد سوى المخاتل المخادع..

حسن: اذن هيا.. هيا.. لتبدأ اولا.

حسين: لا ياحسن لا. لن يكون بيننا اول ولا ثان.. سنبدا معا وفي ان واحـــد.. لا اتقدم انا. ولا تتاخر انت. وستبقى عيوني مشدودة الى شـــفتيك. لا تغفــل عنك.

حسن: لا تتاخر انت ولا اتقدم انا. موافق شرط ان تكون امينا

حسين: الاولى ان تنصح نفسك بالامانة.. هيا.. هيا.. ابـــدا.. واحــد.. اثنـــان.. ثلاثة..

(كل واحد منهما يحدق في شفتي الاخر، ويقضم فعلا محاولا جعل قضمتـــه اكبر ما يستطيع لينفي عن نفسه الشك بصورة اقوى ويؤكده في الاخر)

كلاهما: (في ان واحد، يصرخان بالم هائل) آخ.. آخ.. لقد فعلها بي الكلب..

(يجن جنونهما اذ يتحسسان الدماء على شفتيهما. يعدو كل منهما مدفوعا بغريزته نحو زمزميته. يصطدمان ببعضهما. يسقطان.. ينـــهضان. تشــتد

الرياح. وتمتليء عيناهما بالرمال. لا يبصران طريقهما. يواصلان السير زحفا. يتوجه كل واحد منهما. دون ان يدري.. عكس الجهة التي اخفى فيها زمزميته)

حسن: اخ.. اخ.. لقد فعلها.. فعلها بي هذا النذل. ماكان ينبغي ان اسايره..

حسين: اه.. اه.. لقد اسرفت في تعذيب نفسي، بسببه. بسبب ذاك السافل المنحط.. اه.. اه..

حسن:(لا يستطيع فتح عينه. بنظر من خلال اصابعه)اظنني قد بلغت المكان.. ولكن الزمزمية.. اين الزمزمية.. كيف ساهتدي اليها.. والرمال الحارقة تغزو عيني..

حسين: (يضرب بيديه هنا وهناك) الحفر.. يجب ان اعثر على الحفر اولا.. ولكن كيف.. كيف السبيل اليها.. وانا لا.. استطيع فتح عيني..

حسن: (يضرب بيده هنا وهناك كالاعمى) التلول لا بد ان اجد التلول أولا ولكن اين هي هذه التلول اللعينة.. ماذا جرى لها.. ابتلعتها الصحراء..؟ هل جرفتها العاصفة.. ومحتها من الوجود(يستمر في البحث بقلق متزايد)

حسين: لو تهدأ هذه العاصفة المجنونة(يحاول فتح عينه. يخفق) مستحيل مستحيل.. لا سبيل الى الحفر... كيف ساعثر على زمزميتي.. اه ياالهي.. ماذا جرى لحفري.. هل ردمتها الرمال.. اخفتها من الوجود(يواصل البحث باضطراب متصاعد)

حسن: هذا هو المكان. بالتاكيد هذا هو المكان. وهذا هو الصبير الملعون (يتحسسه. يرتد) اخ.. اخ.. من هذه الابر. ثلاثة عشر شبرا عن كومة الابر هذه.. ثم تلولي..(يشرع بقياس المسافة بالشبر).

حسين: اما تتوقف هذه الزوبعة الشيطانية، بعض الوقت.. التقط انفاسي افتح

عيني.. ابصر موضع قدمي.. اعرف اين انا من ينبوع حياتي الذي دفنته (من بين اصابعه يرى الصبير) الصبير اه.. وافرحتي.. الصبير.. ثمان اقدام عن الصبير (يزحف على بطنه، نحو الصبير مغمض العينين.. يصطدم به. يرتد) اخ (ينهض يقاوم العاصفة.. يبدا بقياس المسافة.. بالاقدام)

حسن: تلولي؟ اين تلولي؟ ولا تل واحد.. اه..(من بين اصابعه ينظر) ماهذه الحفر؟ هل مر ابليس من هنا وخلف اثار اقدامه؟ لا.. لا.. لقد اخطأت الموضع.. ليس هذا هو المكان.. لعلي تركته في الجانب الاخر من الصبير.. على يمين الصبير. ولكن انى لي ان اعرف في ليل العواصف والرمال.. اليمين عن اليسار (يزحف من امام الصبير نحو الجهة الاخرى) تلولي.. يا رب.. تلولي..

حسين: ثمان اقدام و.. الزمزمية.. و.. الحياة التي تفتح لي ذراعيها.. (يفتح عينيه من بين اصابعه) اين الحفر ؟ حفري..؟ ماذا حل بها؟ ولكن ما هذا.. كأني ابصر تلولا.. لا.. لا.. مستحيل كيف تستحيل الحفر الى تلول.. ولكنها تلول.. حقيقية (يتحسسها بيديه) لا.. لا.. ليس هذا بالموضع الذي اخفيت فيه الزمزمية.. لا بد انه على الجانب الاخر.. على اليسار.. من الصبير (يزحف نحوه)

حسن: (وقد بلغ الجانب الاخر من الصبير) اه.. ما اقبح طعم الدم في فمي (يبصق دما) يجب ان اعثر على تلولي والا قضي على العطش والدم.. لا بد انها هنا.. (ينظر من خلال اصابعه) اين هي يا الهي.. انها ارض مستوية.. الرمال الزاحفة ساوتها مثل ساحة العاب (يبحث يسار)

حسين: (يخرج من خلف الصبير) الدم.. هذا الدم المتخثر يخنقني.. لا بد ان

اغسل حلقي.. اغسل؟ هل انا واجد مـاء اشـربه..؟ هـذا هـو الجـانب المقصود.. يسار الصبير.. ولكن اين الحفر (ينظر من خلال اصابعه) ايـن الحفر.. يا الهي.. اتكون العواصف الرملية الهوجاء.. قد ردمتها كلها.. لـم تترك.. حفرة واحدة منه يمكن ان استدل بها على البقية.. (يضـرب يديـه هنا وهناك)

حسن: ما هذا؟ ما هذا ايها القدر المشؤم.. لا في هذا الجانب ولا في ذاك الجانب؟ ماذا حل بها..؟ هـ.. هـ.. هل اتنقل انا حقا من جانب الى جـانب.. ام.. ام اتراوح في الجانب نفسه.. اه.. لا.. لا..

حسين: لا.. لا.. جدوى.. تاهت.. ضاعت.. اندثرت.. حفري.. وسـتندثر معـها حياتي.. وتضيع هباء بكا تاكيد.. لا هنا. ولا هناك اين.. اين انت.. ايتـها الحفر اللعينة.. اين؟ اه.. اية لعنة تلعب بعقلي.. اية لعنة..

حسن: والحفر..؟ كانت ثمة حفر في الجانب الاخر، حفر عديدة ترى مـاذا كـانت تلك الحفر.. اهي اثار خف بعير ضال..؟ أي بعير..؟ وهل وقع بصري على مخلوق.. عدا جلادي الذي يلازمني ملازمة ابليس لناسك قديس.. اذن مـا هي.. كيف ظلت واضحة للعيان في صحراء دفنتها العواصف وهي تحـرك رمالـهامثل امواج البحر..

حسين: و.. والتلول.. ماذا كانت تلك التلول الواضحة وضوح الجبال تحت سـماء صافية.. اتكون اشارات ما.. وضعها شخص ما.. للاهتداء الى شيء مـا.. (يتوقف) شخص ما.. ومن هنا.. عدانا؟

حسن: اه عليك اللعنة.. يا حسين.. يا ابن ام حسين الداعرة.. انها علاماته التـي ترشده الى.. زمزميته.؟ زمزميته..؟ ولكن زمزميته قـد سـرقت منـه.. سرقها العجوزان؟ اذن ماذا هناك؟ لماذا حفر كـل تلـك الحفـر؟ (يبحـث

بجنون)

حسين: اذن فقد كانت التلول اشاراته الدالة على زمزميته. يـــا الـــهي أي عمـــى اصاب عيني. وعقلي وقلبي ايضا. فغفلت عنـــها ولـــم اهدمـــها.. كلـــها.. واستخرج الزمزمية. ولكني رايته بام عيني يرمي زمزميته في الـــوادي..؟ اذن لماذا؟ لماذا بنى كل تلك التلول؟ (يحفر هنا.. وهناك على غير هدى)

حسن: يا الهي.. يا الهي الرحيم، بعض رحمتك.. لا تدعني.. امت لا تدع السـموم تقض علي (يحفر).. لا.. فائدة.. لقد ضاعت. تلولي.

حسين: سأجن. بالتاكيد سأجن. كل ما كنت ادعيه وأمثله امامه قد تحقق وصـــار واقعا.. كابوسيا يمسك بخناقي.. السموم تملأ حلقي والدماء تغطي لســـاني والرمال تشقق شفتي! آه من هذه الرمال الطينية اللزجة.. لقد ســـدت كـــل مسامات جلدي المتيبس (يحفر)

حسن: الافضل ان ابحث عن الحفر.. ان ابحث في الحفر.. لقـــد كـــانت واضحـــة كمجموعة افواه مشقوقة.. تنادي وتقول.. ها انـــا ذا.. ولكننـــي غبـــي.. سددت عن ندائها اذني.. ورحت ابحث عن تلول لم تترك لـــها العواصـــف اثرا.. (يزحف الى الجهة الاخرى)

حسين: لا.. لا جدوى من البحث عن حفر طمرتها الرمال.. اغتالت كل معالمـــها. التلول.. التلول.. بالتأكيد هو الذي بناها.. واخفى فيها زمزميتـــه لأعـــد.. اليها لأنقب فيها (يعود ادراجه من حيث جاء)

حسن: (في الجانب الاخر) الحفر؟.. اين الحفر.. لقد كـــانت هنـــا. تبحلـــق فـــي الواحد.. كعيون الميت المفتوحة (يبحث) يا الهي.. ماذا جرى لـــها، كيـــف اختفت بهذه السرعة (ينتابه اليأس) انها النهاية.. لقد حلت نهايتي..

حسين: (في الجانب المعاكس) التلول.. اين التلول؟ ماذا حل بها.. اه.. يا الـــهي لا

حفري.. ولا تلوله.. اذن فهو الموت.. الموت المحقق الاكيد.. قــد حـــانت ساعتك يا حسين.. اه.. اه.

حسن: ما اظنه الا قد عثر على زمزميته وشرب.. حتى ارتوى.. و.. و اخفاهـــا.. في مكان ما.

حسين: ايكون قد وجد زمزميته وفر بها.. يفر الى أيـــن؟ تـــالله لامســـكن بـــه.. واقطعنه.. اربا.. اربا.

حسن: لا. لن ادعه يستأثر بالماء وحده.. قسما بالله لأذبحنه واشرب دمه.. بـــدل الماء الذي سرقه مني.

حسين: لا.. لا.. ينبغي ان اتصرف معه بحكمة.. بمنتهى التعقـــل والحكمـــة. والا تركني اموت هنا عطشا إنه في غاية الخبث والقسوة. يتوجـــــب علـــي ان اتوسل اليه واستعطفه.. قبلمـــا اســـتحيل جثـــة هـــامدة. تفتتـــها الريـــاح والعواصف.. كما تفتت هذه الرمال الجافة اليابسة..

حسن: لا. لا. اليكما عني ايها الغضب والتهور. فانتما تكلفـــانني لـــو اطعتكمـــا، حياتي. حياتي باتت بين يديه. ان شاء بعثني حيا مـــن جديـــد، وان شـــاء قتلني.. عطشا.

حسين: ربي. ربي.. ألن قلبه على.. وضع فيه شيئا من الرحمة.. من اجلـــي يـــا ربي.. من اجلي..

حسن: يتحتم علي ان الانيه وحتى اتوسل اليه ان اقتضى الامر اجـــل. اجـــل. يـــا حسن دع عنك كل كبريائك وغرورك وتوسل اليه.. مرغ انفـــك بـــالتراب.. المسألة مسألة حياة او موت موت؟ لا.. لا اريد ان امـــوت.. لا ينبغـــي ان اموت..

حسين: (بنبرة رقيقة) حسن.. حسن حبيبي.. اين انت.؟

حسن: حبيبه؟ انا حبيبه؟ اه. يا لخبثه الذي جعل صوته ينساب لينا ناعما كالافعى.. اذن فقد عثر على الماء. وقد تهيأ مسبقا لخداعي ثانية. آملا بلغته المائعة هذه ان يحملني على تصديق اكاذيبه الجديدة التي اختلقها.. ولكن هيهات.. هيهات..

حسين: حبيبي حسن.. اين انت؟ ماذا حل بك؟

حسن: حسين.. حسين عزيزي.. انا ابحث عنك.. اين انت يا عزيزي!

حسين: عزيزك.. عزيزك يا كلب.. تنافقني بهذا الرخص لكي تصرفني عن مطالبتك بمائي الذي سرقته.. ولكن لا.. لا.. ايها الخبيث المسكون بنفاق اهل الارض.. لن تخدعني ثانية

حسن: حسين.. حسين عزيزي.. لماذا سكت؟ لماذا لا تجيب؟ تكلم دعني اسمع صوتك.. دعني امتلىء بوجودك.

حسين: حسن حبيبي.. تعال، تعال.. اقترب مني.. الرمال لا تتركني افتح عيني.. اقترب مني احتضنك.. احتويك بقلبي..

حسن: انا هنا.. ياأخي.. انا الاخر، قد ملأ الرمل عيني. تعال.. تعال.. لا تتركني وحدي..

(يسير كل منهما باتجاه الاخر. وقد سد عينه، لا يبصر طريقه الا بصعوبة شديدة، بسبب الرمال والعواصف.. يلتقيان)

حسين: اه.. حسن.. اه.. لك الحمد يارب. تعال الى احضان اخيك الصغير.. دعني اتحسسك.. دعني اشبع منك. (يعانقه بحرارة) اه.. اه..

حسن: اه.. ما ارحمك يارب.. واخيرا.. انه انت.. انت ايها العزيز. اكاد لا اصدق نفسي التي تعانقك.. اكاد اكذب ذراعي اللتي تحوطانك.. تعال.. تعال.. الى اخيك..

(يتعانقان. يتحسس كل منهما جسم صاحبه. بدقة متناهية، متصنعا الاحتفاء به. في الوقت الذي يفتش عن الزمزمية التي يعتقد انه قد اخفاها..)

حسين: اخي.. اخي حسن(يتلمس وجهه) شفتاك يابستان جافتان كقطعتي طين فخرتها الشمس..

حسن: (يتحسس شفتي حسين) وكذا شفتاك ايها الحبيب.. اه.. اه.. لقد تشققتا من الجفاف.. كانهما خفي بعير.. سار الاف الاميال. اه.. مااقسى ماتحملت وعانيت.. ما اشد ماتعذبت. سامحني.. سامحني.. اذ ظننت بك الظنون السود.

حسين: انت يا اخي اشد مني جفافا ويبسا.. وتطلب مني السماح اه.. اغفر لي ايها العزيز.. اذ اسأت اليك بالظن والفعل اه.. يا الهي.. بالظن والفعل. لا بد لي من الاعتراف.. لا بد ان اعترف امامك.. قبلما يطويني الموت.. المحدق بي..

حسن: انا من ينبغي ان يعترف.. انا من ينبغي ان يستغفرك.

حسين: انت.. انت الاخر.

حسن: لقد كذبت عليك ياحسين.. انا.. انا لم ارم الزمزمية في الوادي وانما القيت.. قطعة صخر.. اه.. اه..

حسين: كفعلي معك.. كما فعلت انا معك.

حسن: اه.. اه..

حسين: الزمزمية لم تسرق مني.. لقد دفنتها بين الرمال.. والان لا اهتدي اليها.. لقد حرمتك الماء.. كما حرمت نفسي.. اخ.. اخ..ماذا فعلت بنفسي.. ماذا فعلت بك؟

حسن: حقا.. ما ابشع مافعلت بك.. ما افظع مافعلت بنفسي اذ منعت عنك وعني

الماء.. واخفيت الزمزمية.. في مكان.. لا اعرف.. اين..

حسين: اه ياحسن.. اه.. أي وحشين.. نحن.. أي وحشين...

حسن: كأن امك تعيش في داخلي.. كأن ابي يعيش فيك اه.. ما نحن.. ياحسين.. مانحن..

حسين: حقيران.. حقيران..

حسن: بلغنا الذروة في الحقارة.. والغدر الخيانة.. الذروة..

حسين: بل الحضيض.. صرنا في الحضيض.. في القاع.. في اسفل السافلين..

حسن: اسمع ياحسين يا اخي. لا جدوى من تقطيع النفس والروح وذر الاملاح فوق الجروح.. علينا ان نفكر بطريقة ما للخروج من هذا الجحيم..

حسين: ولماذا نخرج؟ لكي نواصل حياتنا السابقة بنفس القذارة والانانية والجشع.؟

حسن: بل.. بل..

حسين: بل ماذا.. هل في مجمل حياتنا.. وكل ماضيا.. لايشرف احدا منا..؟ اراك لا تجيب.

حسن: انما..

حسين: كل مافيها يجللنا بالعار والندم.. لم نعرف حتى ان نحب كسائر البشر.. ونتروج.. وننجب الاطفال.. خشية ان يقاسمونا ثروتنا.. لقد اغلقنا القلب دون رعشة حب.. دون ومضة ايمان.. باي شيء..كان حبنا الاوحد الذهب.. والهنا الوحيد الذهب ايضا.. مثلما سيكون قاتلنا.. ودافننا في هذا العراء

حسن: لن تبقىالحال كما كانت.. اذا..

حسين: الاولى بنا نحترق في اتون هذا الجحيم.. لعلنا.. نتطهر بعض التطهير..

او.. او.. لندفن انفسنا احياء مكفنين بلعنات البشرية كلها..

حسن: لا.. ياحسين. لا. فنحن اذ نعود.. لا نعود كما كنا

حسين: املائكة.. اطهارا.. سنكون؟

حسن: ليس بالضبط.. ولكن لابد ان نتغير.. ان هذه التجربة المريرة التي عجنتنا.. ينبغي ان نتعلم منها.. الشيء الكثير..

حسين: او.. نستطيع.. هل نقدر..

حسن: لم لا.. لا احسب الامر مستحيلا..

حسين: قد لا يكون مستحيلا.. ولكنه شاق.. شاق جدا.. فليس هينا على الانسان ان يكون نظيفا.. وكل ماحوله يفيض بالقذارة.. ان يكون عادلا.. وكل ماحوله ظلم.. ان يكون جميلا.. وكل ما حوله قبيح.. واول ماحوله ومن حوله ابواه. اقرب الموجودات اليه.. الصق الاشياء به..

حسن: لنتعاهد اولا.. وقبل كل شيء.. على الصدق.. والوفاء.. لبعضنا البعض.. ثم.. تاتي المسائل الاخرى تباعا.

حسين: انه حلم بعيد المنال..

حسن: بل في متناول اليد.. اذا فتحنا قلبينا للحب.. للناس. ولنبدا من الان.. ثم نبحث عن الزمزميتين.. لعلنا نعثر على احداهما على الاقل.. ويكون بوسعنا تدبير حالنا.. اما ونحن في هذه الحالة بين الموت والحياة.. لا من الاموات ولا من الاحياء.. فلن يكون بوسعنا.. فعل شيء.. أي شيء..

حسين: لا من الاحياء ولا من الاموات. فعلا.. صدقت.. تلك هي حالنا.. اه.. انه العقاب. العقاب العادل.. من السماء العادلة.

حسن: السماء عادلة حقا. ولكنها في الوقت نفسه رحيمة ايضا.. سترحمنا وتغفر لنا.. اذا اقسمنا بصدق ان ننحر الوحش المزروع في داخلنا..

حسين: ياليت.. ياليت!

حسن: ان في السماء ربا.. كريما.. غفورا رحيما.. هيـــا.. هيـا.. لقــد خفــت العاصفة..

حسين: خـــ.. خـــ.. خفت.. خفت العاصفة.. حقا..؟

حسن: قد يكون رسالة.. السماء الرحيمة.. الينا..

حسين: اه.. اه.. (ثم) اقسم بكل ماهو مقدس ونبيل وشريف (يرفـــع يديـــه نحـــو السماء) نذر علي.. ان اتقاسم مياه زمزميتي اذ اعثر عليها.. حتى القطـــرة الاخيرة.. مع صديقي واخي حسن. والله.. على ما اقول شهيد.

حسن: (يرفع يديه نحو السماء) ونذر علي.. يارب ان لا اشرب قطرة واحدة مـــن مياه زمزميتي.. اذا اعثر عليها.. الا مع صديقي واخي حســـين.. وحتـــى اخر قطرة.. والله على ما اقول شهيد..

كلاهما: (يضعان يديهما بين يدي الاخر. معا) والله على ما اقول شهيد. والله على ما اقول شهيد. والله على ما اقول شهيد. (يتوجه كل منهما الى جانب مـــن جانبي الصبير. بصورة تلقائية بلا قصد ولا اختيار متعتمد. ويبـــدأ البحـــث والحفر. بالرغم من التعب والعطش اللذين تشتد وطأتهما بمرور الوقت)

حسين: (يتوقف) اتراه الان مثلي يكد ويتعب.. يحفر ويبحث.. ام تراه قد استســـلم للراحة والكسل.. كعهدي به. بانتظار ان اســـتخرج المـــاء مـــن اعمـــاق الارض.. واروح اسقيه هنيئا. مريئا (يتلصص عليه هنيهة. ثـــم يكـــف، ويعود الى الحفر) المهم ان أفي انا.. بوعدي.. لقد.. نذرت.

حسن: (يزحف الى طرف الصبير، متلصصا يتوقف) لا. لا ينبغي ان اســـيء بـــه الظن.. يتوجب علي ان اخلص النية واصفي الطوية.. لقد وعدت واشـــهدت الله على وعدي (يعود الى العمل)

حسين: (وقد هده التعب) بالرغم من كل شيء يتوجب علي ان اظل حذرا يقظـــا.. ارقبه على الدوام.. ولا اغفل عنه لحظة واحدة

حسن: (يحاور نفسه) من يقول انه مخلص النية، وصافي الطوية ازاءي مثلما انا ازاءه؟ لا بد ان احتفظ ببعض قواي تسعفني في استرداد حقـــي منـــه. ان راودته اية فكرة من افكاره الانانية الجشـــعة التـــي تتناســل فـــي رأســـه المريضة..

حسين: (يرد على افكاره هو) يهرب؟ يهرب مني؟ مستحيل. والله لانقـض عليــه كالصقر الجارح.. افتته.. امزقه..

حسن: اقتنصه.. واسحقه. مثلما يسحق الطفل الشرير ذبابة لا تحبه. اصنع مـــن الامي اجنحة. ومن اوجاعي انيابا ومخالب. وافترسه.. قبلما يبلـــل شــفته بقطرة ماء.

حسين: (يواصل الحفر، يصرخ فجأة) هي.. هي.. لقد وجدتها. وجدت حياتي التي كادت تضيع.. (ينتزع من بين الرمال زمزمية خضراء.. مـــا هـــذا.. انـــها خضراء.. وزمزميتي صفراء.. اها.. انها زمزميته. ما الفرق؟ (يخضـــها) انها ممتلئة (يشرب)

حسن: كأن انامل لامست رطوبة ما (يحفر باندفاع) اه.. اه. زمزميتي (ينتزع من بين الرمال زمزمية صفراء).. بل.. بل هي زمزميته.. زمزميته الصفراء.. وماذا يعني؟. قد رزقني الله بها.. اختارها لي. واختارني لها.. لك الشكر يا رب (يشرب)

حسين:(يتامل الزمزمية بعدما ارتوى) لا.. لا.. ما تبقى فيها من المـــاء لا يكفـــي كلينا. (يتوقف) وهو؟ والعهد الذي قطعته على نفسي واشهدت الله عليـــه. (يفكر.. حائرا) لقد.. لقد.. اقسمت ان اقاسمه ماء زمزميتي.. وهذه ليســت

زمزميتي انا اذن في حل من قسمي

حسن: لو كان هو الذي عثر عليها.. اكان يعطيني قطرة منـــــها.؟ لا. لا.. ولـــو فطست امامه كالكلب الضاميء في يوم قائظ. لا سيما.. انـــها زمزميتـــه.. وليست زمزميتي.

حسين: لو رآها لاستولي عليها.. لاغتصبها مني ولما سقاني قطرة واحدة.. هـــذا الوحش الذي يضمر كل ذلك العداء لابيه وينوي الغدر به والقضاء عليـــه.. هل يعطف علي؟ لا. والف الف لا. والله لن يتورع عن قتلي والاســـــتحواذ على الماء كله.

حسن: كيف يمكن ان اثق بشخص قد صمم على قتل امه ابشع قتلة؟ هل اتوقـــــع منه رافة بي وانا الغريب عنه. لا. لا. الافضل ان اتركه هنـــــا .. وحـــده.. يقضي عليه الظمأ. وتبتلعه الصحراء.

حسين: ماذا انتظر بعد؟ النقود الحقيقية في جيبي والله الغفور الرحيم. قد حبـــاني بماء يكفيني اسبوعا.. اذا تدبرت امري.. ولم اسرف فـــي كرمسي (يتـــهيأ للمغادرة)

حسن: (ينتعل حذاءه) هيا.. هيا.. قبلما ينقض علي الذئب الخبيث من الخلف. كـــل اسباب الحياة غدت عندي. الماء النقي.. النقود الصحيحة.. لا قـــوة فـــي الكون تسلب مني حياتي ما دام الله جل جلاله.. قد هيأ لي اسباب نجاتي.

حسين: علي ان اسرع الى احضان امي الحنون ابارك لها زواجها من ذلك الرجـــل الطيب الذي ستؤول إليه بالضرورة ثروة ابنه بعدما يقتله العطش وتتولـــى امره الصحراء. وتخفي عظامه واثاره. واغدو انا ابنهما الوحيـــد.. وهمـــا عجوزان طاعنان في السن وعلى اعتاب الموت. ولا وارث لهما ســـــواي. (يزحف عنه مبتعدا عن الصبير محاذرا ان ينتبه اليه صاحبه)

حسن: اول ما افعله سأهنيء ابي من زواجه من تلك السيدة الفاضلة ذات الثروة الطائلة واعود خاتما في اصبعهما لا سيما وانهما لم يعد لهما من ولد غيري.. وما اسرع ما ارث شرعا وقانونا كل الثروة الهائلة التي تضخمت الى ابعد حد.. جراء دمج الثروتين (يزحف مبتعدا. عكس اتجاه صاحبه)

[لفترة يواصل كل واحد منهما زحفه الثعباني بعكس وجهة صديقه واذ.. يطمئن بانه قد نجا من صاحبه. ينهض محتضنا الزمزمية يركض باقصى ما يستطيع. يبدوان كنقطتين سوداوين.. وسط الصحراء التي افترشتها اشعة الشمس الفضية يخرج كل منهما من احد جانبي المسرح...]

[خلال ذلك وبتزامن مدروس، يظهر الكورس واضعين هذه المرة على وجوههم اقنعة تمثل فئات متباينة من الناس]

الكورس بصوت جماعي:

هكذا تفبرك الاحلام.

هكذا.. هكذا.. والا فلا.. لا..

تغزل وتحاك الاحلام.

حذق ومهارة وإحكام.

تقود الانام.

ممرغة انوفهم بالرغام

الى ما يراد

الى حيث يرام

صوت منفرد خارج الكورس:

أي حذق؟

أي مهارة؟

أي إحكام؟

انه حلم مصنوع مكشوف مفضوح.

مثل كتاب مفتوح.

يقرأه الجاهل الجهول.

قبل العالم العليم.

[ثم بنبرة مختلفة]

لولا ان للذهب بريقا

يأسر القلوب

يعمي العيون

يعطل العقول.

الكورس بصوت جماعي:

عيون من؟

عقول من؟

هلا تساءلتم ايها العقلاء..

ايها المبصرون..

عيون من؟

عقول من؟

الشبيه(*)

(*) نشرت في جريدة "العراق"- ١٩-١١-١٩٨٧- بغداد بعنوان "الحارس"

الشخصيات:

- مسعود: حفار قبور، تجاوز السبعين.
- خليل: حارس المقبرة يكبره ببضع سنوات
- محمود: شاب في العشرين. ساعد مسعود

اشـــــارات

- قدمتها فرقة نقابة الفنانين_ ميسان شباط_ ١٩٨٨
- شاركت في مهرجان المسرح العربي - بغداد
- اخرجها الفنان مكي حداد

[مقبرة، تنتشر في ارجائها قبور عديدة، باحجام مختلفة واشكال متباينـــة. تكشف الاحوال المادية لاهل الراقدين فيها، من غنى ونعيم او فقر وجوع..

سقيفة من اعواد القصب واغصان الاشجار واوراقها، تحتها حب ماء فـوق محمل، وشدة فراش، وحاجات اخرى، مبثوثة هنا وهناك.

الوقت قبيل الظهيرة، شمس قوية تملأ المكان. قبور محفورة ومردومـــة، حفرة جديدة يجري فيها العمل على قدم وساق. بداخلها حفار القبور مسعود وهـو يحفر ويلقي بالاتربة خارجها، ما يلبث ان يخرج منها.وهو رجـــل قـد تجـاوز السبعين يدفع بادوات عمله اولاً، تتوجه نحو السقيفة، مقـوس الظـهر، يشـرب الماء. يغسل وجهه يجلس يشعل سيجارة. يسعل بقوة، يدخن بشراهة، ثم وبعـــد بضعة انفاس، يهب واقفاً. يشرع بردم الحفرة التي انتهى، لتـوه، مـن حفرهـا، والسيجارة بين شفتيه بهمة ونشاط وسرعة..

بين اونه واخرى تهب رياح وعواصف، فتثير سحابة كثيفة من الاتربـــة.. يدير لها ظهره ويستمر في مواصلة عمله.. بالرغم من العرق المتصبب من كـــل انحاء جسمه وسعاله الذي لا يكاد يتوقف..

يقبل حارس المقبرة، وهو رجل في مثل عمره، او يكبره ببضـــع سـنوات ويبدو اكثر منه تهدماً وانهاكا.. يسير على عكازه، يلهث في غاية التعب..]

الحارس: ها مسعود.. كيف حالك اليوم؟

مسعود: (دون ان يتوقف او يلتفت نحوه) نحمده..

الحرس: سبحان الذي لا يحمد على مكروه سواه.. (ثم) ما زلت تحفر وتردم..

مسعود: (بجفاء) ما الغريب..؟ (يسعل)

الحارس: لا. لا غرابة. لا غرابة البتة.. (يتوجه نحو الماء)

مسعود: لا اظنني.. مسيئا الى احد..

الحارس: اوه.. لا.. لا. بالتاكيد لا.

مسعود: ثم.. ثم.. انا حر، افعل ما اشاء.. ما دمت ادفع لك.

الحارس: (يتوقف) لي؟ لي انا؟ هل انا مالك المقبرة؟

مسعود: الست من يأخذ مني الايجار والضرائب والزيادات و.. و..

الحارس: الحكومة هي المالكة وهي التي تامرني ان..

مسعود: انا لا اعرف لها مالكا.. سواك. تأتيني كل بداية شهر كالغريم.

الحارس: ليتني املك بضعة اشبار منها، تأوي جسدي.. اذ يسترد الله امانته..ولا اظل ملقى في العراء تفترسني الكلاب السائبة.

مسعود: (يرنو اليه) انا.. امنحك اياها..

الحارس: (مبتسما) لوجه الله..؟

مسعود: لوجهك! كي لا اعود اراه بداية كل شهر.. (يردم الحفرة بعصبية)

الحارس: انت سيء المزاج.. هذا اليوم.. ولا ادري لماذا (ثم) ما الذي جرى يا رجل؟

مسعود: تعال عارك الارض بمعول مثلوم.من قبل طلوع الشمس، حتى بعد غروبها مثلي، ثم حاول ان تحتفظ بمزاج افضل.

الحارس: انما.. انا اشفق عليك لهذا الجهد الذي تبذله.. دون طائل (يشير الى الحفر المبثوثة هنا وهناك)

مسعود: (يلقي بالاتربة بانفعال، يسعل) لماذا بلا طائل.. الله يرزق العباد..

الحارس: امنت بالله.. (يشرب..)

مسعود: يحبسه اياما.. ولكنه يطلقه اياماً اخر. (مخاطبا نفسه) بالتـــأكيد يطلقـــه (ثم) لا بد ان يطلقه.. فهو ارحم من ان يحبسه.. اكثر مما فعل..

الحارس: (يتودد اليه) لا اعرف كيف تحتفظ بمائك بارداً في هذا القيظ..؟

مسعود: (مهملاً ملاحظته. مسترسلاً)واذا كان الرزق لم يعد يزورني هذه الايـــام. يتوجب علي ان اكون مستعدا لاستقباله. حين يأتي (يحدّق فيه).

الحارس: وهكذا تستقبله بالقبو.. بالحفر التي ننثرها هنا وهناك..

مسعود: انثرها؟ اتحسبها زهوراً ازين بها مقبرتك.

الحارس: (بحدة) انها ليست مقبرتي..

مسعود: ولكن قل يا خليل.. هل تخشى القبور..؟ (يسعل)

الحارس: أ..أ. أ.. انا.

مسعود: ولهذا السبب تتجنب ذكرها.. ها؟.

الحارس: الاعمار بيد الله..

مسعود: والا رزاق من عند الله (يحدق فيه طويلا)

الحارس: لماذا تحدق بي على هذا النحو الغريب؟ اتنوي ان تقدمني طعاما لاحـدى حفرك الفاتحة اشداقها..؟

مسعود: انا لا اتركها مفتوحة. اخشى ان يسقط فيـــها حيـوان ضـــال (يســعل) فيحملني الله الذنب (يواصل الردم. تأخذه نوبة سعال)

الحارس: لو.. لو تعالج سعالك. (لا يجيب) انه.. انه.. بات يصدع كيانك..

مسعود: انا.. ادرى منك بحالي.. احتفظ بنصائحك لنفسك (يسعل، الحارس يهم ان يجلس) ماذا جئت تريد؟

الحارس: عطشت.. مائي يفور.. جئت اشرب من مائك البارد.. و.

مسعود: و..؟ وماذا ايضا؟

الحارس: ها؟ لا. لاشيء (ثم) الوحدة.. يا مسسعود. الوحدة قاسية. لا تطاق. بت لا اطيقها. تملأني بافكار سوداوية خانقة.. ترعبني. (مسعود لا يجيب. يواصل عمله. يسعل) و.. و.. انت.. الا.. الا تشعر بالوحدة.

مسعود: عمّ تتحدث؟ اني اعمل. (يهيل الاتربة بعصبية) و.. وحبّذا لو تتركني.

الحارس: (بانكسار) هـ... هل.. اجد عندك سيجارة.. قضيت على اخر واحدة.

مسعود: (بفظاظة) العلبة عندك.. خذ منها ما تشاء.

الحارس: سيجارة، سيجارة واحدة حسب. (يتناول واحدة، يشعلها) هل اشعل لك واحدة؟

مسعود: لا. (يسعل)

الحارس: لو.. لو.. ترسل لي الولد محمود.. حين يأتي.

مسعود: لن يأتي (يسعل) ثم.. انه ليس ولدا. محمود رجل.. (تاخذه نوبة سعال)

الحارس: ما.. ما.. كنت.. اقصد.. ان..

مسعود: انه.. انه.. في العشرين من عمره.. ولولا ما اصابه لكان الان مهندسا له شأن..

الحارس: صحيح.. صحيح. اعانه الله.. واعان والديه.. لقد هجمت عليهم الكوارث دفعة واحدة. بلا رحمة.. ولا سيما.. هو.. المسكين (يشير الى رأسه)

مسعود: (بحدة) محمود.. ليس مجنونا.. (الحارس يسكت) ماذا تريد منه؟

الحارس: (مترددا) لا.. شيء.. لا.. شيء..

مسعود: (بحدة) لماذا ارسله اليك.. اذن؟

الحارس: كنت.. كنت.. اود.. ان ان.. ان يشتري لي علبة سيجائر.. ولكـــن.. لا بأس، لا.. باس. ساتدبر حالي..

مسعود: محمود ليس خادما.. خذ العلبة (يساوي سطح الحفرة، بعد ان انتهي مـن ردمها)

الحارس: (يرمي العلبة) حتى كرمك بغيض.. مثلك.. (يذهب).

مسعود: (يتامله من الخلف. يشير الى طوله دونما يدعه يشعر. يعـود مسـرعا، يضع علامات على موضع جديد.. يباشر الحفر) الحظ لا يطـرق البـاب دائما. ولكن حين يخطأ ويطرق. يجب ان يكون ثمة من يفتح له بسـرعة ويرحب به، قبلما ينتبه ويصحح خطأه.. ويعود ادراجه. (يواصل الحفـر، يظلم المسرح، لفترة مناسبة، واذ يضاء ثانية يكون قد انجـز الحفـر.. يخرج من الحفرة، يتاملها هنيهة.. يجري عليها اللمسات الاخيرة.. يبـدو عليه الرضا.. يأوى الى السقيفة. يتناول طعامه.. يستلقي.. يدخـن.. لا يكف عنه السعال. ينهض. يتطلع هنا وهناك.) لا اثر له. متى يأتي هـذا الوغد؟ ما الذي جرى له.؟ لم يتاخر قط (يتكيء علـى شـاهد.. قـبر.. هنيهة، لا يلبث ان ينهض ثانية، لا يقر له قرار.) اها.. واخيراً؟ اخـيراً ظهر قمر النهار. تعسا لشباب هذه الايام. تفو. يشـترون سـاعة نـوم اضافية بعمل يوم كامل.. (يجلس، يقلد صوت امرأة) محمود لا ينام. لـم يعد ينام. لا ادري ماذا دهاه. طوال الليل يتقلب على فراشـه. الان فقـط اخذته غفوة. لا.. عيني.. لا.. يا مسعود.. لا استطيع ايقاظه.. دع الولـد يشبع من النوم (بصوته الاعتيادي) والان.. لماذا ايقظتـه..؟ لمـاذا لـم تدعي ابنك المدلل يولج النهار كله في الليل.. ويشـبع مـن النـوم حـد التخمة. (يدخن، يسعل) ثلاثة قبور.. حفرتها وحدي. لقد يقصم ظـهري.

كلت يداي. تداعى كل جسمي لا. لن. اعطيه فلساً واحداً.. ليأخذ اجره من امه التي تفسده.. دون تدري.. تدلــله وتعلمه الكسل.. بدلاً من.. (يدخــل شاب هزيل.. عليه سيماء من يعاني من مرض غير واضح الاعـــراض) اشرقت؟ اشرقت يا امير اخيرا؟ الا ترى الشمس لم تغب بعـــد (يســعل) كان عليك ان تظل نائما وتتركني ادفن الموتى وحدي. مثلما حفرت كـــل القبور وحدي.. ثم اتيك باجرك واضعه لك تحــت وســادتك (الشــاب لا يجيب. يظل واقفا منكس الراس، يصرخ فيه) هل نام احد حتى الان؟

محمود: (باحساس بالخذلان) لم اكن نائما.. عمي مسعود.

مسعود: امك كذبت عليّ.

محمود: امي.. لاتكذب.

مسعود: (يقلد نبرة صوته) امي لا تكذب. في هذه الحالة انا من يكذب.

محمود: حاشاك. عمي مسعود. كنت في الفراش ولكني لم اكن نائما.

مسعود: وماذا تفعل في الفراش وانا هنا تحرقنـــي الشــمس ويخنقنـــي الــتراب (يسعل)

محمود: لقد.. كنت..

مسعود: لا شأن لي بما كنت واين كنت.. عد حيث كنت.. (يسعل بحدة)

محمود: (بقلق) عمي مسعود.. هل انت بخير.

مسعود: ولماذا لا اكون؟ انا دائما بخير. بوجودك او بدونك.

محمود: عمي مسعود.. انا..

مسعود: انت يا لا أجر لك عندي اليوم.

محمود: ما من اجل ذلك جئت.

مسعود: ومن اجل ماذا جئت بعد منتصف النهار.. تساعدني في دفن الموتى؟

محمود: (يتطلع حواليه) د.. د.. دفن الموتى. آ آ آ.. ين هم؟ (ثم) كمـــا تشـــاء.. كـــ.. كـــ.. كما.. تشاء..

مسعود: لا. عند الدفن لا احتاج مساعدتك. دائما ثمة اناس مع الميـــت، يقدمـــون خدماتهم.. وبلا مقابل.

محمود: اسف.. انا.. انا.. اسف جدا.

مسعود: وبمَ ينفعني اسفك لقد هدني التعب، وهذه القبور اللعينة امتصت كل قواي

محمود: كان الله في عونك..

مسعود: (يسعل) انه لا ينتظر الاذن منك.. (يغلبه السعال)

محمود: (يتالم لحاله) اه.. اه.. (يتوجع)

مسعود: اسمع يا محمود.. بلا تأوهات.. ولا نحيب. ابوك رجل طيـــب وصديـــق العمر. وهو الذي رجاني ان ادعك تعمل عندي (يسعل) ولكني لا اســـتطيع ان اعطيك شيئا.. أي شيء لقاء لا شيء.

محمود: صحيح.. عمي.. ماتقوله.. صحيح..

مسعود: ثم.. ثم.. هو نفسه لا يرضى. ان ادفع لك لقاء نومك حتى الظهيرة. فانـــا انا.. بعد كل شيء.. لست جالسا على كنز. وان مايدره على كدي وعملي الشاق يكفيني ولا يكاد.. يكفيني..

محمود: انت محق.. عمي.. لك الحق.. كل الحق..

مسعود: وما ادفعه لك.. انا بامس الحاجة اليه..

محمود: اعرف. و.. و.. منذ اليوم.. لا.. لا تدفع لي شيئا..

مسعود: (بدهشة) تعمل بلا اجر؟ مجانا؟ (يسعل) لا يامحمود لا. انا رجل شـــريف لا اقبل صدقة ولا منة من احد.. و.. ولا استغل احدا.. ابدا..

محمود: انا.. انا.. لا.. لا اعمل.. لا اريد ان.. اعمل..

مسعود: و.. بماذا تعيش؟ بالتراب؟ بالهواء؟ ثم.. ثم.. هل فكرت بامك العمياء.. وابيك المقعد..؟

محمود: ساعمل.. اقصد.. اقصد.. سابحث لي عن.. عن.. عمل..

مسعود: مهلا.. مهلا.. مامعنى انك.. لا تريد ان تعمل.. و.. و.. اهـا.. (يسعل) تعني تعني.. انك.. لن تعمل عندي.. لا.. لا تريد ان تعمل معي..

محمود: ا.. ا.. اجل.. عمي.. اجل.(مسعود.. يتوجع. يفرك صدره) عمي.. مابك؟

مسعود: هـ.. هـ.. هذا.. مالم اتوقعه ابدا.. لـ.. لـ.. (يسعل) لم يدر بخلدي قط.. تعال محمود.. تعال.. اجلس.. بقربي. هـ.. هل.. اسات اليك.

محمود: اطلاقا عمي.. انت في منتهى الطيبة.

مسعود: اذن.. ماذا هناك؟ شاق؟ العمل في المقبرة.. شاق عليك؟

محمود: مـ.. مو.. مؤلم ياعمي.. انه.. انه.. يؤلمني كثيرا.. يسبب الاما فظيعة.

مسعود: ا ها..؟ اتريد راحة بدون الم.. ثم اية الام تلك التي تتحدث عنها، ان العبء الاكبر يقع على عاتقي انا.

محمود: ليس ذلك.. ما اقصد.. انما..

مسعود: قلة الاجر؟ ها؟ ما حيلتي؟ انا لا اكسب الالاف. والناس الذين يتعاملون معي من الفقراء. الاثرياء ياخذون موتاهم الى مقبرة ذلك الكلب.. هادي.. ثم..الموتى.. الموتى انفسهم.. هذه الايام قليـ.. قليـ.. اه. اعوذ بالله.. الى م تقودني ياولد؟

محمود: عمي.. مسعود.. انا..

مسعود: انت غبي.. لا تعرف مصلحتك.. خدعك ذلك الكلب العجوز.(يسعل)

محمود: من؟.. من تقصد..

مسعود: لوح لك باجر اكبر.. اليس كذلك؟

محمود: ولكن من؟ من هو..

مسعود: هادي.. ومن سواه؟ ولكن ليكن في علمك ان ارض مقبرتـــه صخريـــة. تصارع المعول، يتكسر فوقها الحديد ولا تتخدش. انها اســوأ ارض فــي الدنيا.. ولكنه محظوظ. الكلب محظوظ. يتقاضى اعلى الاجور. و..

محمود: لا علاقة له.. بما قررت.. انا..

مسعود: بل هو. ذلك الكلب الفاطس. لابد ان ادفنه بيدي، ذلك قبره لن اردمه ولــن اردمه الا بجثته الملعونة.. وعن قريب.. قريب جدا بــاذن الله.. انظــر.. انظر. (يذهب الى احد القبور، ينزع عنه غطاءه، تغلبه نوبة الســـعال..) هــ هنا.. ادفنه.. ان شاء الله (يسعل بحدة)

محمود: (بقلق متزايد) عمي.. حالك.. تســوء.. تسـوء كثــيرا.. لنذهــب الــى المستشفى.. تعال اخذك الى المستشفى..

مسعود: (مستمرا) ما يفتأ يتزايد عليّ كل موسم، هو وذلك الكلب الاخـــر خليــل الحارس، الذي يسانده. حتى جعلاني ادفع اضعاف ما كنت ادفع..

محمود: ياعمي صدقني ان هادي..

مسعود: (يقاطعه) هادي او غيره، كلهم كلاب جشــعون. يقتلــون امهاتــهم فــي سبيل.. مضغة من لحومهن(يسعل) ولكن لن تجد عند أي منـــهم ارضــا رخوة هشة مثل ارض مقبرتي. تتفتت من مجرد اللمـــس. هــل تــرى.. بوسعك حفرها بالاظافر حسب. بلا مشقة ولا الم.. انظر.. انظر (يحفــر الارض بكلتا يديه) اين نجد مثل هذه النعمة.. ها.. اين..؟ اين؟

محمود: كف عمي.. ارجوك كف.. انت تدمي اصابعك.. تكســر اظــافرك(يمســك يديه) انا لا اعمل عند أي منهم. لا عند هادي ولا غيره، انـــا.. لا انــوي العمل في حفر القبور.. اساسا.. يا عمي.

مسعود: ها؟.. (يتوقف، بتظر اليه بدهشة) مـــ.. مـــ.. ماذا تقصد..

محمود: ساقلع عن العمل.. في المقابر..

مسعود: (بسخرية) لعلك تنوي العمل في التجارة(ضحكـــه مـــرة) واذ يوفقـــك الله وتغدو تاجرا كبيرا. لا تنس عملك مسعود المنبوذ بين القبور..!

محمود: لا انسى عمي ولا فضله ما حييت..!

مسعود: عجيب امرك(يسعل) اذن لماذا تتركني وانت في مسيس الحاجـــة الـــي؟(محمود يتعذب) ما بك يامحمود. افصح عما في نفسك. يـــاولدي.. تكلـــم بصراحة..

محمود: اه.. ليتني استطيع..(يعاني) ليتني استطيع..

مسعود:هل يريبك مني شيء؟ اثمة غش في عملي؟ اخون الموتى. مثلا..؟

محمود: استغفر الله. انت مثال الاستقامة والنزاهة..

مسعود: اذن. اذن ماذا هناك. تكلم ياولدي تكلم. لا تدعني افقـــد عقلـــي(محمـــود يتعذب) اسمع ياولدي.. انا في مقام ابيك. وقد عهد بك الـــــي.. وامننـــي عليك. حتى.. حتى فكرت وخططت لرفع الحمل عن كـــاهلي و.. والقائـــه على عاتقك انت. فانت موضع ثقتي.. واعتمادي. فكن واضحا معي. قـــل كل مايمن لك.. لا تخف شيئا.. هيا.. هيا

محمود: اسف عمي.. انا اسف. منذ اليوم.. لا تعتمد علي

مسعود: اعتمد عليك؟(يسعل) ما الذي تقول ياولد؟ انا اعتمادي اولا واخراً علـــى الله وعلى جهدي.. الذي مازلت ابذله كالف حصان. وما دمت قادرا علـــى حمل المعول فلن اعتمد على مخلوق، كائنا من كان..

محمود: اعرف.. اعرف.. كم انت ابيّ وشهم.. وانا.. انا .. كل امنيتي ان اظـــل معك ولكن

مسعود: ولكن ماذا يامحمود. ماذا(يسعل بحدة) قل.. تكلم.. ولا تدعني اختنق..

محمود: انا.. انا افديك بروحي.. ياعمي.. انا..

مسعود: لا حول ولا قوة الا بالله.. لا تفدني ولا تخدمني.. ولكن قل لي.. قل لـــي حسب.

محمود:الـــ.. العمل.. عملنا.. يمزقني.. يملأني بالتعاسة، لا يدعني انـــام.. يقتـــل النوم في عيوني.. يزرع ليلي بالسكاكين.. ونهاري بالاشواك. لـــم اعـــد اعرف لي راحة، ولا هدنة من عذاباتي(مسعود يحدق فيـــه.. يرتبـــك.. يتلعثم) هـــ.. هـــ.. هل انت غاضب مني..؟

مسعود: ها؟ لا. لا(يسعل) ولكني مندهش. مندهش حتى النخاع. لو كان هذا حالك في الايام الأُول.. لما اندهشت.. ولكن بعـــد كـــذا ســـنة.. مـــن العمـــل والمشاركة في كل شيء. تاتي لتقول لي كذا وكذا.. انا.. انـــا مندهـــش مندهش حقا.. بل.. بل.. تكاد الدهشة تفجرني..(يسعل)

محمود: عمي.. انا..

مسعود: كنت احسبك منسجما.. مع عملك.. ومشدودا اليه بقـــوة.. و.. وحتـــى.. سعيدا به..و..بي ايضا.. مثلما انا سعيد.. بك.. و..(يسعل)

محمود: كنت منسجما.. وسعيدا ايضا.. بالعمل.. وبك، بشكل خاص. فقد انقذتنـــي من البطالة والجوع، واعدت الي ثقتي بنفسي. بعد ان زعزعتها عواصف الشك في قواي العقلية، اثر فصلي من الدراسة والفترة العصيبة، التعســـة التي قضيتها في المصح والتي لا اعرف كم طالت ولا..

مسعود: انسها.. يا ولدي (يشعل سيجارة) انس تلك الايام الظالمة، من الخير لـــك ان تنساها.. ان.. ان(يسعل) تقلعها من ذاكرتك..

محمود: نسيتها عمي. بفضلك نسيتها. وبفضلك لم اعد اخافها. ولا تسبب لـي أي شيء اذ اتذكرها.. لقد حلت محلها ايام اخر.. ايام جميلة قويـة.. انت صنعتها لي.. كان ابواي، خلالها. يستقبلانني. كل مساء كبطل.. كمنقذ.. لنفسي ولهما.. ايضا.. وكان ذلك ينبت لي الف جناح احلـق بـها في فضاءات من السعادة والشجاعة، لا يحدها حـد يملأنـي بقـوة روحية وجسدية.. تطير بي الى المقبرة قبل طلوع الفجر وقبل وصولك ايضا. لاخوض نهارا كاملا من العمل الشاق دون أي احسـاس بـالتعب.. بل ممتلئا برغبة عارمة في الاستمرار والتواصل.. وحتى قضاء الليل كله في الحفر.. و..

مسعود: (بصوت عميق) ما الذي غيرك. وبت لا تطيقه؟

محمود: لا ادري.. لاادري بالضبط.. او.. او.. لا استطيع ان اوضح ذلك.. ولا استطيع ان.. ان.. (يرتبك، وتتلبسه حالة انفعال غريبة)

مسعود: (يربت على ظهره يهدئه) طيب.. طيب.. هاك هاك.. بلل حلقك.. (يسقيه ماء) اهدأ.. اهدأ.. لا ترهق نفسك

محمود: (يشرب الماء.. يهدأ الى حد ما) انا.. انا..

مسعود: حسنا.. حسنا.. و.. و.. متى حدث ذلك؟ اقصد.. اقصـد.. متى بدات تشعر.. با.. بالضجر اقصد.. بالتعاسة.. او.. او النفور.. اجـل النفـور مني.. و..

محمود: (بسرعة) منك لا..(يكاد يبكي) لا. ابدا.. عمي مسعود..

مسعود:حسنا.. حسنا (يربت على ظهره) مـ.. من المقبرة.. من القبور.. مـن حفر القبور. (محمود يتعذب) حين نزلت الى القبر واحتضنـت الجثـة.. قبل.. قبل شهر.. على ما اظن(لايجيب) اليس كذلك (لا يجيب، ينتحب

بصمت) كان ينبغي ان اعرف انه ليس هينا علـــى شـــاب متعلـــم رقيـــق مثلك..ان.. ان يلمس جثة ميت (يسعل)

محمود: رهيبا كان الامر.. رهيبا، اخ.. اخ.. عشت، في لحظة واحدة، كل ليـــالي المصح الرهيبة الطوال.. اه..

مسعود: هون عليك.. يا محمود.. هون عليك (يسعل) لن يتكرر ذلك.. لن يتكـــرر البتة.

محمود: كانت دقائق، وربما ثواني حسب.. ولكن فظيعة.. فاقت كل فظاعة. كـــانت الشمس قد غربت وظلام الليل زحف وشرع ينكشف.. وانا وحدي. فـــي حفرة ظلماء. لا ابصر اصابع يدي، وفي عمـــق مـــن الارض لا اعـــرف مداه.. و.. وجثة.. لااعرف جثة رجل هي.. ام امرأة.. شيخ طاعن فـــي السن. ام طفل رضيع مضمخ برائحة حليب امه الثاكل لقد تشوش عقلـــي. اختلطت الرؤى. كل مابت اعرفه، احسه واشعره وامتليء به حتـــى كـــل شعرة في جسمي. هو تلك البرودة التي تخترق الكفن، وتخشـــب يـــدي، وهي تسري في كل كياني. تكاد تحيلني الى عمود جلمود. بـــالرغم مـــن الحرارة التي يفور بها القبر.. تجعل العرق يتدفق من كل مسامات جلـــدي وفتحات جسمي. باردا.. كالثلج.. وتحرقني.. تحرقني.. كالنار.. وانا..

مسعود: (يضيف) كفى.. كفى.. يامحمود.. لن يتكرر.. كل ذلك لن يتكرر.. اعـــدك. اعدك الا اجعله يتكرر..(يسعل) ما فات قد فات.. (مؤنبا نفسه) ما كـــان ينبغي ان.. ان.. ادعك تنزل الى القبر (ثم منتفضا على نفسه) وماذا كـــان بوسعي ان.. ان..

محمود: (يتوجع، ويتعذب) اه.. اه.

مسعود: (منتفضا) ماذا كان بوسعي ان افعل.. غير مافعلت. مرغمـــا، مكرهـــا . اوجاع ظهري كانت قد اشتدت.. وغدت منشارا ينشرعظامي، ولم يبـــادر احد من اهل الميت الى تقديم اية مساعدة، لجأ كل واحد منهم الى دموعه الكاذبة.. منزويا متهربا من كل مسؤولية ازاء ميتهم. (يسعل)

محمود: لا.. لا.. اعرف.. كيف لم امت.. وادفن حيث كنت..

مسعود: بل قفزت كالغزال، مع اول حفنة تراب.. وانت في احسن حال.

محمود: كـــ.. كنت.. اكابر.. واتظاهر.. خو.. فا.. منك..

مسعود: مني؟ (يضحك) هل سمعت مني كلمة خشنة ذات يوم؟ (يسعل) عليـــك ان تتعلم يامحمود. اذا كنت تريد انْ تحل محلي ذات .. لا بد ان تتعلم . ولـــن تتعلم ابدا . اذا لم تقو. وتتصالب.. وتتماسك..

محمود: كان.. شيئا.. فوق طاقة الانسان.. وانا ..انسان.. انسان ياعمي.

مسعود: انا الاخر. اصابني، في البداية، ما اصابك. ربما بدرجة اقل. (يســـعل) لا عليك يا ابني.. لا عليك.. لن ادعك بعد الان ننزل الـــى القـــبر.. ابـــدا.. ابدا.. فقط.. فقط.. (يخفت صوته، بنبرة توسل حييّـــة) لا..لا تـــتركني.. (يقولها. يهمس لا يكاد يسمع. ممزوجا بسعال حاد عال) لا.. تتركني.. يا محمود.. يا ولدي.

محمود: (يعمق) و. منظر الرجال.؟

مسعود: ماذا بهم، هم الاخرون، ايدخلون في قلبك الروع..؟

محمود: تفتنني رؤية رجال يبكون، يعفرون جباههم بالتراب.. يلطخون هاماتـــهم بالطين.. وينتحبون ويعولون.. كالنساء.

مسعود: اهو.. جديد عليك.

محمود: لا. لكن منظر ذلك الشيخ المتهدم، الذي شاء لي سوء حظي ان امسك به كي لا يلقي بنفسه في القبر قبل حفيده الشاب فارتمى على قدميّ، يا ذلي، دعني. دعني ادفن نفسي مع حفيدي. انه كل من بقي لي في الدنيا. اه. اه.. اكشف لي عن وجهه. دعني اشيع منه. اقبله.. و حين هممت ان البي رجاءه، دفعتني. ودفعته بقوة وقسوة. وانت تصرخ به. دعنا نعمل يا رجل هل نقضي النهار كله في دفن جثة واحدة. وراح الشيخ يتمرغ بالتراب وهو يبكي.. يبكي بحرقة تذيب الحديد.. لقد.. لقد.. رايت فيه ابي.. وفي حفيده الوحيد في كل الدنيا.. نفسي.. اه.. تمنيت لو تنشق الارض وتبلعني.

مسعود: (مواسيا ببرود) ليس فقد العزيز.. لعبة.

محمود: بيد اننا لا نرى فيه سوى لعبة.. او. او بضاعة تالفة.. ننتزعها منهم ونرميها في احدى الحفر الفاغرة فاها. كالغول. التي باتت تنتشر وتنتشر.. حتى ولو لم يكن.. ثمة موتى.

مسعود: (في شرود. كالغائب عن الوعي) الموتى موجودون. ان لم يأتوا اليوم فغدا. (يجيل نظره ساهما في ارجاء المقبرة) انه.. انه.. السيل الوحيد الذي لا ينقطع. قد يشح.. ولكن لا ينقطع ولا يجف (يحدق في المجهول) ما دام ثمة من يلد ومن يولد فلا بد ان يكون ثمة من يموت. ومن.. يدفن..

محمود: انها.. لمهنة قاسية.. قاسية حد الوحشية.. لا تريحني.. لا تريحني اطلاقا..

مسعود: ومن قال انها تريحني (يسعل) هي باب للرزق حسب. وذلك ما اقوله دائما. باب للرزق والعيش.

محمود: ثمة ابواب اخرى (بحماس) لنطرق بابا اخر.

مسعود: بعد.. خمسين.. سنة.

محمود: دائما ثمة وقت.. لمن يريد ان يغيّر نمط حياته.. ويتغير به.. ومن خلاله.

مسعود: لمن يريد. انا لا اريد.

محمود: ادري. لقد استحال حفر القبور عندك، وجودا.. وغراما.

مسعود: (صارخا) ولد.. لا تتماد (يسعل) انه مورد للعيش.. لا غير.

محمود: ما اتعسه من مورد تلعب به اقدار الفواجع.. وعواصف النحس والالام. يتجاذبه المد والجزر.

مسعود: شأنه شأن أي شيء اخر. في هذا الزمن الردي..

محمود: مدّه طاغ. مهلك، مدمر.. وجزره.. ايضا.. قاتل..

مسعود: (باحساس بالحصار والضيق) محمود كفى.. كفى..

محمود: (يلاحقه) ايام المد تبدو في غاية الابتهاج والسرور. يطير بك الفرح والسعادة بينما انا لا انام. منظر الرجال المتوجين بالوحل يرعبني.. يزرعني بدبابيس الارق والعذاب.. دنانيرهم المنقوعة بالدمع والدم. نيران تشويني. وفي الايام الاخر. حيث لا رجال ملبسين بالطين. ولا دموع ولا عويل. تريم عليك الكابة.. يسكنك الحزن كانك فقدت اعز ما عندك.. وتروح تحفر وتحفر، لعل الله او الشيطان. وكليهما في حالتك سواء. ينجدك وانا في داخلي اتهرأ.. اعرف ان موردك شحيح واليوم الذي لاتكسب فيه. لا تاكل. فابتهل الى الله، مثلك. وامزج دعائي الصامت بدعائك الصارخ الاخرس. الذي يملأ جوانحك ويسيل من اطراف جسمك. عساه.. ولعله.. (يسد كلتا عينيه) اه.. ما افظع ذلك!!

مسعود: (كمن في غيبوبة) عـــ.. عسى.. عسى.. ولعل.. عسى.. و..

محمود: (برعب) ان.. ان.. يستجيب لدعائي.؟

مسعود: (منتفضا) بل ان يمحقك انت ودعاءك الشرير.. يـــا.. وغـد. رح.. يـا محمود. رح ولا ترني وجهك (محمود يحدق فيه بغرابة) مـــالك جمـدت هيا.. هيا.. رح..

محمود: اين اروح..؟

مسعود: اينما ترح.. رح.. رُح.. الى جهنم. اتركني.. اتركني حسب.

محمود: اتركك؟ اتعني.. حقا ما تقول..

مسعود: آ.. آ.. أجـــ.. اه. اه. (يمسك قلبه ويتلوى)

محمود: لا. لا.. انت لا تعني.. ما تقول.

مسعود: (يصرخ) بل اعنيه.. اعنيه.

محمود: انت تعني.. العكس.. عكس.. ما تقول..

مسعود: لا. لا.

محمود: قبل هنيهة.. كنت تصرخ.. كل كيانك يصرخ ويتوســل.. لا تـتركني يـا محمود لا تتركني.. يا ولدي.

مسعود: (يتلوى) لا. لا.

محمود: كنت تقولها بهمس. ولكني كنت اسمعك.. ملء اذني. انا اسمع كـل مـا يدور في خلدك.. حتى قبلما ينطق به لســانك.. اعـرف.. كـل خلجـات نفسك.. قبلما تفصح عنها.

مسعود: اه.. اه.. (يسعل)

محمود: لتطمئن يا عمي مسعود.. اطمئن لن اتركك.. لن اتركـك ابـدا.. حـرارة ندائك وتوسلك. احرقت كل ما كنت افكر به واخطط له. انا.. انا.. ابنـك..

و.. تلميذك الوفي الامين.. البي لك كل طلباتك.. انفذ لك كـــل رغبــاتك. حتى تلك التي لسبب ما.. لا تعلن.. عنها..

مسعود: كفى.. محمود.. كفى..

محمود: اذا كانت المدرسة قد طردتني.. فانت مدرسيتي.. واذا كان ابي مقعدا، لا يقدم ولا يؤخر.. فانت ابي.. واذا كانت امي عمياء لا ترى.. ولا تبصــر فانت امي.. عمي مسعود.. لا تدري كم احبك.. اه.. اه.. لو تــدري كـم اتمزق اذ اراك تنطفي وتغيب مع الشمس وتأوى الى سقيفتك المتهرئـــة هذه وحيدا مهجورا. خالي الوفاض.. لان الزمن القاسي لم يسعفك بـــ.... بـــ.. ابـــ.. بـــ.. (يلقي بنفسه عليه، يحتضنه يبكي بحـــرارة) لا يقــوى لساني على لفظه.

مسعود: لا تلفظه يا ولدي لا تلفظه (يربت على ظهره بحنان) والان.. كفـــى يــا محمو.. كفى يا ابني.. هيا.. هيا.. معي.. كفانا ما ضعينا مـــن وقـــت.. هيا.. نحفر.. بضع..

محمود: (يرتد) نحفر؟ المزيد؟ لمن؟ لقد حفرت اكثر من عشرين قبرا. ومـــا مـــن احد يشغل أي واحد منها. لا موتى اليوم.. ولا حتى ميتا واحداً. (بصــوت غريب) هل.. اتيك.. بـــ.. بواحد؟

مسعود: (يدفعه عنه بقوة) اخرس. لعنك الشيطان.. (يسعل)

محمود: ذلك ما افكر به الا يتوجب علي ان ارد لك بعض فضلك علي..

مسعود: أنت.. مجنون.. مجنون..

محمود: انا.. اسير فضلك.. انا عبدك.. لقد انقذتني وأبوي من موت محقـــق.. لا ينبغي ان ادعك تنطفيء امام ناظري.

مسعود: لعنك الله، ولعن الساعة التي..

محمود: لن ابقى اسير فضلك الى الابد.. واذا كان ابواي عاجزين فانا..

مسعود: انت شرير.. ولد شرير.

محمود: انا عبدك سيدي. أمرني اتمدد داخل احد قبورك. ثم هِل على التراب هيا.. هيا.. لا احد هنا.. لا احد يرانا. (يتوجه نحو احدى الحفر)

مسعود: (يدفعه عنها بقوة) محمود.. ارحمني.. اغرب عن وجهي (يعصر قلبه ويسعل)

محمود: انا.. احبك.. لا اطيق فراقك.. يا عمي.. ليس لي سواك.. انت.

مسعود: (يصرخ) محمود.. كف عني.. محمود.. محمود..

الحارس: (صوته من بعيد) محمود؟ هل جاء محمود (ثم) مسعود.. ارسله الي يا مسعود.. ارجوك.

مسعود: (بوهن) اذهب.. اذهب.. الى خليل الحارس.. انه يناديك.

محمود: لا. لا تدفعني الى احد.. دعني معك.. معك حسب.

الحاري: محمود.. محمود.. ولدي.. اما تؤدي لعمك خدمة صغيرة.

مسعود: هيا.. هيا.. انه في حاجة اليك.. اذهب اليه.. اذهب.

محمود: وماذا عن حاجتك الي انت..؟

مسعود: انا لا حاجة بي اليك.. لا احتاج اليك.. البتة.

محمود: بل.. بل..

مسعود: اذهب.. اه.. اذهب.. لا تدعني اهشم راسك (يتناول المعول مهددا)

الحارس: تعال.. يا محمود.. تعال.. اشتر لي علبة سجائر.

مسعود: (يهجم عليه بالمعول) اذهب.. والا قتلتك.

محمود: (مبتعدا عنه) انا قادم.. عمي خليل انا قادم (قبلما يختفي، لمسعود) ساعود.. عمي مسعود.. ساعود.. ثوان.. واعود اليك.

مسعود: (يرميه بالمعول) اخذتك الابالسة.. يا ملعون (محمود يخطف المعول الذي اخطأه، يختفي باتجاه صوت الحارس. مسعود يتلوى) اخ.. اخ.. يعصر قلبه.. يشتد عليه السعال.. تاخذه نوبة متواصلة.. يتحامل على نفسه باتجاه حب الماء. يسقط دونه يتمرغ بالتراب. كمن داهمه الصرع يحاول النهوض. لا يقوى.. بصوت مخنوق. ممزوج بالسعال) محمود.. محـ.. مـ.. و.. د.. وو.. و.. لد.. ي.. محـ.. مـ.. و.. ددد. (يتوقف عن الحركة تماما)

محمود: (صوته من بعيد) عمي مسعود.. انا قادم.. قادم اليك (يدخل لاهثا. وهو يحمل على عاتقه جثة الحارس. مهشم الراس. مضرجة بالدماء) عمي.. عمي.. مسعود.. اه (يلقي الجثة في الحفرة التي اعدها مسعود للحارس بصورة عفوية. يعود الى مسعود هلعا) مسعود.. عمي مسعود.. ماذا بك؟ ماذا جرى لك (يحركه.. يجمد.. يطلق صرخة هائلة ثم يجر مسعود الى السقيفة، ينزع. ملابسه يرتدها هو.. ثم يحمل الجثة الى الحفرة التي كان مسعود قد تركها مفتوحة.. يهيل فوقه التراب. ثم يعود الى قبر الحارس. يهيل فوقه التراب هو الاخر. يحمل المعول. يسعل تماما كما كان مسعود.. يفعل.. يشرب ماء. يغسل وجهه. يدخن سيجارة من علبة سجائر مسعود..يسعل تأخذه نوبة سعال، ينهض. مقوس الظهر.. يبحث عن موضع جديد. يحفر بهمة ونشاط. لا يناسبان هزاله الظاهر.. لا يكف عنه السعال. بنبرات تشبه نبرات صوت مسعود يقول) الحظ لا يطرق الباب دائما.. ولكن حين يخطا ويطرق.. الباب.. يجب ان يكون ثمة من يفتح له بسرعة. ويرحب به. قبلما ينتبه ويصحح خطأه.. ويعود ادراجه.. (يسعل وهو يواصل الحفر..).

* * *

من مؤلفات الكاتب المنشورة:

اولا:المسرحيات: "المنشورة والمعروضة"

١- احتفال في نيسان"

- نشرت في مجلة "صوت الطلبة"_ بغداد_ ١٩٥٩

٢- الحرباء

- قدمتها فرقة "مسرح بعقوبة" -بعقوبة- ١٩٦٩
- اخرجها الفنان جيلة عبد الحميد
- قدمتها فرقة "مسرح الصداقة"- بغداد- ١٩٦٩
- اخرجها الفنان اديب القليجي

٣- الاشارة

- نشرت في جريدة "التآخي" بغداد- ١٩٦٥
- قدمتها فرقة "مسرح المجددين"- بعقوبة- ١٩٦٨
- اخرجها الفنان سالم الزيدي.

٤- السر.

- مطبعة "الغري" -النجف- ١٩٦٨
- قدمتها "فرقة نقابة المعلمين"- قاعة الخلد- بغداد- ١٩٦٨
- قدمت في معظم انحاء العراق.
- ترجمها الى اللغة الكردية الفنان نوزاد قادر.

- قدمتها فرقة " نقابة عمال البناء" -السليمانية- ١٩٧٥
- اخرجها الفنان جليل زه نكه نه

٥- الجراد

- من مطبوعات مطبعة "دار الساعة" -بغداد - ١٩٧٠
- نالت جائزة "الكتاب العراقي"- بغداد ١٩٧٥

٦- السؤال

- او "حكاية الطبيب صفوان بن لبيب وما جرى له من العجيب والغريب"
- قدمتها فرقة "مسرح اليوم" -بغداد- ١٩٧٥
- اخرجها الفنان الراحل الكبير الاستاذ جعفر علي
- نالت جائزة "احسن نص مسرحي" ١٩٧٥-١٩٧٦
- طبعتها وزارة الثقافة والاعلام- بغداد- ١٩٧٦
- عرضت في انحاء عديدة من العراق
- ترجمها الى اللغة الكردية الفنان بيكود
- قدمتها فرقة "جمعية الفنون الكردية" - اربيل- ١٩٧٧
- اخرجها الفنان به يمان بي كود.
- قدمتها فرقة "مسرح الطليعة- الكويتي" الكويت- ١٩٨٠
- اخرجها الفنان التونسي المنصف السويسي
- شاركت بها الفرقة في مهرجان (مونيستير الدولى) تونس- ١٩٨٠
- قدمها مسرح "سيد درويش"- الاسكندرية- مصر - حزيران ١٩٨٦
- اخرجها الفنان المصري محمد غنيم

- قدمتها "جامعة الزقازيق" -جمهورية مصر العربية- اذار- ١٩٨٦
- اخرجها الفنان المصري صلاح مرعي
- قدمتها"فرقة مسرح البحر"- الجزائر- ١٩٨٧
- قدمتها فرقة " مسرح الجامعيين" -البحرين- ١٩٨٨
- قدمت في انحاء اخرى من العالم العربي

٧- الاجازة

- قدمتها فرقتا"مسرح بعقوبة- ومسرح ديالى"- بعقوبة- ١٩٧٧
- اخرجها الفنان سالم الزيدي.
- ترجمها الى الكردية الشاعر الكبير شيركو بي كه س
- قدمتها فرقة " مسرح الطليعة"-السليمانية- ١٩٧٨
- اخرجها الفنان احمد سالار
- ترجمها الى اللغة الكردية، مرة اخرى، الفنان جه توحسن.
- قدمتها الفرقة القومية للتمثيل"- اربيل- ١٩٨٩
- اخرجها الفنان تحسين شعبان
- قدمتها الفرقة ثانية- في مهرجان "المسرح العربي"- بغداد- ١٩٨٩

٨- في الخمس الخامس من القرن العشرين يحدث هذا!!

- نشرت في مجلة الاقلام"- بغداد- اذار- ١٩٧٩
- قدمتها فرقة "مسرح اليوم"- بغداد- ١٩٧٩
- اخرجها الفنان عادل كوركيس.
- اعادت الفرقة عرضها في بعقوبة-١٩٧٩

- نالت جائزة "النص" العراقي" ١٩٧٩- ١٩٨٠
- ترجمت الى اللغة الكردية.
- قدمتها فرقة "الفنون الجميلة"- اربيل- ١٩٨٠
- اعادت عرضها في بغداد -١٩٨٠
- قدمت في المغرب- ١٩٨٧
- قدمت في السودان- الخرطوم- ١٩٨٨
- قدمتها لجنة "المسرح العراقي" -١٩٩٨
- اعادت عرضها على مسرح الرشيد- بغداد
- اخرجها الفنان سالم الزيدي

٩- اليمامة

- صدرت عن اتحاد الكتاب العرب" - دمشق- ١٩٨٠

١٠- مساء السلامة ايها الزنوج البيض

- نشرت في مجلة الثقافة" -بغداد - تشريبن- ١٩٨١
- قدمت في المغرب- الدار البيضاء- ١٩٩١
- قدمتها لجنة "المسرح العراقي"- فرقة "مسرح ديالى"- ١٩٩٩
- قدمتها لجنة "المسرح العراقي" - منتدى المسرح- بغداد- ١٩٩٩
- اخرجها الفنان سالم الزيدي
- ترجمها الى الكردية الفنان ازاد به رزنجي
- قدمت في معهد "الفنون الجميلة"- السليمانية- ١٩٨٨
- اخرجها الفنان ازاد به رزنجي

١١- العلية الحجرية

- قدمتها فرقة "مسرح اليوم" ١٩٨٢
- اخرجها الفنان يوسف رشيد
- نالت جائزة افضل نص ١٩٨٢-١٩٨٣
- نشرت في مجلة "الاقلام" - بغداد- اذار- ١٩٨٣
- قدمتها "الفرقة القومية للتمثيل" -بغداد- ١٩٨٨
- شاركت في مهرجان "المسرح العربي"- ١٩٨٨
- اخرجها الفنان فتحي زين العابدين.
- قدمت في المغرب- الرباط- ١٩٨٨
- اخرجها الفنان المغربي عبد الكبير الركاكنة
- قدمتها الفرقة القومية مرة اخرى في مهرجان المسرح العراقي الخامس نيسان- ٢٠٠١
- اعادت عرضها في "مهرجان عمان للمسرح العربي" تشرين ١؟ ٢٠٠١
- حصدت ثلاث جوائز من مجموع جوائز المهرجان الست- ٢٠٠١
- اخرجها الفنان فتحي زين العابدين.

١٢- لمن الزهور؟

- نشرت في مجلة كاروان- اربيل- حزيران- ١٩٨٣
- قدمت في مهرجان "بغداد الاول للمسرح العربي"- بغداد- ١٩٨٥
- اخرجها الفنان عزيز خيون
- ترجمها الى اللغة الكردية الكاتب ازاد به رزنجي

- نشرتها مجلة "بيان"- بغداد- اذار- ١٩٨٨
- قدمتها معهد " الفنون الجميلة" - السليمانية- ١٩٨٩
- قدمتها فرقة منتدى المسرح- بغداد- ١٩٨٩

١٣- صراخ الصمت الاخرس

- قدمتها فرقة المسرح الشعبي ومسرح اليوم- بغداد- ١٩٨٧
- لخرجها الفنان الدكتور عوني كرومي
- اعيد عرضها على قاعة الفنانين التشكيليين- بغداد- ١٩٨٨
- قدمت في عمان- الاردن- ١٩٩١
- اخرجها الفنان عوني كروني
- نشرت في مجلة "فنون" الاردنية- العدد (١١- ١٢) -١٩٩٢
- ترجمها الى اللغة الكردية الفنان كريم بياتي
- نشرت في مجلة "سينما ومسرح" - اربيل- اذار- ١٩٩٩
- قدمتها فرقة "رقند"- برلين- المانيا- ١٩٩٩
- اخرجها الفنان عوني كرومي

١٤- حكاية صديقيين

- نشرت في مجلة الاقلام" - بغداد- كانون الثاني- ١٩٨٦
- قدمتها فرقة المسرح الفني الحديث"- شباط-١٩٨٨
- شاركت في مهرجان "المسرح العربي"- ١٩٨٨
- لخرجها الفنان سامي عبد الحميد
- نالت جائزة "المؤلف المتميز"- ١٩٨٨ في "مهرجان المسرح العربي".

- قدمت في البحرين- المنامة- ١٩٩٠

١٥- الحارس

- نشرت في جريدة العراق- تشرين الاول- ١٩٨٧
- قدمتها فرقة" نقابة الفنانين" -ميسان- شباط- ١٩٨٨
- اخرجها الفنان مكي حداد
- شاركت في مهرجان "المسرح العربي"- ١٩٨٨
- نشرتها مجلة "البيان"- الكويت- ١٩٨٩
- ترجمها إلى اللغة الكردية اسماعيل انور
- نشرت في "روفار" العدد ٦- ٢٠٠٠
- عرضت في اربيل

١٦- الاشواك

- نشرت في مجلة الاقلام" بغداد- شباط- ١٩٨٨
- قدمتها الفرقة القومية للتمثيل- بغداد- اذار- ١٩٨٩
- شاركت في مهرجان "المسرح العربي" -١٩٨٩
- اخرجتها الفنانة منتهى محمد رحيم
- نالت جائزة النص العراقي ١٩٨٩- ١٩٩٠١

١٧- تكلم يا حجر

- نشرت في مجلة "الاقلام" اذار ١٩٨٩
- قدمتها الفرقة القومية للتنثيل- اذار- ١٩٨٩
- اخرجها الفنان وجدي العاني

- شاركت في مهرجان "المسرح العربي"- ١٩٨٩
- نالت "الجائزة التقديرية" للمهرجان.
- ترجمها إلى اللغة الكردية الكاتب محمد عبد الرحمن زه نكه نه
- قدمت في اربيل- ١٩٩٩
- اخرجها الفنان طلعت سلمان

١٨- كاوه دلدار

- مطبعة واوفسيت حسام - بغداد- ١٩٨٩

١٩- العقاب

- نشرت في مجلة الاقلام" - شباط- ١٩٩٠
- ترجمها إلى اللغة الكردية الشاعر جمال غه ميار
- نشرت في "روفار" العدد "٦" -السليمانية- ٢٠٠٠
- قدمت في اربيل
- اخرجها الفنان فرهاد شريف

٢٠- القطط

- نشرت في مجلة " الاديب المعاصر"- نيسان- ١٩٩٢
- قدمتها فرقة "مسرح ١٤ تموز" ١٩٩٥
- اخرجها الفنان حسين جوير

٢١- موت فنان

- نشرت في مجلة "الاقلام"- اذار- ١٩٩٤

٢٢- هل تخضر الجذوع؟

- نشرت في جريدة "العراق"- تموز- ١٩٨٧

٢٣- مسرحيات

- صدرت عن دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- ١٩٩٤
- ثلاث مسرحيات في كتاب، نالت جائزة احسن كتاب- ١٩٩٤

٢٤- مساء السلامة ايها الزنوج البيض

- صدرت عن الامانة العامة للثقافة والشباب- ١٩٨٨
- ثلاث مسرحيات في كتاب

٢٥- اردية الموت

- نشرت في مجلة عشتار غزة- فلسطين- عدد "٨"- ١٩٩٦

٢٦- سيأتي احدهم

- نشرت في مجلة "الرواد" العدد الاول- ٢٠٠٠

٢٧- المائدة المستطيلة

- نشرت في جريدة الزمن"- نيسان- ٢٠٠٠

٢٨-رؤيا الملك

- من اصدارات وزارة الثقافة- ١٩٩٩
- قررت - كلية التربية- جامعة ديالى- اعتمادها مادة علمية في موضوع تحليل النصوص الادبية "نظرا لأهميتها الادبية والفنية" حسبما جاء في قرار مجلس الكلية
- نالت جائزة الابداع- في الادب المسرحي- ١٩٩٩

٢٨- مسرحيتان

- صدرت عن دار الحرية- بغداد- ٢٠٠١

- جائزة الابداع- في الادب المسرحي- ٢٠٠١

٢٩- العانس

- نشرتها مجلة الق" العدد "٣" حزيران- ٢٠٠١

٣٠- مع الفجر جاء.. مع الفجر راح

- نشرتها مجلة "المشهد"- العدد- ٨/ ٩- ٢٠٠٢

ثانيا: الروايات:

١- هم او يبقى الحب علامة

- اتحاد الكتاب العربي- دمشق- ١٩٧٥

٢- ناسوس

- دار الساعة- بغداد- ١٩٧٧

٣- بحثا عن مدينة اخرى

- اتحاد الكتاب العرب- دمشق- ١٩٨٠

٤- الموت.. سداسيا

- مجلة "الاقلام"- بغداد- ١٩٧٠

ثالثا: القصص:

١- كتابات تطمح ان تكون قصصا

- من منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر- ١٩٨٤
- ترجمها إلى اللغة الكردية القاص غفور صالح
- صدرت في كتاب عن دار الثقافة والنشر باللغة الكردية- بغداد- ١٩٨٦
- العديد من القصص والمقالات والدراسات النقدية والفكرية حول قضايا الادبيين العربي والكردي، التي نشرت في الصحف والمجلات المحلية والعربية والتي لم تجمع، حتى الان، في كتاب
- مسرحيات وروايات وقصص ما زالت غير منشورة (مخطوطة)

المحتوى

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة